

مركة السماء

في أرض كربلاء

إني مخرج أشرا

ولا بطرا إني خرجت

لطلب الإصلاح في

المنشأ

دار العالم

الحسين أحمد السيد

الكلالة لحقوقه محفوظه مسجلة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م



المكتب : حارة حريك - شارع السيد عباس الموسوي - تليفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 13/6080 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650

www.daraloloum.com

E-mail: info@daraloloum.com

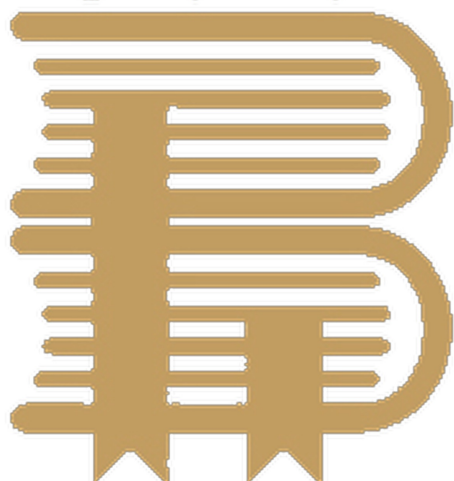
معركة السماء في أرض كربلاء

دراسة عسكرية معاصرة

الحسين أحمد السيد



شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

معركة السماء في أرض كربلاء

دراسة عسكرية معاصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

الإهداء

إلى فاطمة الزهراء، وأبيها، وبعلمها، وبنيتها،
عليهم صلوات ربي.

إلى أئمتي وأئمة المسلمين والمعصومين الأربعة
عشر عليهم السلام

لا سيما الإمام الحسين الشهيد عليه السلام. والإمام
المهدي المنتظر حجة الله على الخلق عليه السلام
إلى من لهم حق عليّ لاسيما والديّ وشقيقتي
المرحومة خديجة.

إلى العلماء. والحكماء. والشهداء.

إلى القادة. والأحرار. والثوار. وطلاب الحق على مدى الأزمان.
أهدي هذا العمل - كتاباً وثواباً - وجعله الله نافعاً ومفيداً ولعل الكاتبان
المباركان يثبتا بعض هذه الأوراق في صحيفة أعمالهما يوم ألقى ربي ولا ينفعني
مال ولا بنون. فتتذكر إليّ مولاتي الزهراء عليها السلام. ويشفع لي إمامي الحسين وجد
الحسين عليه السلام. ويسمح لي بالانضمام إلى لواء الحمد بيد الأمير عليه السلام. لأفوز
بجنان عدن. وجنة القرب ورضا الرب سبحانه وتعالى. فبضاعتي بسيط وقليلة.
لكنكم يا سادتي معدن الجود والكرم. وما خاب والله قاصد لكم ولربوعكم أم.
والحمد لله على ما أنعم. والشكر له على ما ألهم. سواء ما تأخر منه أو تقدم.
فالحمد لله دوماً. والصلاة والسلام على رسوله وآله الأطهار دائماً وأبداً.

تعريف وتشريف

الاسم: الإمام الحسين عليه السلام الشهيد.

الأب: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام.

الأم: فاطمة بنت محمد عليه السلام سيدة نساء العالمين عليها السلام.

الجد من الأب: عبد مناف أبو طالب بيضة البلد وسيد البطحاء عليه السلام.

من الأم: محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين والمرسلين عليه السلام.

الجدّة من الأب: فاطمة بنت أسد عليها السلام.

من الأم: خديجة بنت خويلد أم المؤمنين عليها السلام.

الإخوة: الإمام الحسن السبط عليه السلام والسقط المبارك المحسن عليه السلام.

الأخوات: العقيلة زينب الكبرى عليها السلام، وزينب الصغرى (أم كلثوم) عليها السلام.

وبقية أبناء الإمام علي عليه السلام من زوجاته الأخريات عليهن السلام.

الولادة: في ٣ شعبان (سنة ٤) السنة الرابعة للهجرة المباركة في المدينة المنورة.

ومدة الحمل ستة أشهر كعيسى ويحيى عليهما السلام - كما هو مشهور.

الشهادة: في ١٠ محرم الحرام مطلع سنة ٦١ للهجرة الشريفة أي أن عمره الشريف كان ما يقارب ٥٧ سنة.

أخي الكريم - أعد القراءة للسطور السابقة وتأمل - فهل يوجد شخص على وجه الأرض يحمل هذا الشرف حسباً ونسباً؟ لا أعتقد.

فاعذرني - إذاً - إذا قلت لك: أنني حينما أمسكت القلم لأقدم عن الإمام الحسين عليه السلام لا أدري ألقلم بدأ يرتحف. أم يدي راحت ترتعش؟

فرفعت القلم عن القرطاس وتأملت يدي ونفسي جيداً فرأيت أن الرّعدة قد استحكمت في جسدي وبدني كله واقشعرّ بدني وربما وقف شعري ورأيت نفسي أمام هذا السؤال.

من أنت - أيها العبد الفقير - لتتحدث عن الإمام الحسين عليه السلام ومقامه العالي؟

إلزم حدودك. فهذا العظيم لا يعرفه إلا الله، ورسوله، ومن كانوا مثله أئمة آباء وأخوة وأبناء.

نعم. هذه حقيقة وليست وهماء، أو تصنعاً، أو محاباة. لا والله إذ كيف لي وأنا العبد الفقير الجاهل المحدود جداً أن أسمو إلى علياء ذلك النور؟؟ عفوك سيدي يا سيد الشهداء، وقبله الأحرار، وملاذ الثوار.

فماذا لي أن أقول عنك وقد قال الله - سبحانه - عنك ما يغني عن كل قول؟؟

ففي سورة الأحزاب أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً.

وفي النور جعلك ممن هم نورا على نور وأصلاً نورانياً لتسعة أنوار من ولدك عليه السلام. وفي سورة إبراهيم عليه السلام جعلك من الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة وكنت الأكل المبارك.

وفي هل أتى كل الفضل، والفخر، والنور، وتبارك المعطي وبورك المعطي. وفي الكوثر فأنت منه وإليك يعود، وإلى عليك ينتهي يا جدّ المهدي عليه السلام. هذا غيض من فيض وأشعة من نور مبهر انطلقت من القرآن لتعم العالم بالضياء، والخير، والهدى. ولتعطي للخلق مثلاً أعلى في الإنسانية اسمه الإمام الحسين عليه السلام.

وماذا لي أن أقول عنك سيدي وقد قال جدك المصطفى صلى الله عليه وآله ما يشفي الصدور ويروي الغليل لأنه من سلسيل فقد قال صلى الله عليه وآله:

حسين مني وأنا من حسين. أحب الله من أحب حسيناً.

الحسن والحسين سدا شباب أهل الجنة وأبواهما خيراً منهما.

الحسن والحسين سبطان من الأسباط.

الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا.

الحسن والحسين أبنائي فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني -

الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى الحسين عليه السلام

نعم سيدي فأنت هكذا وبشهادة الله ورسوله ﷺ وكفى بهما شاهدان.

فأنت من سفن النجاة. بل سفينتك هي الأوسع.

ومن طرق الفلاح. ومحجتك أوضح وأنصح.

ومن السبل إلى الله. وسبيلك الشهادة - الأرقى والأنجح.

عفوك سيدي. فإنني أزكي لساني بذكرك. وأشنف أسماعي بسماع إسمك

الشريف. وأبارك عيني بالنظر إلى حروف اسمك النورانية. وأفتخر على زملائي

وأقراني بأني خادمك.

نعم. فأنا عبد الحسين عليه السلام وخادمه.

فاقبلني سيدي. وخذ بيدي. وسددني فيما أنا قادم

عليه. فممنك المدد. ومن الله التوفيق. وما توفيق

إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمة

بسمك اللهم.. رفيع الدرجات..
ارفعنا عن الخطايا، والرزايا، وطهر قلوبنا لترتفع
في سماء الفضائل، ونسمو الى العلياء النوراني،
ونكون مؤهلين لتلقي أشعة النور المبهر الصادرة
من خامس أصحاب الكساء المولى الشهيد بل
سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام..
اللهم نور أبصارنا وبصائرنا بنوره الأنور، وجماله
الأزهر وأفض على قلوبنا أشعة وسناء من ذاك
الضياء الخالد إن شاء الله..
اللهم صل على نور الأنوار، وخزانة الأسرار،
رسولنا المصطفى وحبيبك المختار، وعلى آله
الأطهار، وعترته الأبرار، ما تتابع الليل والنهار..

وبعد..

هل الإمام الحسين عليه السلام قضية إنتهت..؟
هل هي مسألة صراع تاريخي قبلي مضت..؟
وهل الدارسون لها استوفوها حقها من الدرس..؟
وهل الباحثون أحاطوا بها من كل الجوانب..؟
أم هناك المزيد، وأكثر مما نفكر به حتى..؟

وبالتالي.. هل معين الإمام الحسين عليه السلام نضب خيره وماؤه..؟
لا يا عزيزي.. نبع الإمام الحسين عليه السلام كنبع الحياة تماماً.. فهو كالماء
والضيء الذين لا يمكن للحياة أن تستمر أو أن تكون أصلاً بدونه..
الإمام الحسين عليه السلام .. يا أمتي - نبع حياة وحياء..
منبع نور وضيء..
معقل شموخ وإباء..
قلعة خير وعطاء..
الإمام الحسين عليه السلام قبس نور ونار.. نور للمؤمنين، ونار على الظالمين..
شعلته لا يمكن أن تطفأ من القلوب.. لأن له حباً مكتوماً عجنت به طينة شيعته
ومحبيه والإنسان لا ينفك عن طينته طبعاً..
وله عاطفة لا تهدأ لأنه (قتيل العبرة ولا يذكره مؤمن إلا بكى..
وهو قتيل الدمعة الساكبة.. وله ولشهادته حرارة في القلوب الطاهرة النقية..
فكيف لمثل هذا أن يطويه الدهر..؟!
كذب الجناة والأفاكون فهو باق مخلد ما بقي في الحياة بشر وحتى بعد أن
تنتهي الدنيا، ويموت البشر فهو خالد مُخلد في جنان خاصة أعدها الرحمن له:
أليس هو سيد شباب أهل الجنة.. مع أخيه ووالديه..؟!..
وقد تقول.. أو يخطر في ذهنك.. أن المسألة درسها الدارسون، وقتلها
العلماء، والخطباء، بحثاً ودرساً حتى أن أحدهم جمع موسوعة تتألف من
خمسمائة مجلد.. فهل أبقى شيء لكم..؟!
أقول.. نعم يا عزيزي لم يدرس إلا القليل.. وبقي الكثير الكثير في جعبة
المولى أبو عبد الله عليه السلام وينتظر العلماء والأجيال اللاحقة حتى يعطي كل جيل
ما يستحق، أو يكون مناسباً..
فهو القرآن الناطق..
والقرآن الصامت كما ترى هل تستطيع أنت أو أحد من الموحدين لله أن
يقول عرفنا أسرار القرآن، وكشفنا خباياه كلها..؟!!

فالقرآن الحكيم كالشمس تحتاجه الحياة في كل لحظة..

والإمام الحسين عليه السلام كالقرآن تحتاجه الأمة في كل محنة..

وإنطلاقاً من هذه الحقيقة الناصعة، والواقعة القاسمة وللدلالة على أن هناك العديد من الجوانب الغامضة، والزوايا المستورة في حياة، وثورة السبط الشهيد عليه السلام..

كان هذا الكتاب، وكانت هذه الدراسة العسكرية المعاصرة لأنني لم أجد فيما قرأت، وبحثت في المكتبات دراسة كافية وافية للنواحي العسكرية وإن كان هناك شذرات وإشارات عابرة في كتب المقاتل المباركة.. إلا أنها قاصرة وليست كافية أبداً..

لا سيما الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها العلماء عند التطرق الى الجانب العسكري لأنه بالحقيقة، يحتاج إلى أصحاب الإختصاص المتعلق في هذا الجانب الهام والحساس في حياتنا المعاصرة..

هذا وقد بنيت هذه الدراسة العسكرية على ثلاثة أبواب وخاتمة..

الباب الأول: تناولت به المرحلة السابقة للمعركة.. وفيه أربعة فصول وخاتمة..

الفصل الأول: المقدمات والإرهاصات..

الفصل الثاني: الثورة..

الفصل الثالث: البيان الأول للثورة وإعلان التعبئة..

الفصل الرابع: كربلاء..

خاتمة..

الباب الثاني: تناولت فيه مجريات خوض المعركة.. وفيه ثلاثة فصول وخاتمة

هي.

الفصل الأول: يوم عاشوراء الدامي

الفصل الثاني: استثناءات تفرضها المعركة..

الفصل الثالث: بطولات خيالية..

خاتمة: نقد وتحليل للمعركة..

الباب الثالث: المأساة.. تناولت فيه المأساة في قمتها التي شهدتها كربلاء المقدسة.. وفيه ثلاثة فصول..

الفصل الأول: الأبناء الأعزاء..

الفصل الثاني: الإخوة العظماء..

الفصل الثالث: النفس الطاهرة الزكية للسبط الشهيد عليه السلام..

خاتمة.. أنهيت البحث بهذه الخاتمة المختصرة عن الموضوع بشكل عام وشامل..

وأخيراً أتمنى من الإخوة الأعزاء من العلماء والباحثين أن يعيدوا النظر بقضية كربلاء المقدسة، ويعودوا إلى حياة الإمام الحسين عليه السلام المطهرة ليدعوا بها لأنها أرض خصبة للإبداع فعلاً..

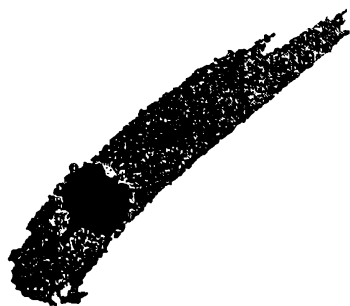
وأعتقد أن الذين أبدعوا في كربلاء هم الخطباء والأدباء فقط ولكن بقي على العلماء والباحثين أن يحاولوا الإبداع كل في جانبه واختصاصه باذن الله..

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم ويأخذ بأيدينا جميعاً للإبداع الحقيقي في خدمة رسالتنا الإسلامية المباركة، وديننا الحنيف..

وأن يجعلنا من الجنود الحقيقيين في دولة صاحب العصر والزمان الحجة ابن الحسن عليه السلام.

وأن يتقبل منا هذا القليل ويسجله في صحائف أعمالنا الصالحة إنه ولي التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بين يدي البحث



التكتيك العسكري في الثورة الحسينية

ماذا يعني هذا العنوان؟

إن مثل هذا العنوان هو مثير لأصحاب الاختصاص، وربما لمن يريدون الإطلاع على نواحي جديدة في ثورة السبط الشهيد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ولكن ربما تسأل: هل كان هناك - في ذاك الزمن - تكتيك. أو إستراتيجية.

أو معركة مشتركة. أو ما أشبه من هذه المصطلحات العصرية الخاصة بالجيش الحديثة؟

نعم. في هذا العصر. عصر العلم، والتطور، والتكنولوجيا، والحواسب الإلكترونية العملاقة، والتطور المذهل والخارق لحدود التصور البشري في مجال السلاح والتسلح في جميع دول العالم لا سيما الدول الصناعية الكبرى. تستعمل مثل هذه المصطلحات العسكرية. وذلك لأنها تفرض نفسها على الباحث بلا شك. أما الذي يريد أن يدرس حادثة تاريخية ما - وخاصة الحروب والمعارك المشهورة في التاريخ - فانه يعود إلى كتب التاريخ ويسننطقها. فيقرأ ما في السطور، وما بين السطور، وما توحى الخلفيات. وربما يستقرئ ويستنتج الكثير من النتائج الهامة. إلا أن نتائجه تبقى في إطار الظن. لأنه ليس له لليقين سبيل. وهذا يعود إلى المؤرخين وباحثي التاريخ ولهم أساليبهم وطرقهم في دراسة

التاريخ بوثائقه ومدلولاته ولهم بالتالي فهمهم المستقل ولا دخل لنا في ذلك كله. فلا نريد أن ندرس حادثة كربلاء كمعركة في التاريخ القديم الذي يرجع إلى حوالي (١٤ قرناً) من زمن مضى. فهذا فعله الكثير الكثير ممن سبقونا. وهناك الآلاف من الكتب والدراسات حول معركة كربلاء. وموسوعة الشيخ الكرباسي ربما تصل إلى خمسمائة مجلد كما نقل لي..

ولكن الذي نريد أن ندرسه في هذه الدراسة الجديدة - إلى حد ما - هو إسقاط للمعركة التاريخية (كربلاء) إلى الوقت الراهن والعصر الحديث بمدلولاته ومصطلحاته الخاصة به. وذلك لعدة غايات متوخاة منه.

١. محاولة تقريب الماضي ولغته الجذلة. إلى لغة معاصرة سهلة، وبسيطة ويمكن لأي شخص أن يفهمه أو أن يستفيد منه الشيء الكثير. فكتب الاقدمين تشكل حاجزاً وربما معيقاً أمام الأجيال الشابة. وذلك لاختلاف العصر والمتطلبات والأذواق وأساليب التعليم والتربية والتلقي العلمي حالياً.

٢. محاولة إعطاء فكرة وخبرة قديمة لأصحاب الاختصاص من العسكريين أو ممن لهم إهتمام بهذا الجانب من حياة العظماء في تاريخنا الاسلامي. فتجربة الإمام الحسين عليه السلام رائدة على مستوى العالم أجمع. وعظيمة على كافة المستويات من القيادة المعصومة. إلى التخطيط السليم. إلى نبل ووضوح الغاية والأهداف. إلى التفاني في سبيل المبدأ. وإلى الحق..

٣. محاولة إبراز العبقرية العسكرية للأئمة المعصومين عليه السلام ولا سيما الإمام الحسين عليه السلام القائد الذي سطر التاريخ اسمه بأحرف من نور بعد أن كتبه بنقاط من دمه الذكي على لوح الأفق وعلى جبين الشمس. وذلك من حيث التخطيط والتنفيذ.

وقبل الشروع بهذه الدراسة لابد من مقدمة نوضح بها بعض الرموز والمصطلحات التي ربما مرّت معنا خلال الدراسة. وهي من الأمور غامضة المعنى لغير الاختصاصيين من الأخوة القراء الكرام.

ويرجى الإهتمام والانتباه إلى هذه التعاريف والتوضيحات. لأن المصطلحات

سوف تمرّ معنا دون شرح وربما تكون جامدة فهنا المعنى المراد منها.

الإستراتيجيا

هي مصطلح عام واسع وفضفاض ومتنوع ويشمل كل منحى من مناحي الحياة أجمع من السياسية، واقتصاد ومجتمع وإدارة وحرب.. فالإستراتيجيا: هي عبارة عن وسيلة لتحقيق أهداف تحددها لها السياسة بحيث تنبع سياسة بلد ما من الفلسفة السائدة فيه. وهكذا يتعلق مصير الإنسان بالفلسفة التي يختارها لنفسه. والإستراتيجية التي يستخدمها لتحقيق انتصار هذه الفلسفة.^(١)

ومن ملاحظة هذا التعريف والتعمق في معانيه جيداً نجد أن المصطلح ليس مصطلحاً عسكرياً فقط. بل هو فلسفة. وأسلوب تطبيق وتحقيق فلسفة السياسة.. والإقتصادية.

وما الإستراتيجية العسكرية إلا فرع أو جزء واحد منها. والتي تعني فيما تعنيه: كافة الأفكار والترتيبات التي تتخذ لإستخدام القوة العسكرية، والوسائل العسكرية الأخرى لتحقيق أهداف الدولة العليا.^(٢)

فالإستراتيجيا: هي مصطلح عام يعني معرفة الأهداف البعيدة. وتحديد بدقة، وتحديد الطرق والأساليب الكفيلة بتحقيقها والوصول إليها بأسهل الطرق وأقل التكاليف. أما الإستراتيجية العسكرية: فهي فلسفة إستخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف الدولة العليا. وكذلك تحديد الاتجاه العام لتطور القوات المسلحة وإعدادها للحرب.

(١) الامام علي والحرب ص ١٧ عن حرب الأفكار ص ١٦٨

(٢) ن. م. ص ٢٣

التكتيك

هو جزء من الحرب. وهو عبارة عن القوانين العلمية الموضوعة لأساليب وأشكال خوض المعارك والأعمال القتالية. أو هي دراسة المعركة علمياً من كافة النواحي وباعتبارها أحد أهم مظاهر الحرب.

الحرب

هي ظاهرة إجتماعية وربما تاريخية ومنهم من قال: إنها ضرورية لتنازع البقاء.

إلا أنها أبشع مظاهر الحياة على الإطلاق. لأنها تدمر الأرض وملحقاتها. وتحرق الشعب وطاقاته. وتنهك الإقتصاد ومتفرعاته وتخلّف كوارث إلى أبناء الأبناء ولعدة أجيال في الوقت الحاضر. ومالمعارك إلا أجزاء منها.

المعركة

هي صراع مسلّح ومنظّم بين طرفين متحاربين يحاول كل منهما تدمير الطرف الآخر بالقتل أو الأسر والإستيلاء على المعدات والمناطق من الأرض. ولها تعاريف أخرى حديثة لا شأن لنا فيها. ولها عدة أنواع وأشكال أهمها ثلاثة.

١. الهجوم

هو الشكل الأساسي للأعمال القتالية للمعركة ويهدف إلى سحق العدو خلال وقت قصير والإستيلاء على أغراضه ومواقعه. كحال عمر بن سعد وجيشه البائس. أو هو النوع الرئيسي للمعركة ولا يتحقق سحق العدو إلا بالهجوم الحاسم والجريء.

٢. الدفاع

هو نوع من أنواع المعركة وحالة إضطرارية تلجأ إليها القوات بغية صد هجوم معادي متفوق بالسلاح والرجال. وتكبيده أمدح الخسائر بالقوى والوسائط. أو هو نوع من أنواع الصراع يمكن أن تلجأ إليه القوات بصورة إضطرارية أو عن تصميم مسبق وذلك عندما يستحيل أو لا يفضل الهجوم. كحال الإمام الحسين وأصحابه عليه السلام.

٣. التصادية

هي الهجوم على عدو مهاجم. أو الالتقاء وكلا الطرفين في حالة سير للقاء الطرف الآخر. كحال الإمام الحسين عليه السلام والحر الرياحي. لو أرادها الإمام الحسين عليه السلام معركة. وهناك أنواع أخرى لا ضرورة لذكرها هنا.

المسير

هو التنقل المنظم والمرتب للقوات على محاور التحرك باستخدام كافة وسائل النقل العضوية والملحقة.

محاور التحرك

هي الطرق المعدة للمسير والمحددة من قبل القائد.

الموضع

هو عدد من النقاط الهامة (الإستناد) مرتبطة فيما بينها عملاً وقيادة.

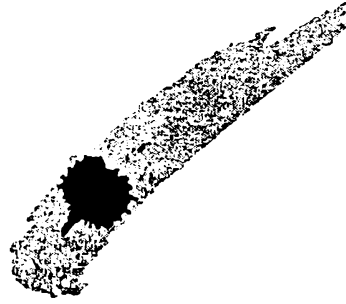
الصدمة

هي التقدم المندفع للقوات بغية سحق العدو بشكل كامل أو أسره أو إحتلال أغراضه بشكل قوي و مفاجيء.

كحال الهجمة الأولى لجيش عمر بن سعد على جيش الإمام الحسين عليه السلام. هذه هي بعض المصطلحات التي ربما إحتاجت إلى توضيح من أجل قراءة الماضي بثوب الحاضر ومفاهيمه العصرية وضعناها بداية لكي لا يكتنف القارئ أي غموض أثناء البحث.

وبحثنا هذا يقتصر على الجانب العسكري فقط. مع الإلماع إلى بعض الكلمات أو المواقف ذات المغزى العسكري. أو التي توحى إلى جانب من الجوانب العسكرية. بغض النظر عن بقية الجوانب فإن لها مجالا آخر. وبحوث أخرى.

الباب الأول: ما قبل المعركة



الناس عبيد الدنيا والدين لعق

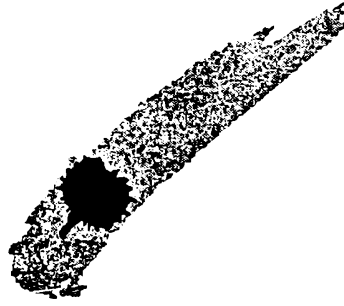
على ألسنتهم يحوطونه ما

درت معائشهم فإذا محصوا

بالبلاء قل الديانون.

الإمام الحسين (عليه السلام)

الفصل الأول: المقدمات والإرهاصات



الثورة ليست مجرد تغيير تنشده
وتعمل له مجموعة مقهورة لتلغي
قهرها، وتسترد حقوقها. بل هي
أعمق من هذا. إنها طريق في سلم
التطور الأخلاقي للمجموعة البشرية.

الثورة في الإسلام

الثورة مصطلح عصري حديث في لغتنا العربية وهو من المصطلحات التي فرضتها الظروف الموضوعية في العالم المعاصر على اللغات العالمية أجمع.

وهي تعني - فيما تعنيه حالياً - تجاوز لعلاقات قديمة متخلفة وطرح لعلاقات جديدة أكثر تطوراً بديلاً عنها بحيث تخدم مصلحة الطبقات الواسعة من الجماهير الشعبية.

والمعجم الوسيط يعرف الثورة: بأنها تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب في دولة ما.

وهي حركة تقدمية وتجديد لا غنى عنه وتطور دائم. إنها هذا التطابق العلمي الموضوعي بين الفكر والواقع. بين مجالات التطور السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

ومن هذه التعريفات لهذا المصطلح يحق لنا أن نتساءل.

هل كل عمل تنطبق عليه بعض هذه الصفات أو كلها يستحق أن نطلق عليه

اسم ثورة؟

هل كل إنسان يريد أن يغير وضع ما في المجتمع لا يعجبه، أو لا يروق له نعطيه

لقب ثائر، وعمله «ثورة»؟؟؟

هل التغيير والتجديد هو الغاية من الثورة؟

هل العلاقات القديمة كلها متخلفة وواجب المجتمع تجديدها وتبديلها

ليتطور؟؟

هل كل الثورات تصبُّ في مصالح الطبقات الواسعة للمجتمع؟

وتساؤلات كثيرة والإجابة عنها سوف تلحظه من خلال طرح المفهوم الإسلامي

للثورة. وماذا تعني الثورة بنظر الدين الإسلامي العصري والقديم؟؟

فالإسلام - بحدّ ذاته - أكبر ثورة شهدتها البشرية بكل ما تعنيه الكلمة، وبكل

محتوياتها التعبيرية والإصلاحية والانقاذية على المستويات كافة للمجتمع، والأفراد

سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً، وتنظيمياً.

ولكن كيف أحدث مثل هذا الإسلام؟؟

اللّٰه سبحانه وتعالى خلق هذا الكون وكانت العلة الغائية لخلقه هو الإنسان

الكامل بالإنسانية.

وخلق الإنسان - كل إنسان - والعلة الغائية لخلقه هي العبادة الحقّة لوجه الحق

تعالى. والحديث القدسي يقول: «خلقت الأشياء - أو الخلق - لأجلك وخلقتك لأجلي»^(١).

يحمل هذا المعنى باختصار شديد.

فالإنسان يتمتع بصفة أساسية في هذا الكون وهي صفة المحورية: أي أن الإنسان

هو المحور الذي تدور عليه وله عجلة الأحداث الماضية والآنية والمستقبلية في كل

عصر ومصر دون استثناء.

فالرسالات السماوية كلها منه وله.

والشرائع، والدساتير، والقوانين. لضبط أحواله وتنظيم شؤونه.

والأخلاقيات لتقييم السلوك البشري العام.

والآداب لتقييم الفكر البشري وتهذيبه وتنقيته من الشوائب.

وهكذا فكل ما في الوجود من خلق ومخلوقات حتى الشمس والسموات

وجدت من أجل الإنسان وهي مسخرة - بالحقيقة - للإنسان عن وعي أو دون وعي

(١) كلمة الله، آية الله الشهيد حسن الشيرازي (رحمه الله).

منه. ولكن هذا المخلوق المكرّم والمفضّل إلى هذا الحد، وإلى هذه الدرجة. ما هو دوره في هذا الوجود؟ وكيف يحقق هذا الدور؟

والإسلام الحنيف مجيب عن السؤال الأول بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) والعبادة الحقيقية والمتوازنة يجب أن تنطلق من منطلق علمي رفيع المستوى بالمعبود تعالى وشرائعه، وأحكامه وسننه الكونية لذلك فسّر بعض العلماء ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢): أي ليعرفون. والمعرفة واجبة كما يقرّه أصحاب العلم وذلك بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾^(٣)

وهذا العلم وذاك العمل يجب أن ينطلق من نقطة أساسية في هذا الكون ألا وهي التوحيد والوحدانية وما شعار الأنبياء إلا اختصاراً لهذه النظرية التأسيسية في هذا الكون فكلّ كان شعاره (لا إله إلا الله) وكانوا يبشرون أقوامهم بالفلاح. إذا ما شهدوا لله بالوحدانية. (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^(٤).

وهذا يعني - فيما يعنيه - رفض الأنداد والشركاء أين، وكيف، ومتى كانوا؟؟ وسبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ولقمان الحكيم كانت أولى وصاياه لولده قوله: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] لأنه ظلم للعابد والمعبود معاً.

وكذلك نداء الإسلام لأهل الأديان كافة وخاصة لأهل الكتاب كان التوحيد منطلقه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ٦٤]

فالتوحيد أساس الهدى في الوجود على الإطلاق. والشرك أساس الضلال والفساد على الإطلاق ورسالات السماء والأنبياء والرسل الكرام ﷺ كلهم جاؤوا من أجل التوحيد وتصحيح مسيرة البشرية عندما تشدّ عن هذه القاعدة الأساسية. ولذلك نرى بأن رسالة نبي الله عيسى المسيح ﷺ كلها كانت تصحيحية لا تأسيسية وذلك

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة محمد: ١٩.

(٤) راجع كتب السيرة النبوية الشريفة.

من أجل إكمال وتصحيح رسالة الكليم موسى ﷺ وجلاء ما علق بها وعليها من المفسد والأهواء البشرية التي أخرجتها عن مسيرتها التكاملية إلى الله.

فالرسالات كلها ثورات - بمفهومها الحالي - وهي على ثلاثة أنواع أساسية:

١. الرسالة التأسيسية (كالإبراهيمية والإسلامية) ثورات تأسيسية.

٢. الرسالة التصحيحية (كالمسيحية) ثورات تصحيحية.

٣. الرسالة الخاصة بأقوام (النبوات خاصة) ثورات جانبية.

فالرسالة هي أمر إلهي يُبلغها رسول يبلغ القمّة في الكمال الإنساني في عصره. هي تكون شاملة لكل البشر في ذاك العصر وهي تأسيسية - عدا رسالة السيد المسيح ﷺ - لأن لها فكراً إصلاحياً جديداً، ورؤية تفسيرية للكون والوجود جديدة، ولا تكتفي بالتلميح والتصحيح فقط بل تعمل لقلب الأوضاع السائدة وإقامة أوضاع تفرضها الرسالة وتغيير جذري في منظومة القيم الإنسانية وجعلها تنطلق من معين الرسالة وكتابها المنزّل من رب العالمين. وهذا يعني حقيقة الثورة وقمّة الثورية.

أما النبوات فهي تختلف عن الرسائل بالضيّق والأتساع فالرسالة شاملة والرسول يكون حجة الله على الخلق كلهم في عصره. أما النبوة فهي خاصة بأقوام الأنبياء الكرام وعندها يكون النبي حجة الله على قومه فقط. ويمكن تواجد عدد من الأنبياء في وقت واحد أما الرسل فلا يمكن ذلك لأنه لا ضرورة لذلك أبداً.

النبوة تنطوي تحت الرسالة إذا كانت في عصرها، كانطواء نبوة لوط وإسماعيل وأسحق عليهم السلام تحت راية بطل التوحيد وأبي الأنبياء خليل الرحمن، إبراهيم عليه السلام صاحب الرسالة التأسيسية في ذلك الزمن الموعّل في القدم.

أما الرسائل فهي ينسخ بعضها بعضاً أي: أن الرسالة التالية تنسخ الرسالة السابقة

و(الإسلام يجب ما قبله).^(١)

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

(١) راجع القواعد الفقهية (قاعدة جب الإسلام).

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
[آل عمران: ٨٥]

وهكذا بالنسبة لرسالة الخليل عليه السلام نسخت رسالة شيخ الأنبياء نوح عليه السلام.
ورسالة موسى الكليم عليه السلام نسخت رسالة الخليل عليه السلام - على تحفظ شديد من قبلنا - أما رسالة عيسى المسيح عليه السلام فهي الوحيدة التي كانت إصلاحية فأصلحت وأكملت رسالة نبي الله موسى عليه السلام وجاء الإسلام فنسخ الجميع على يدي رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومما سبق نجد أن لله تعالى سنناً كونية تحكم الكون وبما فيه، والشذوذ عنها يعني شذوذاً عن الإرادة الإلهية في هذا الوجود والشاذ دائماً سيؤول أمره إلى الهلاك والخسران المبين في الدنيا والآخرة، ومن هذه السنن الكونية التوحيد الخالص لله تعالى.

فكل شيء يسعى ل يتمحور حول مركز التوحيد، حول النور الأبدي الذي لا يوصف ولا يحدد ولا يؤقت ولا يؤين ولا يكيف وهو ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]

تلك هي سنة الكون. بيد أن الإنسان: ذو النفس الأمارة بالسوء، والشيطان الموكل بالنفس. تلك قد يشذُّ بها عن قاعدة التوحيد. قاعدة الطاعة المطلقة لله سبحانه.

وإلا فالإنسان - بوصفه ظاهرة كبقية الظواهر الطبيعية - مخلوق لله وبالتالي يجب أن يسير وفق سنن الله وتقديره في جانبه الإرادي. كما في جانبه البيولوجي، ومع هذا لا نستطيع أن نقول: إن الإنسان كله شاذاً في عالم الطبيعة وإنما بعد واحد من الإنسان وهو البعد الذي يتعلق بالجانب الإرادي فقط - وحتى هذا البعد لا يشذُّ مطلقاً - وإنما في إطار محددات ثلاثة هي:

١. بعض الناس يعبدون الله وحده.
 ٢. البعض الذي يعبد الله ولا يمكن أن يستمر في كفره أبداً إنما يكفر بالله - والعياذ بالله - لبعض الوقت ريثما ينجلي عن عقله فيتوب إلى رشده.
 ٣. البعض الذي يتمرد على فطرته فيبقى على كفره في حياته. فهذا يعاد قسراً إلى عبادة الله في الآخرة حيث يكشف الحقيقة وينسجم مع المسيرة العامة للمخلوقات هناك. ولكل هذه الأصناف هنالك - في الآخرة - جزاء وفاق عند الحق تعالى.
- وفي هذا الإطار من المسؤولية نفهم أن مهمة الإنسان في الحياة هي طاعة الله والخضوع لسنته في جوانبها التشريعية والفلسفية. وهذه مهمة لازمة للإنسان - أي لا يستطيع الفكك منها بأي حال من الأحوال - فقد يتخلى عن بعض جوانب المسؤولية هذه لبعض الوقت ولكن سرعان ما يجد نفسه عند الله ليوافيه حسابه ويعود - بالتالي - بالقوة والإكراه إلى سنة الله وملكوته قدرته.
- فالثورة في الإسلام: هي عملية تصحيح لمسيرة الإنسان وإعادته إلى النظام الكوني. إلى سنن الفطرة، والحياة لينسجم معها ويقطف ثمار الانسجام هذه عاجلاً أو آجلاً.
- أو هي - الثورة - إعادة الإنسان المنحرف الشاذ عن قاعدة التوحيد والعبادة في عالم الخليقة إلى حظيرة الإيمان والتقوى. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]
- وإذن يجب أن يعاد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى مجموعة البرامج والمناهج التي يقوم عليها الكون بكل أبعاده وعملية الإعادة هذه هي الثورة بل هي الرسالة. فهدف رسالات السماء إنما هو تصحيح مسيرة الإنسان في الكون.
- وهذه هي نظرية الحق الإلهية التي وردت في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]
- إذ إن كل شيء في الوجود قائم على أساس ونظام معين هو (الحق) والشذوذ عنه (باطل) وعملية الإعادة إلى ذلك النظام تعتبر في منطق الإسلام (ثورة).
- وبناءً عليه فليس كل عمل تغيير يغير يعني الثورة بنظر الإسلام إذ الثورة ليست

فوضى بل هي عودة إلى النظام. والفوضى هي حالة من الشذوذ يجنح إليها الإنسان أحياناً انسياقاً وراء أهوائه، ولعجزه، أو لجهله وهي حالة من (الباطل) المقيت.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

وكلمة ﴿زَهُوقًا﴾ تعني المتناثر والغير مرتبط بنظام. فالثورة تعني إعادة الإنسان إلى النظام، والشاذ إلى القاعدة، والباطل إلى الحق. إذ ليس كل هدم ثورة ولا كل اضطراب وهيجان شعبي ثورة.^(١)

فالثورة ليست مجرد تغيير تنشده وتعمل له مجموعة مقهورة لتلغي قهرها، وتستردّ حقوقها - بل هي أعمق من هذا - إنها طريق في سلّم التطور الأخلاقي للمجموعة البشرية وهذا السلّم يبدأ من السلوك الفردي في أبسط صورة إلى السلوك الجماعي للأمة والإنسانية بشكل عام. والصراع من أجل توزيع الثروة هو ذريعة للتطور بالبشرية من حالة أخلاقية رديئة إلى حالة أخلاقية راقية. بما تعني كلمة الأخلاق من الالتزامات وطريقة العمل.^(٢)

فالثورة في الإسلام هي: فكرة، وتنظيم، وعمل هادف، يعمل لإعادة الإنسان إلى الحق. وتصبح مناهج الحياة وفق رسالة السماء الخاتمة. ولا بدّ للثورة - أي ثورة - من فكر ثوري، ودستور عمل، ونظام ضابط لجميع الجوانب الحياتية. وربما نكون قد أعطينا فكرة عامة وشاملة عن مفهوم الثورة في الإسلام - ولو كانت مقتضبة وسريعة - وشرعية - ونصل إلى السؤال عن التأثير المسلم. من هو؟

(١) البعث الإسلامي ص ١١ آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله.

(٢) الشهيد والثورة ص ٢٩ آية الله السيد هادي المدرسي.

الثائر المسلم

الثائر: هو رجل حمل فكراً ثورياً وأراد تطبيقه على المجتمع بالتعاون مع رفاقه وكل من حمل معه مثل هذه الأفكار الثورية.

أي أن الثائر: هو إنسان ونظرية أصالة الإنسان في الوجود هي نظرية قديمة قدم الإنسان ومتجددة، معه خلال مراحل التاريخ من الإنسان الأول آدم عَلَيْهِ السَّلَام والى آخر إنسان على مسرح الحياة عامة. ولو انتابها بعض العوائق وتعلق بها بعض الشواذ من أجل حرفها عن أساسها وبناها الأصلية. ومنهم من ذهب إلى أصالة المادة، أو الاقتصاد، أو المصلحة. وكلها نظريات فاشلة بلا أدنى شك.

وهذه النظرية الثورية (الأنها متجددة) لم يبلورها ويعطيها حقها أحد كالدين الإسلامي الحنيف حقيقة.

والقرآن الكريم أكبر شاهد على ذلك وكفى به شاهداً إذ يقول:
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].
وقال تعالى في القرآن المجيد:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]

فالإنسان - باعتباره الموجود المكرّم والمفضل على كثير من الخلق، وباعتباره الخليفة في الأرض حيث كان من نسله خلفاء الله في الأرض وهم الأنبياء والأئمة الهداة - يجعله الإسلام محورا في هذا الوجود، فهو الأصل في الحياة الدنيا، بينما سائر ما في الطبيعة وما تفرزه من متطلبات - بما يسمى اليوم بالاحتميات - ليست إلاّ توابع وفروع لذلك الأصل.

فليست الشمس مركز الكون. وليس القمر كل شيء في المنظومة الشمسية. وليس التراب والماء والهواء وبالتالي التاريخ والمجتمع والثقافة والوارثة باحتميات. بل الإنسان والإنسان المؤمن بالذات هو المحور.

ولو كانت هذه الأمور حتمية فعلاً لما تكامل الإنسان ولا تطور. فالأسد يبقى في الغابة ملايين السنين كما هو لا يتغير، ولا يتطور، ولا يتقدم، ولا يتكامل. والحمامة هي الحمامة منذ أن خلقت وستبقى إلى ما شاء الله من السنين القادمة دون أن يطرأ عليها تغيير أو تقدم في جانب من جوانب وجودها.

فالذي منع الحمامة من التطور، وسلب الأسود قدرتها على أن تتطور وتبني حضارة وهي ملوك الغابة - كما تسمى - ومنع كافة الحيوانات من التغيير والتطوير إنما هي حتمية الظروف المحيطة بها والتي تنعكس في واقعها بصورة غرائز تسيّرهما.

ولو كانت هذه الغرائز هي القائدة في الإنسان، وتجري حياته وفق السنن والقوانين والأنظمة الطبيعية والبيئة المحيطة به لبقى كما كان - قبل مليون سنة - وسيستمر كذلك ولن يتغير أبداً تماماً كالمجتمع الحيواني.

إلاّ أننا نرى الإنسان يتطور ويتكامل أي أنه قهر الاحتميات بتحديه الظروف المحيطة. ويبني ويهدم ويعمر الأرض ويخترق الجبال ويسبر غور المحيطات

ويغزو الفضاء ويحطّم الذرّة. فهو يختلف عمّا في الطبيعة من أحياء ومخلوقات. وفي هذا دليل واضح على أن الإنسان هو الإنسان قبل أن يكون بناءً لمجتمعه، أو تابعا لأرضه، أو عبداً للمال، والطقس، والغذاء وكل ما يحيط به.

فهو المهيمن عليها ويبقى بذلك وجوده وقدرته وإرادته أصلاً ومركزاً بين متغيرات الكون. وهو أصل لأن الله سبحانه وتعالى أراد له ذلك وأعطاه كل ما فيه صلاحه وصلاح هذه الحياة التي سخرها له ومما أعطاه.

١. العقل. ليميز بين الخير والشر. ويعرف الحق من الباطل.

٢. الإرادة. ليتخذ موقفه حسب ما يمليه عليه عقله وعلمه.

٣. الوحي. ليعبد إليه توازنه ويشير دفائن عقله ويوقظ فطرته.

ولولا هذه النعم الإلهية لأصبح كالأسد في الغابة أو الحوت في البحر أو الصقر في جو السماء لا تطور ولا تقدم مطلقاً.

فنظرية أصالة الإنسان مقياس يعرف به مدى نجاح الثورات، فلا تكون ثورة على حق إلا إذا اعتمدته كأصل لها.

وكلما كان إيمان الثورات بأصالة الإنسان وقدرته على التحدي أشد كلما كان نجاحهم أقرب وكانوا أقدر على تحدي الصعاب.^(١)

والإسلام لا يقول «الثوري» ولكنه يقول «المؤمن» أو «الرسالي» لأن المؤمن أعظم دلالة من الثوري. لأن المؤمن هو التقي، والصابر، والمستقيم، والمتوكل على الله، والمستعين بالله، والملتزم بقوانين وشرائع الله. ولا يوجد مثل هذه المعاني في كلمة (ثوري) ويعزّز المؤمن (بروح الإيمان) كما يوصف الثوري بالروح النضالية والفرق شاسع.

والإيمان: هو وقر في القلب وعمل في الأركان. أو هو تصديق باللسان وعمل بالأركان^(٢) كما في الروايات المعتبرة. والمؤمن هو من يتصف بصفات الإيمان وذلك بإذعان القلب لما يكشفه العقل وخشوع القلب وخضوع الإرادة لذلك العلم

(١) البعث الإسلامي ص ١١٥ آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٣٤، أحاديث متعددة.

التي تصل إليه النفس البشرية ويؤيد الإنسان عند ذلك بروح الإيمان القدسية. فالمؤمن أقوى من الجبل (لأن الجبل ينال منه والمؤمن لا ينال منه)^(١) فخذ فأساً واذهب إلى الجبل وأضر به عدة ضربات. تجد أن الصخر يتفتت والجبل يتناقص. ولكن لو قتل المؤمن فأحياه الله. ثم قتل فأحياه الله ثم فعل به ذلك ألف مرة لما أزداد إلا إيماناً وتسليماً.

فأين الجبال من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام المؤمنين حقيقة الإيمان؟ والمؤمن أقوى من الحديد لأن الحديد يتغير بالنار والمؤمن لا يتغير بشيء. وقد يصل المؤمن إلى درجة أن يقول للشيء (كن فيكون) وذلك مضمون الحديث القدسي المشهور (عبدني أطعني تكن مثلي أو مثلي تقول للشيء كن فيكون).^(٢) وذلك لروح الإيمان التي عنده وبتأييد العلي القدير.

و(روح الإيمان يختلف عن روح القدس) المتواجدة في الأنبياء المرسلين. فالأولى تعطي العدالة للمؤمن بينما الثانية تعطي العصمة للرسول أو النبي والفرق بين الروحين كالفرق بين المقامين.

والإسلام الحنيف يرى ضرورة وجود الإنسان المؤمن الرسالي (الثوري) قبل وجود الثورة لأنه هو أساس الثورة ومنطلقها فاهتم لتربية الإنسان كفرد وذلك بعوامل حتى تسبق ولادته من قبل ضرورة اختيار الأم، والأكل الحلال، والزواج الشرعي، إلى الجنين وهو في رحم أمه حيث يوجه الأم إلى أنواع من الطعام والشراب والكثير من العبادات والأدعية.

ومن ثم الولادة والأذان بالأذن اليمنى، والإقامة في اليسرى، والتعوذ بالمعوذتين وعق العقيقة والتصدق بمناسبة الولادة والختان على الفقراء. وهكذا حتى يبلغ الرشد فتسير التعاليم الإسلامية معه وقبله أحياناً خطوة بخطوة. وذلك لتجعل منه مرتكزاً رسالياً ولبنة صالحة في بناء المجتمع الإنساني العام ولأمثال هؤلاء الرساليين تربية خاصة وتوجيه مركز لأنهم سوف يكونون الطليعة

(١) في رحاب الإيمان آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، ص ١٠٣.

(٢) كلمة الله ص ١٤٠ السيد الشهيد حسن الشيرازي (رحمه الله).

الثورية بلغة معاصرة وهم قادة في المجتمعات الإنسانية دائماً وأبداً وإن نكرهم الجهال والشواذ.

فوصية الرسول الأعظم ﷺ لأبي ذر^(١)، جندب بن جنادة، تختلف عن بقية الوصايا للناس العاديين لأئمة ﷺ كان يريد أن يصنع أو يجعل من أبي ذر ذاك الثائر الذي لا يلين ولا يهادن الظالمين ولا يعطي الدنية في دينه أبداً ليكشف زيف المبطلين وليكون شاهد حق وشهيد رسالة ومشعلا ينير الدرب للأجيال القادمة.

وكذلك وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن^(٢) عليه السلام فهي تختلف عن بقية الوصايا لأن مقام ومكان الإمام الحسن عليه السلام يختلف وقواه وروحه ونفسه النورانية تختلف عن الخلق كل الخلق وهو يريد أن يُعده أيام عصية على الأمة والإمام عليه السلام يأتي بها معاوية وأبناء أمية تجعل الولدان شيباً.

وهكذا وصايا الأئمة جميعاً^(٣) عليه السلام تختلف حسب العصور وحسب المتلقي للوصية إذ الكلام يجب أن يكون حسب المقام وإلا فيكون لغواً وكلما كانت الوصايا عميقة ومتكاملة ومركزة فهي تهدف إلى بناء ذرى إنسانية وبالتالي تعرج بأصحابها نحو الذروة العالية والقمم السامية - في دنيا الفضائل والأخلاق الإنسانية.

والإسلام يشكل نظرية متكاملة لمثل هذا البناء الحضاري للإنسان الرسالي المؤمن الذي تسميه بلغة معاصرة (بالثائر أو الثوري).

وهذا ما سيتضح فيما بعد وذلك عندما نجيب على السؤال الذي يقول: ما هي النظرية الثورية في الدين الإسلامي الحنيف؟؟

(١) كلمة الرسول الأعظم (ص) ص ١٩٣ السيد الشهيد حسن الشيرازي.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) راجع تحف العقول لابن شعبة الحراني.

النظرية الثورية الإسلامية

النظرية الثورية - لأي ثورة - هي دليل عملها
وبرنامجها التي تسير عليه.

والإسلام ثورة إنسانية ودليل عملها القرآن الكريم
والناتر المثالي: هو رسول الله محمد ﷺ
وأهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين كانوا الصورة
الحقيقية والواقعية للقرآن الكريم، لذلك سُمُوا
«بالقرآن الناطق» وربنا سبحانه قال لنا: ﴿لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:
٢١] ورسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق»^(١).

ولبحث النظرية الثورية الإسلامية نحتاج إلى مجلد مستقل إذا لم يكن
مجلدات كاملة.

ولكن نكتفي بهذه العُجالة في هذا المقام الذي لا يسمح بالإستطراد. ولذلك
سنكتفي بتوضيح والالمام إلى أربعة جوانب هامة وتعتبر الأساس في بناء أي
مجتمع من المجتمعات الإنسانية على الإطلاق موضحين الموقف الإسلامي
الثوري في تلك الجوانب التي تاه بها العلماء وتحير العقلاء وتساءل الجميع عن

(١) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني ج ٥ ص ٨٩.

المخرج السليم لتلك المعضلات وخاصة المعاصرة.

١. الجانب العقائدي والثقافي

إن العقائد الإيمانية في الإسلام هي نابعة من عقيدة التوحيد لله الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]. وكذلك بقية المداميك الأساسية للعقيدة لاكتمال بنيانها وتمام عمرانها في القلوب السليمة وهي الإيمان بالرسول والكتب المنزل والأئمة والأوصياء المعيّنين. وبالعدل الإلهي. وبالיום الآخر وهو باب من أبواب الإيمان بالغيب كله.

هذه المداميك تسمى بأصول الدين الإسلامي الحنيف. وبهذه الأصول لا تقليد - كما يقول الفقهاء - بل الواجب الإيمان المطلق بها.

والإسلام الحنيف: هو - بالحقيقة - دين الحياة بكل ما فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] وذلك بالاستجابة للرسالة لأن وعي الرسالة يعني الحياة الحقيقية، وجهلها يعني الموت الحقيقي. وكلما كان وعينا لرسالة الإسلام أعم وأشمل كان إنعكاس أشعته النورانية وترشحات الفيوض القدسية إلى حياتنا ألطف.

فالطيب لا يعطي إلا طيباً، وقارورة المسك لا تعطي إلا رائحة زكية.

والإسلام دعوة كريمة لكي نعي الحياة بالفكر، والعقل، والقلب. وأن نعيش الحياة بين الأحياء والواقع لا في الخيال والكتب. فما قيمة المسك إن بقي محبوساً في زجاجة؟ ولماذا لا نرشه على الناس، وعلى الكون لينشر شذاه وينعم الناس بطيبه وعبقه وأريجيه فيسبّحوا بحمد الصانع ويشكروا المنعم على ما أنعم.

والثورة في ميدان العلم والثقافة، هي رفض قطعي لثقافة الطاغوت، وعلماء الطاغوت، والبلاطات لأن الثقافة الطاغوتية هي ثقافة متخلفة ومتحجرة لأنها تستضعف الإنسان وتذله وتسلب منه أبسط حقوقه وهو حق الحياة إلى أرفعها وهي الحرية ولا تجعله إلا آلة أو برغي في آلة يسيرها كما يريد أو كما تريد الظروف له ولا يسمح له حتى بالتفكير ويمنع عنه حتى الأحلام النومية.

فأية كرامة وأية عزّة وشرف للإنسان في ظل الطاغوت وأذنبه تجوب البلاد وتبحث حتى في الكهوف عن طلبة الحرية والعدل والمساواة.

فدعوة الانعتاق ورفض جميع أنواع الجهل، والتخلف والانفتاح على الحياة الحرة الكريمة وبما أراد الله - عز وجل - وحسب قوانين السماء، وتشريعات الرسل الكرام. بالحقيقة - هي الثورة الثقافية الإسلامية.

وعلى الجميع أن يعلم أن بلوغ الأهداف لن يكون دون أن نتبين المسلك، والاتجاه الصحيح وكان من الضروري أن نبحث عن السنن الإلهية أولاً. ثم نتحرك ونعمل وفق هديها القرآني. وإن من أهم أهداف الرسالات السماوية وبعثة الأنبياء والرسل ﷺ هو تفجير طاقة التغيير الكامنة في عمق الذات الإنسانية، فقد جاء الأنبياء ﷺ ليظهروا الفكر الإنساني من الأدران، والأوهام، والخرافات العالقة في الأذهان. وليفهموا الإنسان أن هناك سنناً، وأنظمة، وقوانين جعلها الله سبحانه في هذا الوجود، فكان ضرورياً أن تكون هناك شرائع وأنظمة وقوانين إلهية تنسجم مع تلك السنن الكونية، وتنظم بها حركة الحياة الإنسانية في المسار المطلوب في شتى مجالاتها من اجتماع، وسياسة، واقتصاد، وثقافة.

ولذلك كان لا بد للإنسان من تطبيق تلك الشرائع والقوانين التي جاءت بها رسالات السماء كي يتحقق الهدف الإلهي من الوجود الإنساني. وعلى الإنسان أن يعي هذه الحقيقة التي تقول: أن الأنبياء والرسل وبما جاءوا به من أنظمة، وشرائع. إنما أرادوا أن يخرجوا الإنسان من دنيا الظلمات إلى عالم النور والبصيرة والهدى.

ومن الحالة البدائية الساذجة المتخلفة إلى حالة التطور، والتقدم الحضاري^(١). والدراسة النظرية، والجانب النظري من هذه الشرائع والتي تتعلق بعالم الغيب وتوجه الروح وتنميها هي ما نطلق عليه الجانب الثقافي في الثورة وبلورها الدستور الإلهي الخالد ألا وهو «القرآن الكريم».

(١) الوعي الإسلامي ص ٨٧ آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)

٢. الجانب الاقتصادي.

ولهذا الجانب من الأهمية العظمى في الحياة الإنسانية بشكل عام ولذلك اهتم به الإسلام أي اهتمام.

وبيّنه أي بيان في كل تشعباته وتعقيداته.

وبالحقيقة فإن النظريات المعاصرة بمعظم فصائلها تاهت في المسالة الاقتصادية حتى ذهبت بعض الاتجاهات لاعتباره حجر الأساس في الوجود وأن الحياة كلها تنطلق منه وإليه تعود.

إلا أن الإسلام عبّر عن الملكية بحقيقتها وأوضح بأن الملك لله تعالى - بالأصالة - .

وللإنسان بالاعتبار. فكل شيء في هذا الكون، وهذا الوجود هو ملك لله - بما فيها الإنسان - إلا أن الله فوّض إلى المخلوق المكرّم والمفضل شؤون هذا الكون بما فيه وبذلك أصبح له حق التملك والتصرف والبيع والشراء وغيرها من الشؤون المالية.

ومقابل ذلك فرض عليه واجبات وحقوق شرعية مالية وأوجب عليه دفعها بما لا يضر أهل المال وصاحبه ويقيم أود الفقراء، والمعوزين، والمحتاجين، والمجتمع بشكل كامل، والواجبات المالية جداً بسيطة وزهيدة لو فكر فيها الإنسان بشكل واقعي وهي: الخمس، والزكاة، والحرية في الصدقات.

وقال سبحانه في كتابه المجيد: ﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم: ٣٩-٤٠]

فالإنسان لا يملك إلا جهده وعمله وضمن طاقته وهذا شامل لأعمال عضلاته أو فكره وعقله وقلمه أو أي عمل آخر فالأجر هو حق من حقوقه، وللآخرين كذلك هذا الواجب (العمل) ولهم كذلك هذا الحق (الأجر) وكل زيادة أو إتقان في العمل يوجب زيادة في الأجر. أما كل زيادة في الأجر دون وجه استحقاق فهو سرقة من جهود الآخرين وهذا حرام. ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [العلق: ٦]

والحرام هو ما كان فيه مفسدة فنهى الله سبحانه ورسول الإسلام ﷺ عنه

وفي هذا المجال - الاقتصادي - فقد حرّم الإسلام الربّاء، والاستغلال، والسرقة، والاحتكار، والبخل، التقدير، والإسراف، والتبذير. وحرّم الكثير من المعاملات التي يحتمل فيها المضرة لأحد الأطراف ووجّه للوفاء بالعقود والعهود. وأوجب كتابة أية معاملة مالية أو تجارية صغيرة أو كبيرة وقال ﴿وَلَا تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

وكذلك قال ﴿وَلَا تَسْوُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

وقال ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]

والتنظيم الإسلامي للاقتصاد والتشديد في بعض المواقع الحساسة: هي نظرية الحق تعالى وعليه فلا يحق للإنسان أن يتجاوز أي حد من الحدود سواء إفراطاً أو تفريطاً.

وكما أن للإنسان حقوقاً على المجتمع كذلك عليه حقوق وواجبات يجب أن يراعيها ورجل المال يجب أن يشارك في الثروة ومسؤولياتها حسب الحدود الشرعية وحسب تشبعه بقيم الثروة الإسلامية وعليه الإيثار - وهو من أرفع المبادئ الإنسانية التي أوجدها الدين الإسلامي - على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع ككل.

فمن غير المعقول - إسلامياً وإنسانياً - أن يكنز الرجل المال، أو يحتكر المواد، ولا يقوم بواجباته المالية أو أن يمنع الناس حقهم في العيش طمعاً بقليل من الدراهم الدنيوية فيمنع الناس طعامهم، أو شرابهم فيعيش المجتمع حالة من البؤس الشديد.

فالمال يجب أن يكون في خدمة الإنسان والمجتمع ككل. وإذا انحرف فرداً أو أفراد في توظيف المال ضمن هذا الإطار - الحد الشرعي - فعلى المجتمع أن يضع يده على المال ويمنعه من التصرف به لأن المال يعود للمجتمع وليس ليكنزه فرد أو يتنعم به أفراد فقط. وحالة الاقتصاد الجاهلي من استغلال وسرقة ونهب وغزو ونكث بالعهود والعقود والمواثيق و.و. وجاء الإسلام وقوم الوضع

الاقتصادي وأعطى المفهوم الحقيقي للمال كما أعطى المفهوم الواقعي للإنسان والحياة على وجه العموم بشكل ليس له مثيل من قبل ولا من بعد. وهذا ما أثبتته الدراسات الاقتصادية الإسلامية في العالم المعاصر الذي جعل من الاقتصاد مشكلة المشاكل التي ليس لها حلول ولا يمكن الخلاص من مشاكلها وتعقيداتها أبداً.

٣. الجانب الاجتماعي

المجتمع: هو مجموعة الأفراد الذين يعيشون فيه - والتعريف شامل للضيق والاتساع - أي ربما يطلق على أهل قرية أو حي مجتمع» وعلى البشرية كذلك نقول: المجتمع الإنساني. والمجتمع كالفرد تماماً فله حرمة وله حدوده وعليه واجبات وحقوق يجب أن تراعى كما تراعى حرمة الأفراد، دم، ومال، وعرض. والمجتمع المحترم هو الذي يضم أفراداً محترمين ويتمتع بقيم إنسانية رفيعة ويقوده إنسان في قمة الكمال الإنساني. فلذلك كان المجتمع الذي يقوده رسول أو نبي هو مجتمع مثالي إلى حد ما ومثالي بالمطلق إذا لوحظت أعمال وأقوال الرسول أو النبي لأنه معصوم مسدّد من الله أي أنه لا يقول ولا يعمل إلا بوحى من الله وبهذا كل المصلحة للأفراد والمجتمع.

والقرآن الكريم بلور نظرية الاجتماع الإنساني في كثير من الآيات المباركات إلا أن قوله تعالى في هذه الآية كان أبلغ وأوضح إذا لوحظت بشكل دقيق وهي:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠ - ٩١]

فالإسلام يريد للمجتمع الإنساني أن يكون مجتمع العدل، والإحسان،

والتواصل بين البشر وكذلك الوفاء بالعقود والعهود أي أنه يريد من المجتمع أن يكون مجتمعاً (مؤمناً)

أو (متّقياً) كما يريد ذلك للأفراد المؤمنين والمتّقين.

وما رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام إلا دستور عمل وقانون اجتماعي إسلامي إنساني رائع.

وكذلك عهد الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الإشتري حين ولّاه على مصر؛ ففيه الكثير من الجوانب المضيئة بالنسبة للقائد خاصة وبالنسبة للمجتمع عامة وهو أشبه بدستور دولة من الدساتير المعاصرة.

فأساس الفساد في المجتمعات تجاوز الحدود وتضييع الحقوق بين الأفراد والجماعات ولذلك أصل الصلاح فيه إعادة المتجاوز إلى حدّه وإيقافه عنده. وإعطاء الحقوق لمن ضاع حقهم وبناء المجتمع على أساس العدل والاستقامة، وبهذا ينعم المجتمع ويعيش البشر بسلام.

٤. الجانب السياسي

ونعني به الجانب القيادي في المجتمع - إذا صحَّ التعبير - والبحث على مستوى القيادة والأفراد معا على وجه الإجمال لا التفصيل.

والإسلام: دين وتمدين. والدولة تعبير عن شخصية المجتمع الواعية والمؤمنة.

هو سياسة وقانون سياسي للكون والمجتمع الإنساني كله. وهو دين إلهي

منزّل بالحقيقة والواقع.

لأنني أرى فلسفة الدين، أو سبب وجوده: هو قيادة الدنيا - وخاصة البشر -

إلى الحق والعدل وإلى الله سبحانه وجنانه الخالدة في الدار الآخرة. وهذه القيادة

تسمى - حالياً - سياسة.

وليست: هي فن المراوغة والخداع والكذب. أو فن الدّجل على المجتمعات

الإنسانية ليسلموا لك زمام أمورهم. أو هي مجموعة الوسائل للوصول إلى قيادة

مجتمع ما في مكان ما ودون النظر إلى الأساليب أو الطرق المتبعة حتى ولو كان

الطريق على الجثث الآدمية أو ربما إحتاج الوصول إلى قصر الإمارة إجتياز نهرا من الدماء البريئة والعياذ بالله.

ولذلك وجّه الإسلام الحنيف إلى ضرورة إزالة الطغاة والجبارين من المجتمع أبداً ولخص القانون والنظرية السياسية بكلمات غاية في البلاغة والدقة والجمال حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]

وقال عز من قائل في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وفي آية أخرى، يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]

فهذه الآيات وآيات أخرى مباركة تعطينا المنهج الحقيقي للسياسة الإسلامية وتهدينا إلى سواء السبيل إذا ما فهمناها وطبقنا فهمها الصحيح والواقعي على أرض الواقع وفي الحياة الاجتماعية كما فعل ذلك رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام حينما كانا قادة المجتمع الفعلي في المدينة المنورة.

فأصل الفساد الاستبداد وسبب الاستبداد الطغيان. والطغيان هو الزيادة المفرطة بالظلم والاستعباد والاستغلال للبلاد والعباد ودون أي وجه حق في ذلك.

فالسياسة الإسلامية تعني سياسة الكون والمسير بالبشر نحو النور والضياء الأبدي. نحو الله - جل جلاله - ليكون بحق عبد الله ويستحق بالتالي تسميته بخليفة الله على الأرض. والخليفة يجب أن يكون أقرب ما يمكن إلى المستخلف أما الأبعد فلا يمكن ولا يستحقوا أن يطلق عليهم هذا الاسم الجليل.

فالخلفاء الحقيقيون: هم الأنبياء والأوصياء فقط ورغم ذلك أمرهم الله -

سبحانه. بالعدل في الرّعية

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦] لأن

العدل مقياس الصلاح والفساد على وجه الأرض وفي السماء كذلك.

والجاهل أو الذي لا يعرف وجه الحق والحكمة في حكم من الأحكام كيف

له أن يحكم أو أن يهدي إلى الحق والصدق. والذي يجهل عموميات وكماليات

الشئ والوقائع كيف له أن يحكم في الجزئيات والتفاصيل البسيطة بما يطابق

الواقع.

وسبحانه يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا

لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]

فسائس وقائد العباد يجب أن يكون خبيراً بهم وبمصالحهم ومفاسدهم لكي

يتسنى له النجاح في عملية القيادة المعقدة تلك.

وبعد هذا الاستعراض السريع والمقتضب جداً للنظرية الثورية في الفكر

الإسلامي والتي تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتوضيح فإننا نصل إلى سؤال

جداً مهم كنا قد قدّمنا له بهذه المقدمة الثورية عن الثورة والناظر والنظرية الثورية

وهو أين ثورة الإمام الحسين عليه السلام من كل هذا؟

وهل تصدق على نهضته المباركة إسم الثورة؟ وعلى حربه اسم الحرب

أم لا؟

وبالتالي أي نوع من الثورات كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام؟

ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الخروج على الحاكم الظالم في ذلك العصر: هو ثورة بمفهومنا العصري وفي الوقت الحاضر: فالإمام الحسين عليه السلام قام بثورة بكل ما تعنيه الكلمة. وهي ثورة إصلاحية لا تأسيسية وهذا ما عبّر عنه عليه السلام بقوله: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).^(١) فثورة الجد المصطفى صلى الله عليه وآله ثورة تأسيسية على مستوى العالم. وبعد الانحراف عن الصراط المستقيم الذي وقعت فيه الأمة فلا بد من بطل يقود الطلائع الثورية من أجل عملية التغيير والإصلاح وإعادة الأمور إلى نصابها، والمياه إلى مجاريها، والأمة إلى الصراط المستقيم ولم يكن هناك شخص أجدر من الإمام الحسين عليه السلام (وأنا أحق من غيري) ليقوم بهذه العملية التصحيحية.

والإمام الحسين عليه السلام هو نائر بل هو قبلة الثوار وإمامهم ونبراسهم الذي لا يخبو نوره ولن يخبو ما بقي ولد طاهر الولادة على وجه البسيطة بإذن الله. لأن

(١) خطب الإمام الحسين عليه السلام على طريق الشهادة ص ٧٠ عن مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٨.

جذوة الحب وحقيقة الولاء له ولأبويه وجده ﷺ هي فيصل بين الكفر والإيمان. وبين الطهارة والخبائث.

(يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق).

و(يا علي يا يحبك إلا طاهر الولادة ولا يبغضك إلا خبيث الولادة)^(١).

وهذا أمر مسالم به لدى العرفاء، والعلماء، وأهل التحقيق الأفاضل. وبشهادة عائشة بن أبي بكر وهي من هي بالعداء للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث تقول:

إذا ما التَّبر حُكَّ على المحك

تبين غشه من غير شك

وفينا الغش و الذهب المصفى

علي بينا شبه المحك^(٢)

وكذلك قول الشاعر صفي الدين الحلبي:

وإنني قد أخبرت بك البرايا

فأنت محك أولاد الحلال^(٣)

ولإلقاء الضوء على حقيقة الأوضاع الإسلامية ثقافياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، في تلك الحقبة فلا بأس بأن نلتفت إلى التاريخ ونأخذ منه إضاءات تفيدنا وتزيدنا علماً لمن جهلها وبقينا ووعيا لمن عرفها. وقبل ذاك الإمام لا بأس بأن نتزود بآية من دستور الإسلام الخالد، وكتاب ثورته الأول: (القرآن الكريم) كتاب الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل هو تنزيل من حكيم علیم. وهي قوله تعالى في سورة الإسراء المباركة.

(١) نهج البلاغة: ح ٤٤.

(٢) المناقب: ج ٣ ص ٩١ فصل في أنه الصديق و الفاروق و الصدق.

(٣) تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون: ص ٣٥٩.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]، ولو راجعنا المفسرين لوجدنا العجب العجيب في تفسير هذه الآية المباركة. ولاحظنا كم هو الخلاف والاختلاف في تفسيرها وأسباب نزولها؟ وهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

فهناك شبه إجماع من قبل إخواننا أصحاب مدرسة الخلفاء - إلا المنصفين منهم فقد ذهبوا إلى ما يوافق رأي أهل البيت عليهم السلام - أن الشجرة الملعونة في القرآن: أنها شجرة الزقوم التي تخرج من أصل الجحيم. والعياذ باللَّهِ.

وأما رؤيا رسول الله ﷺ فقد كانت في ليلة المعراج حيث كان عروجه روحاني فقط - باعتبار الرؤيا هنا - .وأما التخويف فقد كان بها - شجرة الزقوم - باعتبارها مثلاً لطعام وشراب أصحاب النار وبئس المصير - أجارنا الله - .وكما أصبح واضحاً أن - يزيدهم إلا طغياناً كبيراً - هي طغيان مارسه الحكام بحق الأمة ككل حيث لم ينفعوا ولم يعتبروا بهذا المثل المضروب لهم.

أما التفسير الحقيقي والواقعي والأقرب إلى الرؤية الإستراتيجية لكتاب الله العظيم والتفسير الحق ممن جعلهم الحق تعالى حفظة الكتاب وترجمان الوحي المقدس إلى الأمة الإسلامية كلها ألا وهم أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

وقرأت في تفسير البرهان فقط أكثر من ستة عشر حديثاً عن أئمتنا الكرام عليهم السلام في تفسير هذه الآية أنها نزلت على رسول الله ﷺ بعد رؤيا رآها رسول الله ﷺ في الأشهر الأخيرة من حياته الشريفة وملخص الرواية على الشكل التالي.

روي أن رسول الله ﷺ ذات يوم استيقظ من نومه مذعوراً متحيراً. فسئل عن ذلك فقال ﷺ:

إنني رأيت فتية آل أمية ينزون على منبري نزو القروء. فاستيقظت مذعوراً مما رأيت.

وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ لم ير ضاحكاً أو مسروراً بعدها قط

إلى أن إنتقل إلى الرفيق الأعلى.^(١)

وبعد هذه الرؤيا الحقيقية - لأن الأنبياء والأوصياء وبعض الأتقياء كذلك لا سبيل للشيطان إليهم فهم في حفظ الله واستثنائه ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] - فهي رؤيا تنبىء بمستقبل الأمة وتخبر الرسول الأعظم ﷺ عن تحول خطير بمسيرتها المباركة حيث سيتسلم قيادتها فجار فسقة طلقاء منافقين لم يعرفوا من الإسلام إلا اسمه وضيعوا منه حتى رسمه ولا يهمهم من الأمة شيء إلا الطاعة ودفع الأموال لخزينة الحاكم كي يتصرف بها كما يشاء ويصرفها على ملذاته وترفه ومجونه، وقيانه البغايا.

ولهذا اغتم رسول الله ﷺ وقام خطيباً وحذر الأمة ونبهاها من استيلاء أولئك الجبارين على مقاليد الحكم في الأمة فقال أحاديث كثيرة سواء أكانت تلويحاً أم تصريحاً حتى إنه يروي الرواة أنه ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فابقروا بطنه»^(٢)، لأن الإمامة لا تكون في الطلقاء وأبناء الطلقاء. وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي من بها لجان التزوير والكذب على الله ورسوله ﷺ التي شكلها الحكام والطغاة من الأمويين وأذئابهم الآثمة.

فتحذير الرسول الأعظم ﷺ الأمة الإسلامية من مهادنة الطغاة لكي لا يستفحل خطرهم وينتشر شرهم ويفرقوا الأمة ويجعلوها طرائق قددا يمزقونها شر تمزيق هذا الذي كان بالفعل فقد قرأه رسول الله ﷺ ورآه رؤيا العين وخبره خبرة البصير المستنير بضياء الوحي والمسدد من الله بكل قول وفعل.

فالتفسير الحقيقي للآية المباركة هو. أن الله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علما وهر محيط عالم بخفايا الضمائر وخفايا السرائر ولا تخفى عليه خافية لأنه جل جلاله أقرب للعبد من حبل الوريد. فإنه يخبر رسوله الكريم ﷺ بأن المنافقين يدبرون بالخفاء ويكيدون أعظم الكيد من أجل الاستيلاء على المواقع الهامة في قيادة الأمة الإسلامية. وأن عوام الناس الهمج الرعاع الذين ينعمون مع

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٨١ - تاريخ بغداد للخطيب ج ٨ ص ٢٨٠.

(٢) مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٤ - وللوقوف على أحوال معاوية فعليك بالنصائح الكافية لابن عقيل.

كل ناعق سوف يخضعون لهم ويخذلون القيادة الربانية الحقيقية فيتسلط أولئك الجبارين على الأمة فيذيقونها أنواع الذل والهوان^(١).

فرويا رسول الله ﷺ أن القردة أو صبيان بني أمية يلعبون ويدنسون منبره الشريف والمنبر في ذلك العصر كان يعني: القيادة العامة.

كان يعني الكرسي المالك في المفهوم الحالي للدول.

فاغتم رسول الله ﷺ لذهاب الأتعاب والجهاد المبرر ضد أبو سفيان وطغمته الفاسدة التي حاولت بكل ما أوتيت من قوة، ومكر، وخداع، وأموال من أجل عرقلة مشروع الدولة الإسلامية المباركة. وقبل أن ينتقل إلى جوار ربه يرى أن أبناء ذلك الطاغية يتربعون على عرش القيادة ويلعبون على منبر الهداية الربانية. إنه لأمر محزن حقاً. ولذلك لم ير رسول الله ﷺ بعدها ضاحكاً أو مسروراً أبداً ويحق له ﷺ ذلك.

وذلك لسببين عظيمين:

١. ضياع التعب: وبذلك ضياع الأمة الإسلامية كلها وهذا أمر كرس له الرسول ﷺ كل حياته الشريفة وربما يكون أحد أهم أسباب البعثات الإلهية عبر التاريخ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور. والعودة من النور إلى الظلمات يحزن الصالحين ويفرح الطغاة والجبارين.

٢. قتل أبنائه الكرام وأهل بيته الأطهار عليهم السلام بأيدي الأمة ذاتها، وبفتاوى شرعية تستند إليه ﷺ في كثير من النصوص حتى قالوا: أن الحسين قتل بسيف جده^(٢) - حاشا لله وكلا - بل استعملوا السيف الذي استلبوه من رسول الله ﷺ بالقهر ولغدر من أجل فري لحمه وقتل ولده الكرام عليهم السلام.

فعلت ذلك الأمة رغم تعظيم وتنبية الأمة: إلى ضرورة مودتهم، وحبهم، والتمسك بحبل ولائهم. حتى قرنهم الله مع القرآن الكريم. وجعل مودتهم أجراً للرسالة الإسلامية كلها. وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «ما أودى نبي بمثل ما

(١) للوقوف الى تفسير الآية راجع تفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية: ج ٥ ص ٦٠

(٢) فتوى مشهورة لشريح القاضي.

أوذيت»^(١).

فأعظم أذية لرسول الله ﷺ قتل ابنته الوحيدة (زهراء الرسول) بعده بأيام بسبب إرثه لها ومطالبتها بحقها وحق أبنائها. وكذلك قتل بعلمها وأبنائها بدور الدجى ﷺ واحداً تلو الآخر حتى بلغت أوجها في مذبحة كربلاء الخالدة خلود الرسالة.

فأعظم فتنه هي فتنه الطغاة والجبارين حين يستولوا على مقاليد الحكم في الأمة ولذلك عبّر سبحانه بقوله (فتنة للناس) أي أن هذه الرؤيا الصادقة والحقيقية وإخبارك الأمة بما ستؤول إليه الأمور من بعدك سوف يكون فتنه وامتحاناً كبيراً واختباراً شديداً كفتنة وامتحان الذهب بالنار من أجل تخلصيه من الشوائب العالقة به.

فما بقي مع الإمام الحسين ﷺ بعد نتائج تلك الامتحانات إلا الذهب الصافي الذي لا يشوبه شائبة من نفاق، أو حسد، أو تكبر حاشاهم.

فالنتائج الأولية للامتحان كانت في كربلاء، والنتائج النهائية ستكون مع الإمام الحجة المنتظر مهدي هذه الأمة في آخر الزمان ﷺ، وعجل الله تعالى فرجه الشريف، وجعلنا ممن يبقون على العهد والميثاق إنه سميع مجيب.

فشجرة بني أمية هي التي لعنها الله سبحانه وتعالى؛ وهي الشجرة الخبيثة التي وصفت في سورة إبراهيم الخليل ﷺ حيث إنها تقابل الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة المباركة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فالشجرة الطيبة هي شجرة الرسول الأعظم وأهل البيت ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وبقية سورة ﴿هل أتى﴾ تذكر، وتشير إلى مكانتهم في الجنان عند الرب المنان.

فالشجرة الخبيثة هي شجرة (صخر بن حرب أبو سفیان) وولده معاوية ويزيد ومن خرج من تلك الأصلاب الخبيثة والأرحام الرجسة مثل: (هند وسمية وميسون) فكلهن من أصحاب الرايات ومعروفات بالبغي والفساد والعياذ بالله.

(١) موسوعة بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٥٥، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٤٧.

وامتحان الأمة بالتمسك بأغصان الشجرة الطيبة وقلع الشجرة الخبيثة من الجذور إلا أن الأمة - ويالأسف - أرسلت دعائم للشجرة الخبيثة وحاولت اقتلاع الشجرة الطيبة فلم تعيش بسعادة، وكرامة، وحرية آمنة مطمئنة للأنفس، والأموال، والأعراض بل كانت معيشتها ضنكا وقادتها نوكا (بلهاء).

والقرآن الكريم والرسول الأعظم ﷺ حذر الأمة ونبهها إلى هذه الحقيقة بالرؤيا والواقع وبين لها أن الطلقاء لا يصلحون لقيادتها وخاصة معاوية ونسل أبو سفيان كله وكذلك نسل العاص بن وائل وكذلك آل أبي معيط وغيرهم من المنافقين والطلقاء.

وسبحانه يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]

إلا أن هذا التحذير وهذا التخويف لم يزيد بني أمية إلى عناداً للوصول إلى تحقيق هذه الرؤيا وحقوقها فعلا. والأمة راحت تنعق وراءهم ولا تدري إلى أين تساق فسأقهم الطغاة إلى حرب ابن بنت نبيهم ﷺ وقتله وقتل أبنائه وأصحابه الكرام على تراب كربلاء الحزين.

فبنو أمية ازدادوا طغياناً، والأمة ازدادت خساراً. وإلى الله المشتكى. والملفت أن لفظة (يزيدهم) تفيد فيما تفيد - أن (يزيد من معاوية) سوف يكون أكبر طاغية وأن طغيانه سوف يطم ويعم بشكل كبير جداً لأنه وخلال سنوات حكمه الأربعة انتهك حرمة الله. والرسول ﷺ. والأمة والإنسانية بأبشع صورة عرفها التاريخ.

١. انتهك حرم الله وحرمة الكعبة حيث دمرها بالمنجنق وقتل عبد الله بن الزبير وأحمد ثورته.

٢. انتهك حرمة الرسول الأعظم ﷺ بقتل ولده والمخلصين من أبنائه في كربلاء الحزينة.

٣. انتهك حرمة الأمة حيث دمر المدينة المنورة وفعل فيها الأفاعيل بوقعة الحرّة المشهورة.

٤. انتهك حرمة الإنسانية بسبب جرأته على سفك دماء البشر دون رادع أو وازع ويقال أنه تزوج عمته وهذا لم يقره ضمير بشري أو حتى حيواني قط إلا الخنازير وأشباههم ممن يتصفون بالخنزرة.

وبعد المرور السريع على تفسير هذه الآية المباركة نعود - والعود أحمد - إلى حديثنا عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي قامت من أجل انتزاع الأمة من الشجرة الخبيثة والملعونة في القرآن وإعادتها إلى موقعها الحق وقيادتها الصحيحة.

فالإمام الحسين عليه السلام كان يرى أن الثورة واجبة حتى على معاوية قبل ولده يزيد إلا أن الظروف الموضوعية التي جعلت الإمام الحسن عليه السلام يصالح ويهادن معاوية ما زالت قائمة هذا من جهة. ومن جهة أخرى أن معاوية - كشخصية - فانه من أدهى، وأمكر، وأخبث الحكام الذين مروا على الأمة الإسلامية. فإنه بالغ الشيطنة والحنكة السياسية بلغتنا المعاصرة فعلاً. وبهذا يختلف عن يزيد الأبله الغبي والمجاهر بالمنكرات على عيون الأشهاد.

ولهذا واضح من خلال الكتب الكثيرة التي كتبها الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية ومما سجله التاريخ نقتطف كلمات نارية وجهها الإمام الحسين عليه السلام إلى قلب ورأس الحكم الأموي.

هيهات هيهات يا معاوية. فضح الصبح فحمة
الدجى. وبهرت الشمس أنوار السراج. ولقد
فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت،
ومنعت حتى بخلت، وجزت حتى جاوزت، ما
بذلت لذي حق من إسم حقه بنصيب حتى أخذ
الشیطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل.^(١)

(١) ثورة الحسين عليه السلام - الشيخ محمد مهدي شمس الدين ص ١٣٣ عن السياسة والإمامة ج ١ ص ١٩٥

وقال له عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتاب آخر أثر وشاية جاءت من أحد عيونه اللعناء في المدينة المنورة وأن بعض وجهاء الكوفة وشخصيات العرب تجتمع عند الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويوشك أن يقوم بوجه معاوية:

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه: أنه إنتهت إليك عني أمور أنت إليّ عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير. فإن الحسنات لا يهدي إليها إلا الله تعالى. أما ما ذكرت أنه رقي إليك عني فإنه رقاؤه إليك الملاقون المشاءون بالنمائم المفرقون بين الجمع كذب الساعون الواشون ما أردت حربك ولا خلافا عليك - وإيم الله - إني لأخاف الله (عز ذكره) في ترك ذلك وما أظن الله (تبارك وتعالى) براض عني بتركه، ولا عاذري بدون الاعتذار إليه فيك، وفي أولئك القاسطين الملبين حزب الظالمين بل أولياء الشيطان الرجيم.. ألسنت قاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين؟ كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع ويؤثرون حكم الكتاب ولا يخافون في الله لومة لائم فقتلتهم ظلما وعدوانا بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة تجدها في صدرك عليهم.. أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفرت لونه ونحلت جسمه بعد أن أمنت وأعطيته من عهود الله (عز وجل) وميثاقه

ما لو أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من
 شعف الجبال ثم قتلته جرأة على الله (عز وجل)
 واستخفافاً بذلك العهد أ ولست المدعي زياد
 ابن سمية المولود على فراش عبيد عبد ثقيف؟
 فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله ﷺ
 الولد للفراش وللعاهر الحجر فتركت سنة
 رسول الله ﷺ واتبعت هواك بغير هدى من
 الله ثم سلطته على أهل العراق فقطع أيدي
 المسلمين، وأرجلهم وسمل أعينهم وصلبهم
 على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة
 وليسوا منك.. أ ولست صاحب الحضرميين
 الذين كتب إليك فيهم ابن سمية أنهم على دين
 علي ورأيه فكتبت إليه: اقتل كل من كان على
 دين علي عيسى عليه السلام ورأيه فقتلهم ومثل بهم بأمرك
 ودين علي - والله - وابن علي الذي كان
 يضرب عليه أباك وهو أجلسك بمجلسك الذي
 أنت فيه ولو لا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف
 أبيك تجشم الرحلتين اللتين بنا من الله عليكم
 فوضعهما عنكم وقلت فيما تقول انظر لنفسك
 ولدينك ولأمة محمد ﷺ واتق شق عصا هذه
 الأمة وأن تردهم في فتنة.. فلا أعرف فتنة أعظم
 من ولايتك عليها ولا أعلم نظراً لنفسي وولدي
 وأمة جدي أفضل من جهادك فإن فعلته فهو قربة
 إلى الله عز وجل وإن تركته فاستغفر الله لذنبي
 وأسأله توفيقاً لإرشاد أموري.. وقلت فيما تقول:

إن أنكرت تنكرني وإن أكذك تكذني.. وهل رأيك
 إلا كيد الصالحين منذ خلقت فكذني ما بدا لك
 إن شئت فإنني أرجو أن لا يضرني كيدك وأن
 لا يكون على أحد أضر منه على نفسك على أنك
 تكيد فتوقظ عدوك وتوبق نفسك كفعلك بهؤلاء
 الذين قتلهم ومثلت بهم بعد الصلح والأيمان
 والعهد والميثاق فقتلتهم من غير أن يكونوا
 قتلوا إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا بما به
 شرفت وعرفت مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم
 مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا بأشريا
 معاوية بقصاص واستعد للحساب واعلم أن لله
 (عز وجل) كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا
 أحصاها وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك
 بالظنة وقتلك أولياءه بالتهمة ونفيك إياهم من
 دار الهجرة إلى الغربة والوحشة وأخذك الناس
 ببيعة ابنك غلام من الغلمان يشرب الشراب
 ويلعب بالكعاب لا أعلمك إلا قد خسرت نفسك
 وشريت دينك وغششت رعيك وأخزيت أمانتك
 وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت التقى
 الورع الحليم^(١)

إنه بيان ما بعده بيان. وتوضيح لا يحتاج إلى شرح أو تفسير وفيه العبرة
 والدليل على ما ذهبنا إليه من أن الإمام الحسين عليه السلام كان يرى الثورة على
 معاوية واجبة حتى إنه خاف على نفسه الشريفة من تركه ذلك بقوله:

ما أردت لك حربا، ولا عليك خلافا - وإني

لأخشى الله في ترك ذلك منك.

وذلك لأنهم ملحدون وحزبهم حزب الشياطين

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]

وذلك بقوله عليه السلام:

ومن الإعذار فيه إليك - بجهدك - والى أوليائك القاسطين الملحدين،

حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

إلا أن جهاده كان مُتَعَذِّراً لأسباب توضحت فيما

سبق. وكان يأمر أصحابه والقادمين إليه للبيعة

وإعطاء العهود بلزوم المنازل وكتمان الأمر

مادام معاوية بن أبي سفيان حياً مُسَدِّداً رأي الإمام

الحسن عليه السلام وملتزماً بتعاليمه ووصيته إليه -

عليه السلام.

فقد قال الإمام الحسن عليه السلام لعلي بن محمد بن بشير الهمداني:

ما أردت مصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم

القتل. عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن

الحرب، ونكولهم عن القتال، والله لو سرنا

إليه بالجبال والشجر ما كان بدّ في إفضاء هذا

الأمر إليه.^(١)

وكذلك قال الإمام الحسين عليه السلام مسدداً رأي صنوه الأكبر حين قال لنفس

الشخص ذاك:

صدق أبو محمد عليه السلام فليكن كل رجل منكم

حلساً من أحلاس بيته (أي ملتزماً به) مادام هذا

الإنسان (معاوية) حياً.

(١) الأخبار الطوال ٢٢١ ثورة الحسين عليه السلام للشيخ شمس الدين ص ١٤٩.

وكتب مثل ذلك إلى بعض أصحابه وذلك بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام

قائلاً:

أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده
فيما يأتي. وأما أنا فليس أرى اليوم ذلك. فالصقوا
- رحمكم الله - بالأرض وامكثوا في البيوت،
واحترسوا من الظنة مادام معاوية حياً^(١).

فبذور الثورة موجودة. وأرضية الأمة صالحة لبذار الثورة. والفكر الثوري - أي
النظرية الثورية - كانت تنقصها الدقة والتنظيم في الأمة الإسلامية. فحاول الإمام
الحسين عليه السلام وخلال السنوات الأخيرة من حكم معاوية وبعد استشهاد الإمام
الحسن عليه السلام أن ينظم الثوار ويخلق منهم طبقة طلائعية ثورية تقود الأمة إلى
النور.

والثورة أعلنها الإمام الحسين عليه السلام على يزيد حينما حاول معاوية أخذ
البيعة ليزيد في حال حياته فرفض الإمام الحسين عليه السلام رفضاً قاطعاً وشنَّ على
معاوية وعلى ولده يزيد بمواقف عدَّة وهذا إحداها.
فقد كتب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية قائلاً:

وفهمت ما ذكرت عن يزيد. من اكتماله، وسياسته
لأمة محمد صلى الله عليه وآله تريد أن توهم الناس في يزيد.
كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر
عمَّا كان مما احتوته بعلم خاص.

وقد دلَّ (يزيد) من نفسه على مواضع رأيه. فخذ
ليزيد فيما أخذ فيه من إستقراءه الكلاب المهارشة
عند التهارش. والحمام السُّبق لأترابهن والقيان
ذات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً.

(١) ثورة الحسين عليه السلام ص ١٤٩ الشيخ شمس الدين .

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من
وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية.
فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور. وحنقاً في
ظلم. حتى ملأت الأسقيه وما بينك وبين الموت
غمضة.^(١)

وحاول الضغط على الإمام الحسين عليه السلام من أجل حمله على البيعة ليزيد
وذلك بقطع أعطيات الهاشميين جميعاً من بيت المال وحق الله لهم فلم ينتفع
بذلك حتى مضى إلى ربه محملاً بذنبه وذنب من وضعه في مكانه ليفعل الأفاعيل
في هذه الأمة المرحومة التي قلدته أموراً بسكوتها عنه وعن أمثاله.

وبالفعل مات معاوية حين مات، وكثير من الناس
- وعامة أهل العراق بنوع خاص - يرون بغض
بني أمية، وحب أهل البيت لأنفسهم ديناً.^(٢)

وهذا يعني أن تدهور الأوضاع وعلى كافة الصُّعد كان في غاية السوء
عقائدياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً وهذا ما يشكّل دواعي الثورات على
مدى التاريخ القديم منهاو الحديث وربما تدهوراً بجانب واحد أو جانبين من هذه
الجوانب الأربعة المرتبطة عضوياً وواقعياً - تؤدي إلى قيام ثورة تقلب الأوضاع
وتبحث عن التغيير إلى الأفضل دوماً فكيف كانت الأوضاع في عهد يزيد الغر.

١. الوضع العقائدي والثقافي

فقد تغيرت الأحكام، وقلبت المفاهيم، وتبدلت الأحاديث وتناولوا آيات
القرآن بما يخدم مصالح الحكام وأعوان الحكام وذلك من لحظة الإعلان عن
وفاة وانتقال الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى. وربما قبل ذلك في رزية يوم
الخميس حيث منع رسول الله ﷺ من كتابة كتابه إلى الأمة لكي لا تضل بعده

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٩٥ ثورة الحسين عليه السلام ص ١٦٩

(٢) الفتنة الكبرى علي وبنوه طه حسين ص ٢٩٥. ثورة الحسين عليه السلام ص ١٦٩

أبدأ. فأعترض عمر بن الخطاب قائلاً - واللّه سائله عن هذا القول - :

إِنَّ بَيْنَكُمْ (أَوْ النَّبِي) لِيَهْجُر. أَوْ يَهْجُر. أَوْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ. حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ.

وَكثُرَ اللَّغَطُ وَالصَّيَاحُ لِأَنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ كَانَتْ تَقُولُ:

الْقَوْلُ مَا قَالَ عُمَرُ - وَاللّٰهُ سَائِلُهُمْ جَمِيعاً بَلَا

شَكٍّ عَنْ هَذِهِ الْجَرَاءَةِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ

لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ بِحَقِّ رَسُولِهِ

الْكَرِيمِ ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٥]

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]

إِلَّا أَنَّهُمْ أَبَوْا قَوْلَ اللَّهِ. وَمَنْعُوا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ الْكِتَابَةِ فَطَرَدَهُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَنَّهُ

لَا يَنْبَغِي عِنْدَ النَّبِيِّ التَّنَازُعُ. وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ اللَّحْظَاتُ الْأَخِيرَةُ مِنْ عَمْرِهِ الشَّرِيفِ.

فَقَدْ مَنْعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكِتَابَةِ لِكَيْ لَا تَضِلَّ الْأُمَّةُ.

وَتَقَاعَسُوا وَأَخْرَوْا جَيْشَ - أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ يَتَأَخَّرُ

أَوْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ.. وَادْعُوا مَعْرِفَتَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْهُ ﷺ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -

فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ.

اللّٰهُ أَكْبَرُ. اللّٰهُ أَكْبَرُ. شَنْشَنَةٌ نَعْرِفُهَا.

وَإِنِّي لِأَتَسَاءَلُ دَوْماً.

أَيْنَ مَعْرِفَتُهُ بِأَصُولِ التَّوْحِيدِ وَالنَّبَوَّةِ فِي الْقُرْآنِ. وَوَقَفَ بَعْدَ لَحْظَاتٍ مَنَادِياً

بَصَوْتِهِ: مَنْ قَالَ مُحَمَّدًا مَاتَ جُلِجَلَتْ رَأْسُهُ بِهَذَا السِّيفِ بَلْ هُوَ غَابٌ وَسَيَعُودُ. وَمَا زَالَ

يَبْرُقُ وَيَرْعَدُ حَتَّى جَاءَ صَاحِبُهُ وَقَالَ لَهُ: مَهْ! فَسَكَتَ وَمَا عَادَ يَنْطِقُ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فَأَيْنَ عِلْمُكَ بِكِتَابِ اللَّهِ؟

أَيْنَ عِلْمُكَ حَيْثُ تَقِفُ لِتَقُولَ: أَيُّ سَمَاءٍ تَظُنُّنِي، أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تَقْلُنِي عَلَى أَنْ أَقُولَ

فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ.؟؟

أَيْنَ عِلْمُكَ أَبَا حَفْصٍ حَيْثُ أَخْرَجَكَ وَأَنْتَ عَلَى الْمَنْبَرِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ وَحَتَّى

ربات الحجال فقلت معترفا: كل الناس أفقه من عمر حتى النساء.

ولا عيب على عمر إذا سئل وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم.

ولولا علي لهلك عمر. ولا خلفت لمعضلة لست

لها يا أبا الحسن. ومعضلة وليس لها أبو الحسن.

أين علمك بكتاب الله وأبسط الأمور تغيب عن علمك الضحل؟؟؟ والحديث

يطول. والألم يعتصر القلب من هذا الانقلاب على الإمام الحق والأمة المرحومة.

فأدت إلى الاختلاط والاختلاف في الآراء والمذاهب.

وكما قال الحسن البصري: كل عام ترزّلون. واستمر الوضع من سيء إلى أسوأ

حتى بلغت ذروتها في عهد عثمان بن عفان الذي ثار عليه أهل الأمصار لظلم

ولاته الأمويين وقتلوه ورموه على مزابل المدينة (حش كوكب) ثلاثة أيام ودفنوه

أخيراً في مقابر اليهود بأطراف المدينة ليلاً وفي الخفاء.

وحاول أمير المؤمنين الإمام عليه السلام الإصلاح

وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح والمياه إلى

مجاريها المخصصة إلا أنه أصطدم بعقبات كأداء

نكث، وقسط، وخروج فحارب ثلاثة حروب

متتالية فقاتل الناكثين وهم طلحة، والزبير،

وعائشة في الجمل، والقاسطين وهم معاوية

وعمر وبن العاص في صفين، والخوارج في

النهر وان. وقضى شهيداً سعيداً في محراب صلته

في مسجد الكوفة الجامع مع بزوغ الفجر بسيف

اللعين أشقى الأولين والآخرين وشقيق عاقر

الناقة عبد الرحمن بن ملجم المرادي. فسَمِي وكَبُر

وقال قولته الشهيرة: (فَزْتُ وَرَبُّ الكعبة)

فأصبح الوضع العقائدي مترهلاً للغاية في الأمة التي اتسعت اتساعاً كبيراً.

وشملت بلاداً وقوميات مختلفة وتوافدت عليها ثقافات الإقوم الوافدة

والجديدة وشجّع الحكام على تلك المهازل فاختلط الحابل بالنابل. ولم يصدقوا قول قائل لأن السنة النبوية منعت من الكتابة وكثر على النبي ﷺ الكذابة. فوجب على الإمام الحسين عليه السلام الثورة للتصحيح وإعادة ثقافة الأمة إلى القرآن الكريم بشقيه الصامت والناطق.

٢. الأوضاع السياسية

وهي بيت القصيد، ومربط الفرس؛ كما يقال في الأمثال. وانقلب مفهوم السياسة من الرعاية والحفظ للأمة. إلى الدهاء والمكر والخديعة لها مع استلام معاوية للسلطة بخديعة عمرو بن العاص بعد مهزلة التحكيم المعروفة.

إلا أن سياسة عثمان السياسية والاقتصادية هي التي مهّدت الطريق لمعاوية بأعماله الشنيعة تلك. فقد كرّس عثمان كل جهده وعمله من أجل بني أمية حتى قضى نحبه في سبيل ذلك ولم يرعوا أو يتراجع عن سياسته الأموية. وقد برع الشيخ شمس الدين حين وصف تلك الأحوال بقوله:

ولم يكن المسلمون بحاجة إلى وقت طويل ليتبين لهم أنهم حين بايعوا عثمان قد سلموا السلطان الفعلي على المسلمين إلى آل وذوي قرابته من بني أمية وآل أبي معيط فقد أضح في وقت مبكر أن عثمان ليس إلا واجهة يكمن خلفها الأمويون وسرعان ما عززت الأحداث هذا الرأي.

وذلك أن عثمان أسند إلى آل وذويه الولايات الكبرى في دولة الخلافة وهي البصرة، والكوفة، والشام، ومصر وهذه الولايات الأربع هي الولايات ذات المنزلة العظيمة في الحرب، والاقتصاد، والاجتماع.

فهي مركز الثروة المالية والزراعة لدولة الخلافة منها تحمل الأموال والأقوات. وهي مركز جميع الجيوش الإسلامية الوافدة من شتى بقاع الدولة، وهي مركز عمليات الفتح الكبرى التي كانت إذ ذاك لا تزال في أوجها، وما عدا هذه الولايات فهو شأن ثانوي لا يؤبه له ولا يلتفت إليه.

ولقد وُلِّيَ عثمان على البصرة ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز وعمره خمس وعشرون سنة.

وولِّيَ على الكوفة أخاه: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ثم عزله تحت ضغط الرأي العام بعد أن ثبت عليه شرب الخمر والتهاك وولِّيَ مكانه: سعيد بن العاص.

وكان معاوية عاملاً لعمر بن الخطاب على دمشق والأردن فضم إليه عثمان ولاية حمص وفلسطين والجزيرة وبذلك مدَّ له في أسباب السلطان إلى أبعد مدى استطاع - وولِّيَ مصر أخاه من الرضاعة: عبد الله بن سعد بن أبي السرح. وكان هو بطبيعة الحال مسيطراً على الحجاز كله.

نعم كان هؤلاء الولاة جميعاً من قرابة عثمان. ولم يكن سلوكهم الديني أو الإداري أو هما معاً في أمصارهم ومع رعيّتهم مرضياً ومقبولاً فقد كانوا جميعاً من قريش وكانوا في تصرفاتهم لا يخفون قبليتهم وتعصبهم على غير قريش من قبائل العرب ولم يكونوا من ذوي السابقة في الدين، أو الجهاد في الإسلام، وإنما كانوا متهمين في دينهم، بل كان فيهم من أمره في الفسق ورقّة الدين معروف ومشهور.

كان فيهم عبد الله بن سعد الذي بالغ في إيذاء النبي ﷺ والسُّخرية منه، وبالغ في الهزء بالقرآن حتى نزل القرآن بكفره.

والوليد بن عقبة ممن أمرهم في الفسق معروف ومشهور وقد نزل فيه القرآن يعلن فسقة، وهو الذي رمى القرآن بالنبل لأنه كان يوعد الجبارين والطفاة العنيدتين.

وكان المسلمون - أعيانهم وعامتهم - يراجعون عثمان في شأن هؤلاء الولاة

من أقاربه ويطلبون منه عزلهم فلا يعزلهم ولا يسمع فيهم أية شكوى إلا كارها.^(١)
 هذه نبذة عن سياسة عثمان تجاه الأمة؛ حيث سلط عليها كلاب أمية تنهشها
 كما تشاء وكيف تشاء ومتى تشاء وهكذا إلى أن آل الأمر إلى معاوية المطالب
 كذباً وزوراً وبهتاناً بدم عثمان. لأنه كان مطالباً بكرسي الخلافة ولم يرد وجه الله
 في أي تصرف فعله بل يريد وجه السلطة والحكم وهو يعترف بذلك بقوله لأهل
 الكوفة.

يا أهل الكوفة. أتروني قاتلتكم على الصلاة،
 والزكاة، والحج؟ وقد علمت أنكم تصلون،
 وتزكون، وتحجون. ولكني قاتلتكم لأنأمر عليكم
 وألي رقابكم. وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون.
 ألا وإن كل دم أصيب في هذه مطلول. وكل شرط
 شرطته فتحت قدمي هاتين.^(٢)

ولهذه الروح الجاهلية وغيرها فإنه وحينما بويع معاوية بالخلافة لم تخضع له
 البلاد الإسلامية كلها خضوعاً تاماً. فقد كان هناك الشيعة الذين يوالون علياً عليه السلام
 وأهل بيته عليهم السلام فإنه عاملهم بحقد وقسوة ما عرفها التاريخ.
 وأول شيء فعله: هو إيجاد لجنة للكذب، والتزوير، واختلاق الأحاديث
 التي تقذح بأمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه الكرام عليهم السلام ونسبتها إلى النبي
 المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما قاله الإسكافي حول هذه اللجنة:

إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من
 التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام
 تقتضي الطعن فيه والبراءة منه. وجعل لهم على
 ذلك جعلاً يُرغب في مثله، فاختلفوا ما أَرْضاه

(١) ثورة الحسين ص ٤٢-٣٩

(٢) شرح النهج ج ٤ ص ١٦ لابن أبي الحديد المعتزلي

منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص. والمغيرة بن
شعبة. ومن التابعين عروة بن الزبير.^(١)

وبعد إيجاد هذه اللجنة (لجنة الدُّجل) كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله
بعد عام الجماعة (الصلح):

أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضائل أبي
تراب وأهل بيته.

فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه -
والعياذ بالله وعلى من فعل ذلك لعنة الله - وكتب إلى عماله:

أن لا تقبلوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.
وكتب إليهم.

انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه
والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم،
وقربوهم، وأكرمواهم، واكتبوا إليّ بكل
ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه
وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه - حتى زادت بكثير
فضائل الرسول الأعظم ﷺ وذلك لما كان يبعثه معاوية إليهم من الصلوات
والكساء والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل
مصر وتنافسوا في المنازل والديار. ثم كتب إلى عماله:

أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر
وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا
فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة
والخلفاء الأولين. ولا تتركوا خبراً يرويه أحد
من المسلمين في أبي تراب عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا تَأْتُونِي

(١) شرح النهج ج ٤ ص ٦١ لابن أبي الحديد .

بمناقض له في الصحابة. فإن هذا أحب إلي وأقرّ
لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته.^(١)

وهذا ما حدا بنفطويه إلى أن يقول في تاريخه:

إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل
الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقريباً إليهم بما
يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم.^(٢)

وهكذا سارت سياسة معاوية البغيضة في الأمة الإسلامية فقد أجبرهم على
سبّ وشتيم الإمام علي عليه السلام وزوجته الطاهرة وأبنائه الكرام على المنابر -
والعياذ بالله - . ولمدة تقارب السبعين عام وجعلت سنة سيئة يتنادون إليها إذا ما
تركها إمامهم في صلاته فينادوا السنة، السنة. وأسأل.

أليس هذا مصداق رؤيا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في بني أمية؟
أيسب علي وفاطمة عليهما السلام - والعياذ بالله - . ويحمد أبو سفيان وهند الهنود.
إن هذا لشيء عجاب حقاً؟!

وورث الفرخ هذه السياسة عن البوم الشيخ الذي راح يدفع بالأمة إلى الخراب
والدمار والضياع بسياسته التي اعتمدت على أمرين أثنين.
١. ضرب القوى العقائدية المعادية للحكم الأموي.

٢. إثارة الروح القبلية والعصبيات الجاهلية في الأمة من جديد. واستطاع أن يخلق بذلك
الانشقاق بين القبائل بتأثير أحقادها الصغيرة ويخلق بينها حالة من التوتر يجعل من
المتعذر عليها أن تتوحد، أو أن تنظر إلى الحكم الأموي نظرة موضوعية مثقفة. وبذلك
فاز معاوية بتفتيت المعارضة بعوامل داخلية تنبع من صميم المعارضة نفسها.^(٣)

إلا أن يزيد فليس له هذه التجربة الطويلة بالإحتيال، وليس له الباع الطويلة
بالخبث والدهاء، ولا يملك ذاك الذكاء المميز. بل كان من أبعد الناس عن الحذر،

(١) ثورة الإمام الحسين عليه السلام ص ١٠٨، ١٠٧ عن شرح النهج ج ١١ ص ٤٤

(٢) شرح النهج ج ١١ ص ٤٦

(٣) ثورة الحسين ص ٩١

والحيطة، والترؤي. وكان إنساناً (شيطانياً) صغير العقل متهوراً سطحي التفكير. لا يهم بشيء إلا ركبه.^(١)

فغباؤه لائح، وفسقه وكفره واضح. وذلك بسبب نشأته المسيحية أو شبه المسيحية التي تعلمها من أخواله جعلته أبعد ما يكون عن روح الدين الإسلامي أو حتى عن اسمه ورسمه فقط.

وحياة التحلل التي عاشها قبل أن يلي الحكم. والانسياق مع العاطفة واللذات، وتلبية كل رغباته الخبيثة، جعله عاجزاً عن التظاهر بالورع والتقوى أمام العامة. أو التلبس بلباس الدين بعد أن حكم المسلمين.

هَذَا عدا عن أن طبيعته النزقة جعلته يعالّن الناس بارتكاب المحرمات وقارف من الآثام ما عرف الناس بمدى بعده عن الصلاحية لتولي منصب الخلافة العامة.

والإمام الحسين عليه السلام قال موضحاً هذه النقطة بالذات بقوله الشريف:

(ويزيد رجل فاسق؛ شارب للخمر، قاتل للنفس المحرمة، معلن بالفسق. ومثلي لا يبايع مثله)^(٢).

وقالها عليه السلام مرة أخرى:

(وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد)^(٣).

وقال عليه السلام فيما خاطب به جده المصطفى صلى الله عليه وآله:

وأخذت قهراً أن أبايع يزيد - شارب الخمر، وراكب الفجور - وإن فعلت كفرت وإن أبيت قتلت.^(٤)

وقال عليه السلام مخاطباً الحر الرياحي ومن معه بعد صلاة العصر:

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ١ ثورة الحسين عليه السلام ص ١٦٥

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام الخوارزمي ج ١ ص ١٨٣.

(٣) كلمة الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٤٠ عن اللّهوف على قتلى الطفوف ص ١٠.

(٤) مقتل أبو مخنف ص ١٥

إنا أهل بيت نبيكم محمد ﷺ أولى بولاية هذه
الأمور عليكم، من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم
والسائر فيكم بالظلم والجور، والعدوان^(١).

وغيرها من الأقوال الحسينية المباركة التي أوضح بها لأصحابه وللأمة
وللتاريخ الأسباب السياسية لثورته الإنسانية. لأن سياسة البلاد والعباد يجب أن
تسير وفق الموازين الإلهية في القسط، والعدل، والتكافل الاجتماعي، وإنصاف
المظلوم من الظالم وأخذ الحق من مغتصبه وردّه إلى أصحابه الشرعيين.

وبالحقيقة والواقع إن الإمام الحسين عليه السلام هو الرئيس والقائد الأعلى لبلاد
الإسلام يومذاك يقرّ له بذلك الله ورسوله والمؤمنون. وكذلك يقرّ معاوية نفسه
بذلك حين كتب وثيقة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام والتي تتضمن أن الإمامة
بعد معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام وبعده إلى الإمام الحسين عليه السلام دونما أن
يورثها معاوية لأحد من أبنائه أو أقاربه.

فقام يزيد وبتعليم من شيخه معاوية بانقلاب على العهود والمواثيق وأظهر
نفسه حاكماً أعلى وراح يجنّد الجيوش لقتال الإمام الحسين عليه السلام وإظهاره على
أنه خارجي خرج على إمام زمانه.

وأية إمامة ليزيد إلا الإمامة التي يصفهم الله بها ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى
النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١] فالإمام الحق والقول الصدق هو مع،
ومن الإمام الحسين عليه السلام لا من غيره أبداً.

وكم هو رائع وجميل قول الإمام الحسين عليه السلام وهو يخاطب جيش الحر
الرياحي إذ يقول:

أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال: من رأى
سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد
الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في
عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل

ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء - بني أمية وأعوانهم - قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله وأنا أحق من غير^(١).

هذه هي حقيقة الأوضاع السياسية - الظلم، والعدوان، والنهب، والسلب - للحكم الأموي الذي ثار عليه الإمام الحسين عليه السلام وأراد أن يغيّره وتغيّر بالفعل بعد حين من الزمن بفضل الثورة الحسينية المباركة.

٣. الأوضاع الاجتماعية

وتدهورت الأوضاع الاجتماعية إلى ما يشبه الأحوال الجاهلية الجاهلاء بسبب سياسة بني أمية التي مرّ ذكر بعضها فيما سبق. فقد فعل الأفاعيل معاوية لإحياء النزاعات القبلية وضرب القبائل العربية ببعضها. أو ضرب الروح القبلية داخل القبيلة الواحدة، وربما داخل العائلة الواحدة؛ ولم يسلم منه حتى بيته البيت الأموي فقد إتبع سياسة أقرب ما تكون لما تطلق عليه في الوقت الحاضر بسياسة (فرّق تسد) الاستهدامية.

وبسبب السياسة المالية الجائرة للخليفة الأموي عثمان بن عفان فقد وجدت طبقة ثرية وباذخة جداً ووجدت إلى جانب هذه الطبقة الأرستقراطية طبقة أخرى فقيرة جداً لم تملك أرضاً، ولا مالاً بل تملك جهداً وكداً وعملاً متواصلاً وليس لها من تلك العطاءات الضخمة التي كان يوزعها الخليفة كعطاء خمس أفريقيا لمروان بن الحكم - تلك هي طبقة الجنود والمقاتلين وأهلهم وذرايرهم وقد تكونت هذه الطبقة باستئثار عثمان وعماله الأمويين بالفيء والنفائهم لأنفسهم والمقربين منهم وحرمان المقاتلين وبقية الجماهير الواسعة منها. مدّعين أن الفيء

(١) مقتل أبي مخنف ص ٨٥ كلمة الإمام الحسين عليه السلام ص ٣١٤ عن البحار ج ٤٤ عن المناقب.

لَّهِ وليس للمحارب إلا أجر قليل يدفع إليه.^(١)

أما سواد العراق فهو (بستان لقريش، ما شئتاء أخذنا منه وما شئتاء تركناه). على حسب زعم سعيد بن العاص واني عثمان على الكوفة. أما بيت المال الذي وجد لإعالة المساكين، والجنود، والمعوقين، وأبناء السبيل، وبقية القضايا المالية المعروفة فقد غير وجهته وهدفه عثمان الخليفة نفسه وذلك حين صرَّح قائلاً:

لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام.^(٢)

ومضت الأيام والأحداث تزيد اتساعاً بين هاتين الطبقتين فيما تزداد الطبقة الأرستقراطية الثرية ثراءً وتسلطاً، تمعن في اللهو والبطالة والعبث، بحيث يشارك بعض أولاد الخليفة نفسه في اللهو الحرام والمجون الفاضح. وتزداد الطبقة الأخرى فقراً وبؤساً وإحساساً بالحرمان والفقر المدقع. حتى إن صاحب مروج الذهب يروي:

إن الوليد بن الخليفة عثمان كان سكيراً عربيداً وحين قتل والده كان في أشد السكر والنشوة المخملية الأثيمة والأثواب الحريرية الواسعة.^(٣)

كما أن سياسة بني أمية العنصرية التي فضّلت العرب على الموالي والمسلمين من غير العرب. وفضّلت القرشيين على العرب. وفضّلت بني أمية على جميع الخلق طراً فجعلت الأمة بقضها وفضيضاها ناقمة على الحكم الأموي ورابضة في مكانها خوف السيف والقتل الذي كان ينتظر كل معارض وأول من ضرب بيد من حديد، ورجل من فولاذ على أجسام وأضلاع المعارضين الأوائل من كبار الصحابة والمشهورين بالفضل والسابقة كأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود. وغيرهم من أولئك الكرام، فقد كان الخليفة الأموي

(١) تاريخ الاسلام السياسي حسن ابراهيم حسن ج ١ ص ٣٥٨ ثورة الحسين عليه السلام ص ٣٨

(٢) شرح النهج الجديدي ج ٣ ص - ثورة الحسين عليه السلام ص ٣٩

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤١ عنه ثورة الحسين عليه السلام ص ٣٩ بالهامش

الأكبر عثمان بن عفان شخصياً.

وبالفعل فقد كسب بني أمية لكن غدروا به حين كان أحوج ما يكون إليهم وجعلوه سُلماً وجعلوا من قميصه علامة للفتنة على مرّ العصور. وكسب نقمة الأمة فثارت عليه وقتلته في داره وبتحريض وتشجيع من كبار الصحابة كطلحة وابنة عمه عائشة، والزبير وابنه المشؤوم عبد الله.

وبالفعل فقد كان سلوك عثمان إزاء معارضي سياسته في المال والإدارة من كبار الصحابة سبباً في مضاعفة النقمة عليه في قريش وفي عامة المسلمين، وعاملاً هاماً من عوامل تعقيد الأزمة التي عاناها عثمان وعاناها المسلمون في عهده المضطرب^(١).

وازداد الوضع توتراً وقلقاً في عهد معاوية بن أبي سفيان وذلك لسياسته التي تعتمد على البطش والقتل دون رادع من دين أو وازع من ضمير إنساني فأخذ على التهمة والظنة وقتل حتى على الاسم فكان أكبر العقوق من الوالدين للولد التسمية بعلي، أو حسن، أو حسين أو فاطمة فمثل هذه الأسماء موضوعة في اللائحة السوداء مباشرة والمسمي لها معرض للاستجواب الأموي القاسي.

وراح معاوية يبحث عن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ويقتلهم تحت كل شجر ومدر ويتقرب إلى الشيطان بتلك الدماء الزكية التي يرهقها لأنه كان يكتب إلى عماله أن يرسلوا له خواص أبي تراب عليه السلام ليتقرب إلى الله بدمائهم والعياذ بالله: فقتل حجر بن عدي وأصحابه صبرا، وميثم التمار، وقنبر بن كادان مولاه، وعمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل. وغيرهم كثر وكان أشد الناس بلاء العراق لكثرة ما فيه من أصحاب ومحبي أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

وهكذا تسلم الحاكم الجديد (يزيد) والأمور في الأمة تغلي كالقدر تحت الغطاء، أو النار تحت الرماد لا يسكنها إلا النطع والسيف والجلاد.

وبهذه الثلاثة لا هوادة ولا يصبر عليها إلا من
أوتي الحظ الأوفر من العقل والإيمان وربما
اليقين الراسخ كأصحاب الإمام الحسين عليه السلام
الذين ما توانوا عن تقديم كل ما عندهم فداءً لمن
يستحق الفداء: الإمام، والدين، والأمة.

فثار الإمام عليه السلام نطلب الإصلاح في أمة جده كما صرح في وصيته لأخيه
(محمد ابن الحنفية) قبيل مفارقتها المدينة حيث قال عليه السلام:

إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً،
ولا ظالماً. وإنما خرجت لطلب الإصلاح في
أمة جدي. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن
المنكر^(١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من الأسس الحقيقية لبناء وصيانة
المجتمع الإنساني من الانحلال وانتشار المفسدات الفاتكة لان الرذيلة والانحلال
الخلقي هي عبارة عن الميكروبات التي تصيب المجتمع وتؤدي به إلى شتى
أنواع الأمراض وربما كان بعضها مستعصي فيحتاج إلى عملية جراحية تؤدي إلى
بتر أو استئصال بعض هذه الأجزاء الفاسدة.

فالمجتمع كالجسم وكما أن قوام الجسد وصحته: يعني سلامته من
الأمراض، والجراثيم، والميكروبات الضارة. وكذلك المجتمع السليم هو الذي
ينتفي فيه الظلم - وهو أبشع الجرائم التي تصيب المجتمع -

والحسد، والبغضاء، والحققد، والبغي، والسكر، والقمار. وإلى آخر لائحة
الجراثيم والميكروبات التي تصيب الأخلاق في المجتمع.

والأمر بالمعروف هو عبارة عن وقاية المجتمع، والنهي عن المنكر هو عبارة
عن علاج وربما العكس يصدق كذلك والحديث يطول إلا أنه تكفي الإشارة.

(١) خطب الإمام الحسين عليه السلام ص ٧٠ عن مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٨ الأسرار الحسينية ص ٢٦١، البحار
ج ٤٤ ص ٣٢٩.

فثورة الإمام الحسين عليه السلام انطلقت من أجل الإصلاح الاجتماعي في أمة الرسول المصطفى ﷺ وأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الذي كان علامة واضحة وظاهرة في المجتمع الإسلامي يومذاك بل أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً في بلاط كسرى الشام والعرب معاوية وولده يزيد كما سماه الخليفة الثاني.

إن العنصر الاجتماعي شديد البروز في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ويستطيع الباحث أن يلاحظ ذلك فيها من بدايتها حتى نهايتها ويرى أن الإمام الحسين عليه السلام ثار من أجل الدين الإسلامي والشعب المسلم. لقد ثار على يزيد باعتباره ممثلاً للحكم الأموي الظالم هذا الحكم الذي جوع الشعب المسلم وصرف أموال هذا الشعب في اللذات المحرمة ودفع الرشا وشراء الضمائر، وقمع الحركات التحررية.

هذا الحكم الذي اضطهد المسلمين غير العرب وهددهم بالإفناء ومزق وحدة المسلمين العرب وبعث بينهم العداوة والبغضاء حتى القتال هذا الحكم الذي شرد ذوي العقيدة الدينية، أو السياسية التي لا تنسجم مع سياسة البيت الأموي وقتلهم تحت كل شجر ومدر وقطع عنهم الأرزاق وصادروا أموالهم. هذا الحكم الذي شجع القبلية الجاهلية على حساب الكيان الاجتماعي للأمة الإسلامية. هذا الحكم الذي عمل عن طريق مباشر تارة وعن طريق غير مباشر تارة أخرى على تقويض الحسّ الإنساني في الشعب وقتل كل نزعة إلى التحرر بواسطة التخدير الديني الكاذب.^(١)

على كل هذا الانحطاط، والظلم، والبغي. على الجوع، والفقر، وتحريف الدين وإختلاس أموال الأمة التي فيها قيام ورفاه المجتمع الإسلامي ثار السبط الشهيد عليه السلام.

ثار الإمام الحسين عليه السلام ورام إصلاح الأمة، وتقويم اعوجاج المجتمع، لردّه

إلى الصراط المستقيم والمحجة البيضاء التي لا اعوجاج فيها.
 إلا أن الأمة أبت أن تكون مع الإمام الحق الحسين بن علي عليه السلام. واتبعك
 إمام الباطل يزيد بن معاوية وكانت كما قال الفرزدق الشاعر: (القلوب معك
 والسيوف عليك).
 فاستشهد الإمام الحسين عليه السلام. وقتل يزيد وبني أمية. وانتبهت الأمة وصحت
 من غفوتها فعاشت الرسالة إلى اليوم بفضل وبركة دماء الإمام الحسين عليه السلام
 الطاهرة وأبنائه وأصحابه والشهداء السعداء.

٤. الأوضاع الاقتصادية

فقوام المجتمع وبقاؤه وسعادته بالاقتصاد العادل. والنظرية الاقتصادية في
 الدين الإسلامي هي نابعة من القرآن الكريم الذي يمثل قول الله - عز وجل
 - في هذه الكرة الترابية. وهي أكمل وأجمل نظرية اقتصادية عرفت في البشرية على
 مدى التاريخ.

غير أن الانحراف الاقتصادي في الأمة بدأ بعد السقيفة وعلى عهد الخليفة
 الثاني عمر بن الخطاب حيث كان له رأي جديد في تقسيم الأموال والعطاء وهو
 رأي مخالف لكتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والذي يتمثل بما يلي.
 فقد جرى - حين فرض العطاء في سنة عشرين للهجرة - على مبدأ
 التفضيل. ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم
 من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضل العرب على
 العجم، وفضل الصريح على المولى.^(١)

كما فضل مضر على ربيعة ففرض لمضر في
 ثلاثمائة ولربيعة في مائتين^(٢). وفضل الأوس على

(١) شرح النهج ج ٨ ص ١١١

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٠٦

الخزرج^(١)

ويقول الشيخ شمس الدين معلّقاً على هذا المبدأ اللا إسلامي - إن صحّ التعبير - لأن المبدأ في الدين الإسلامي بالترتيب هو التقوى والتقوى فقط والرسول الأعظم ﷺ يقول: لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وكلكم لآدم وآدم من تراب^(٢).

وقد ولد هذا المبدأ العمري - فيما بعد أسوأ الآثار في الحياة الإسلامية، حيث إنه وضع أساس الطبقات في المجتمع الإسلامي. وجعل المزية الدينية سبيل من سبل التفوق المادي. وزوّد الأرستقراطية القرشية التي مكنت لنفسها من جديد بتمكن أبي بكر من الحكم - بتأييد عمري مطلق - بمبرر جديد للاستعلاء والتحكم بمقدرات المسلمين.

فجميع اعتبارات التفضيل تجعل القرشيين أفضل في العطاء من غير القرشيين لأنهم عرب، وقرشيون، ومضربون، ومهاجرون وهذا يعني أن قريش هي أفضل الناس لأنها قريش وكفى بهذا مبرراً للتحكم والاستعلاء.

وقد كوّن هذا المبدأ سبباً جديداً من أسباب الصراع القبلي بين ربيعة، ومضر؛ وبين الأوس والخزرج، بما تضمن من تفضيل سائر مضر على سائر ربيعة، وتفضيل الأوس على الخزرج - حقداً على زعيم الخزرج وموقفه في السقيفة سعد بن عباد - وأغلب الظن أن هذا المبدأ قد أرسى أول أساس من أسس الصراع العنصري بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين بما جرى

(١) فتوح البلدان ٤٣٧

(٢) البحار ج ٧٠ ص ٢٨٨، كنز العمال حديث ٥٦٥٥.

عليه عمر من تفضيل العرب على العجم والصريح على المولى. وكان عمر قد أدرك في آخر أيامه الأخطار السياسية والاجتماعية التي يؤدي إليها مبدؤه هذا. ولعله رأى بعض الآثار النضارة التي خلفها هذا المبدأ الظالم في حياة المسلمين. ومنها هذه الظاهرة التي دلت على تسرب روح التحزب والانقسام إلى مجتمع المدينة المنورة والتي لاحظها عمر وحذر منها بقوله:

بلغني أنكم تتخذون المجالس، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال: من صحابة فلان ومن جلساء فلان، حتى تحوميت المجالس. وأيم الله إن هذا لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بينكم.^(١)

ولذلك أعلن عزمه على الرجوع إلى المبدأ النبوي - الأصيل - في العطاء فقال:

إني كنت أتألف الناس بما صنعت في تفضيل بعض على بعض. وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس فلم أفضّل أحمر على أسود، ولا عربياً على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله ﷺ وأبو بكر.^(٢)

ولكن قتل عمر قبل أن يرجع عن هذا المبدأ - الجائر - وجاء عهد عثمان وسار عليه - ولكن بشكل أكبر وأوضح - فظهرت آثاره الضارة في الحياة الإسلامية ككل، وكان من أهم العوامل التي مهّدت للفتنة بين المسلمين.^(٣)

(١) الطبري ج ٥ ص ٢٥ أحداث سنة ٢٣هـ

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٧ وشرح النهج ج ٢ ص ١٣١

(٣) ثورة الحسين عليه السلام ص ٣٠

وسار عثمان بن عفان حين ولي الخلافة على سياسة في المال لم يعهدها المسلمون من قبل ولم يألفوها. فقد راح يغدق الهبات الضخمة على آله وذويه وغيرهم من أعيان قريش وعلى بعض أعضاء الشورى العمرية بصورة خاصة. ولو كانت هذه الهبات من أمواله الخاصة لما أثارت اعتراض أحد، ولكنها كانت من بيت المال الذي يشترك فيه المسلمون جميعاً.

وسار عمال عثمان في أنحاء الدولة الإسلامية على سيرته في المدينة ونهجوا نهجه المالي، فانكفروا على بيوت الأموال المحلية ينفقونها على أهليهم وأنصارهم والمقربين إليهم^(١) دون وازع أو رادع.

فقد ذكر أصحاب التواريخ أرقاماً خيالية لثروة بعض الصحابة خاصة أو التابعين ومن جاء بعدهم ومما ذكر

أنه بلغت ثروة الزبير بن العوام خمسين ألف فرس وألف دينار، وألف عبد، وضياعاً وخططاً في البصرة والكوفة ومصر والإسكندرية.

وكانت غلة طلحة بن عبيد الله من العراق كل يوم ألف دينار - وقيل أكثر - بناحية الشراة أكثر مما ذكرنا.

وكان على مرتبط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف شاة، وبلغ ربع ثمن ماله بعد وفاته أربعة وثمانين ألف.

وحين مات زيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار.

أما عثمان نفسه

فكان له يوم قتل عند خازنه مائة وخمسون ألف دينار، ومليون درهم، وقيمة ضياعه بوادي حُنين والقرى وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيراً وأبلاً.^(١)

ومن أراد التفصيل فعليه بكتاب «الغدير» الرائع للمرحوم العلامة الأميني فسيجد العجب العجائب. وهذا هو حال الأمة في عهد الخلفاء الراشدين - كما يقال - فما حالها في عهد معاوية (كسرى العرب) أو ولده يزيد؟ والجواب عن هذا أصبح واضحاً ولا حاجة لنا بالاستفاضة والاستطراد عن سوء وتدهور الأحوال الاقتصادية في الدولة الإسلامية. وأن هذا الجانب هو من أشد الجوانب تميزاً بثورة الإمام الحسين عليه السلام وأولاه الأهمية القصوى وهذا ما نستشعره من خلال كلمات وخطب الإمام الحسين عليه السلام خلال المسيرة وحتى الشهادة المباركة.

ونكتفي بإيراد آخر خطبة للإمام الحسين عليه السلام على أرض كربلاء لاستيضاح مدى فداحة الخطر الداهم للأمة الإسلامية باستيلاء العصابة الأموية على مقاليد الأمور والتربع على كرسي الحكم في الدولة الإسلامية. فقال عليه السلام مخاطباً جيش ابن سعد.

تبا لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم ونعساً
حين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين
فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا وحششتهم علينا
نارا أضرمناها على عدوكم وعدونا فأصبحتم
إلبا على أوليائكم ويداً لأعدائكم من غير عدل
أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا
ذنب كان منا إليكم فهلاً - لكم الويلات - إذ
كرهتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي

لم يستحصف ولكنكم استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة
الدبي وتهافتتم إليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها
سفها وضلة بعدا وسحقا لطواغيت هذه الأمة وبقية
الأحزاب ونبذة الكتاب ومطفئ السنن ومواخي
المستهزئين ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ وعصاة
الأمم وملحق العهرة بالنسب ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
خَالِدُونَ﴾ أفهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل
والله الخذل فيكم معروف نبتت عليه أصولكم
وتأزرت عليه عروقكم فكنتم أخبث شجر للناظر
وأكلة للغاصب ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
الناكثين الذين ينقضون ﴿الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا
وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ ألا وإن الدعي ابن
الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيئات له ذلك
هيئات مني الذلة أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون
وجدود طهرت وحجور طابت أن تؤثر طاعة اللثام
على مصارع الكرام ألا وإني زاحف بهذه الأسرة
على قلة العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر

ثم تمثل فقال

فإن نهزم فهزامون قدما

وإن نهزم فغير مهزمين^(١)

وبهذا البيان أوضح الإمام الحسين عليه السلام طبيعة الظروف التي تعيشها الأمة
في ظل الهيمنة الأموية وكذلك تناول طبيعة المقاتلين وأحوالهم التعيسة - التي

(١) بحار الأنوار ج: ٤٥ ص: كلمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٧٦، الأعيان: ج ٤ القسم الأول ص ١٥٥
وثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٨٤.

سندرسها فيما هو قادم بإذن الله -

وبعد استعراض هذا الوضع المرري للأمة الإسلامية على كافة الصُّعد؛ وفي كل المجالات نجد كم كان ضرورياً القيام بالثورة - بل كانت الثورة ضرورة حضارية لإعادة الوجه البهي المشرق للأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي الأصيل الذي تضيء سماءه الأخلاق، ويعلو في فضائه القرآن الذي قال الله فيه: ﴿وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] فمجرد الركون والسكوت على الظالمين سيؤدي بالأمة والأشخاص لمساس النار والعذاب والعياذ بالله.

نعم. ذاك هو المجتمع الإسلامي في أيام الإمام الحسين عليه السلام بكل تعقيداته.

مجتمع مريض. يشتري ويبيع بالقليل من المال وكثير من العذاب والإرهاب وما كان من الممكن أن تُردُّ إلى هذا المجتمع إنسانيته وكرامته. وما كان من الممكن أن ينه إلى زيف وحقارة حياته، وما كان من الممكن أن توظف فيه روحه النضالية الهامدة إلا بعملٍ استشهادي فاجع يتضمن أسمى آيات التضحية، والكرامة، والدفاع عن المبدأ، والموت في سبيله وهكذا كان بالفعل.

إن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن ذا مال لينافس الأمويين ويدهم خزائن الأموال. ولم يكن ليتجافى عن روح الإسلام وتعاليمه فيجلب الناس إليه بالعنف والإرهاب. ولذا فليس من المعقول أن يطلب نصراً سياسياً آنياً في مجتمع لا يحارب إلا في سبيل المال، وبالمال الحرام، أو بالقسر والإرهاب. ولكن كان في وسعه أن يقوم بعمله الذي قام به ليهز أعماق هذا المجتمع، وليقدم له مثلاً أعلى طبع في ضمائر أفراد بدم ذكي ونار مؤججة.

وإذا نحن إستعرضنا أسماء من قتل مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وجدنا أصحابه ينتمون إلى معظم القبائل العربية فقل أن توجد قبيلة عربية لم يقتل منها

واحدًا أو اثنان وهذا منطبق حتى على غير العرب وهم الموالي الذين ينتمون إلى كل عرق تقريباً.

فيمكننا القول: أن فاجعة كربلاء دخلت في الضمير الإنساني والإسلامي خاصة آنذاك وانفعل بها المجتمع الإسلامي عامة انفعالاً عميقاً. ولقد كان هذا كفيلاً بأن يبعث في الروح النضالية الهامدة جذوة جديدة، وأن يبعث في الضمير الشلوه هزة تحييه وأن يبعث في النفس ما يبعثها إلى الدفاع عن كرامتها.

وهكذا فقد بعثت ثورة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية في المجتمع بواعث الخير والنضال وذلك بعدد من المجالات والنقاط الهامة منها.

١. تحطيم الإطار الديني المزيف الذي كان الأمويون وأعوانهم يحيطون به سلطانهم وأنفسهم الخبيثة وفضح الروح اللا دينية الجاهلية التي كانت توجه وتقود الحكم الأموي الظالم.

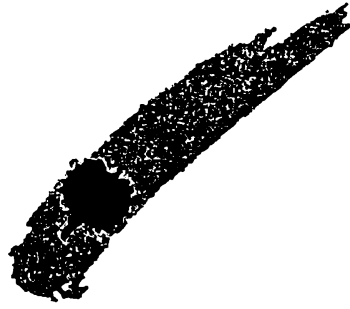
٢. بث الشعور بالإثم والخذلان في نفس كل فرد من الأمة قديماً وحديثاً. وهذا الشعور يتحول إلى ما يشبه عملية الحقد الذاتي من الشخص لنفسه يقوم على ضوئه موقفه من الحياة والمجتمع أي أصبحت كربلاء بأحداثها ميزاناً أو معياراً للرجال والحق.

٣. خلق مناقبية جديدة للإنسان المسلم (المؤمن) وفتح عيني هذا الإنسان - وكل إنسان - على عوالم مضيئة بالنور والدم وباهرة وقاهرة لأعين الظالمين على مدى الأيام والسنين.

٤. بعث الروح النضالية في الإنسان المسلم من أجل إرساء المجتمع على قواعده الرحمانية الأصيلة ومن أجل رد اعتباره الإنساني إليه^(١).

فهكذا استشعر الإمام الحسين عليه السلام ضرورة التغيير والإصلاح في أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وهكذا انطلق ليدك عروش الطغاة والجبارين من أمويين وغير أمويين من ذاك الزمان وإلى آخر الأزمان.

الفصل الثاني: الثورة



ألا وإن الدّعي ابن الدّعي قد
تركني بين السّلة والدّلة وهيئات
له ذلك... هيئات مني الدّلة أبا
اللّه ذلك ورسوله، والمؤمنون..

الإمام الحسين(عليه السلام)

إعلان الثورة

أولاً: الحرب في الإسلام

الحرب: هي ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الوجود الإنساني كظاهرة استثنائية في هذا الكون: وأول مظهر من مظاهر الحرب الإنسانية كانت بين الأخوين قابيل وهابيل من أبناء آدم عليه السلام وكان الضحية ربما ربع العالم في ذاك الزمن الموعول في القدم - كما يقال - وهكذا استمرت وتجددت عبر الأجيال؛ وتطورت تطور المجتمعات؛ وكثرت بكثرة البشر؛ وتنوعهم وتوزعهم على هذه الكرة الترابية. وهي ما زالت إلى اليوم، وإلى هذا العصر المتطور جداً، والحديث جداً في جميع مجالاته. متطورة ومتسابقة بل ومتنافسة في مجال البرمجة الحربية.

فقد وصلنا في هذا العصر إلى قفزات نوعية لا يمكن تصورها أو تخيلها من قبل الأجيال السابقة مهما علت في تفكيرها أو حتى في أحلام النوم أو اليقظة فيها.

وكل هذا التطور هو ما يقتضيه الهجوم ورد الهجوم بالدفاع. أو التأثير والتخفيف من حدة التأثير. ومن ثم الفتك ومحاولات تلافي عوامله وتحجيم خسائره ما أمكن. إلى أن وصلنا إلى أسلحة الدمار الشامل التي لا تبقي ولا تذر ولا وقاية منها لأحد إلا بنسب لا تذكر والذي لم يمت مباشرة سوف يموت في الملاحق الناتجة عنها لا شك.

فالانتقال من حرب السيف والترس، إلى حرب الرمح وعمود الحديد كان نقلة إلا أن صناعة الدروع كان يخفف تأثيرها. فاخترع الإنسان القوس والنشاب

وراح يتدرب على التصويب به من أجل التسديد إلى الأماكن الخالية في جسم المقاتل وكان بذلك قفزة جيدة بهذا المجال وخاصة بعد أن شاع استخدام الحصان في القتال.

فبنيت القلاع وتحصن بها أصحابها. فصنعت المنجنيقات لذلك الحصون والقلاع.

وأكتشف (نوبل) البارود وكان أكبر كارثة على الدنيا هذا الاكتشاف في مجال الحرب وهو نعمة كبرى في ذاته لو أستخدم للبناء والسلام. إلا أن الإرادة الخبيثة لبني البشر إستخدمته إستخداماً مروّعاً من أجل القتل والتدمير. وما أن أعلن إكتشاف وتوزيع البارود حتى راح الإنسان بالتفنن بصناعة الأسلحة والمعدات. فاخترعت البندقية، والمسدس. ومن ثم العربات الواقية من تلك الرصاصات القاتلة وتطورت تلك العربات بتطور القدرة القتالية في الإختراق لكل الطلقات حتى صنعت الدبابة والمصفحة المجنزرة والنصف مجنزرة والصغيرة والعملاقة. فأصبحت الدبابة الواحدة يبلغ وزنها عشرات الأطنان.

وما أن إخترعت هذه المعدات وانتشرت حتى إرتفع مستوى تفكير القادة العسكريين التدميري وراحوا يفكرون كيف يمكن تدمير تجمعات العدو دون خوف من نيرانه. أو كيف يمكن التأثير عليه مع حماية النفس والقوات الصديقة من نيرانه ومعداته؟

فاخترعت الطائرات الحربية وكانت المضادات لها من مدفعية بدائية وتطورت بتطور تلك الطائرات إلى الصواريخ المضادة بمختلف الأنواع وعلى مختلف الارتفاعات والمسافات. وهكذا يجري التنافس بين هاتين الآليتين حتى أصبح الأمر مربعاً حقاً.

فأصبحت الطائرة الواحدة تحمل آلاف الأطنان من المواد المتفجرة وتلقيها فوق مدينة ربما تدمرها عن بكرة أبيها أو ربما تحمل قبلة نووية واحدة تبيد المدينة وما حولها إبادة تامة وكذلك الأجيال القادمة التي يمكن أن يأتوا إلى مكان المدينة لمحاولة العيش فتأتي أجيالهم مشوهي الخلقة - والعياذ بالله - من

جراً تأثير الإشعاعات التي خلفتها تلك القنبلة اللعينية وناغا زاكي وهيروشيما في اليابان أفضل مثال على ذلك.

ففي بداية الأربعينات حيث عمل كل ما بوسعهم كل من الفكر العلمي النووي الفيزيائي والعلم الإستراتيجي العسكري من أجل إنتاج وصناعة القنبلة النووية ذات العيار الضعيف (التكتيكي) وبعد النجاح الكبير لذلك راح أصحاب تجارة الموت بتطوير هذا النوع من السلاح والتفنن في وسائل استخدامه.

فانتقلوا من مجرد القنابل البسيطة إلى القذائف المدفعية؛ ومن ثم حُمِلَتْ على رؤوس الصواريخ؛ وبدأ التنافس المميت بين من يستطيع أن يدمر أكثر بالقوة النووية التي يمتلكها بين المعسكرين الغربي والشرقي. وهكذا إلى أن برمجوا الفضاء، وزرعوا الفضاء بالصواريخ الإستراتيجية العابرة للقارات ونشروا الرعب، والخوف في العالم أجمع لأن كل واحدة من تلك الدول المالكة لهذا النوع من السَّلاح بإستطاعتها أن تدمر الكرة الأرضية عدة مرات كما تقول الإحصاءات.

ونتج عن هذا التسابق والتنافس - الغير شريف - إلى إمتلاك آلة الدمار والموت وتطوراً كبيراً في بقية المجالات العلمية والتكنولوجية وخاصة في مجال الإتصالات الأرضية، والفضائية فوزعت الأقمار الصناعية فوق معظم أنحاء الكرة الأرضية ولأغراض متعددة وبمدارات متفاوتة الارتفاع وأهمها تلك الأقمار المخصصة للتجسس العسكري بحيث أصبح بإمكان الرئيس الأمريكي أن يعرف التفاصيل عن أي بلد في العالم بمدة لا تتجاوز الدقائق وتكون المعلومات عنده موثقة بالصور الملونة حتى إنهم يستطيعون تمييز غلاف كتاب مع التفاصيل التامة عن طريق أقمار التجسس المتواجدة في المنطقة.

وكذلك الثورة العظمى في مجال الحاسوب والكمبيوترات العملاقة حيث أصبح بإمكان قرص لا يذري واحد أن يحفظ ملايين الكلمات ويقوم بآلاف العمليات بمختلف أنواعها وأشكالها وحجمها وبزمن قصير جداً.

وهذا يعمم على شبكة الانترنت العالمية وكذلك الفاكس والبريد الإلكتروني

وتوابعه وكل هذه القفزات النوعية والكمية وبهذا الشكل المذهل الذي جعل الحرب القادمة حرب مدمرة للكرة الترابية كلها لذلك راحت تظهر أنواع أخرى من الحرب: كالحرب الباردة، والحرب النفسية، وإشعال الحروب الجانبية الصغيرة في الدول الفقيرة والمتخلفة تحت شعارات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

وكذلك الحروب السياسية، والدبلوماسية، والمفاوضات. والحروب الاقتصادية: وهي أبشع أنواع الحروب الحالية بحيث دمرت شعوب وأماتها من الجوع وسوء التغذية وكذلك الأوبئة والأمراض الفتاكة (كالسرطان، والكوليرا، والتهاب السحايا، وأخيراً السيدا (الأيدز) وما شابه ذلك.

أما بالنسبة لآلة الحرب المستخدمة (تكتيكيا) وفي أرض العمليات كذلك هناك قفزات إستراتيجية حالياً. بحيث إنتجت أسلحة (رحيمة) وسميت بذلك لأنها تبيد الكائنات الحية فقط وتحافظ على التطور الحضاري - المادي - والتكنولوجي لكي لا ينهدم أو أن يصاب بأذى وهذه الأسلحة هي الأسلحة (البيولوجية). أو الأسلحة (الفراغية) و (العنقودية) وبقية الأسلحة الذكية التي يجري الآن تطويرها فهي ذات تأثير تدميري كبير على السلاح والعتاد وذات تكاليف باهظة على المصنعين والمستهلكين لها.

والتوقع في السنوات القادمة أن تكون الحروب المستقبلية حروب إلكترونية حواسب وريبوتات متحركة ولا ضرورة للإنسان إلا للمراقبة والتوجيه من تحت مئات الأمتار أو من فوق عشرات الأميال وعلى بعد مئات الكيلو مترات.

وهكذا فالحديث عن الحرب وآلتها في العصر الراهن هو ما يشير الرعب والقلق في الناس البسطاء والشعوب الفقيرة حيث لا تجد ما تأكله فضلاً عن إمتلاك تلك الأنواع من الأسلحة الفتاكة والقادرة على إبادة أي بلد - باليد الطولى أو الطويلة: أي بالصواريخ العابرة للقارات، والطائرات القاذفة العملاقة - إما دماراً كاملاً بشراً وحضارة مادية أو تقتل الأحياء وتحافظ على الحضارة المادية فقط.

والحروب الحديثة ماثلة أما الجميع وما حرب الخليج الثانية منا بعيدة. وآثار تلك القنبلتين في ناغا زاكي وهيروشيما ما زال يكتب عنها بالصحف والمجلات حيث إن معظم الولادات تأتي مشوهة رغم مرور ما يزيد على نصف قرن لإستخدام تلك الآلة الحربية اللعينة ولأول مرة في تاريخ البشرية.

والتطور السريع والكبير جداً في مجال الحرب وآله هو الذي هيأ وشجّع على قيام حربين عالميتين في النصف الأول من القرن الماضي فقط ذهب ضحيتهما ملايين البشر وأرقام خيالية من الإمكانيات المادية. وكذلك المئات بل الآلاف من الحروب الصغيرة التي لا تخلوا منها منطقة على وجه الكرة الأرضية وكان نصيبنا منها نحن العرب والمسلمون حصّة الأسد، والنمر، والفهد مجتمعين فكل الحروب كانت تستهدف المسلمين بشكل من الأشكال أو بطريقة من الطرق.

وحتى الحروب التي وقعت في بعض البلدان الأوربية فهي كانت لتلافي ومنع قيام أي دولة ذات طبيعة إسلامية أو أغلبية إسلامية في أوربا كحرب الشيشان، والبوسنة والهرسك. وغيرها.

وإسرائيل - هذا الكيان المصطنع - ما هو إلا عبارة عن خنجر في قلب العرب وصدور المسلمين قاطبة، وهي غدة سرطانية، وبؤرة توتر دائمة في المنطقة. إما بشن الحروب على الدول المجاورة أو استهلاك الطاقات بسبب التهديد باستخدام القوة العسكرية. أو بتجنيد جيوش من الجواسيس والعملاء. وصلوا إلى مراكز القيادة في البلاد العربية والإسلامية وعلى مستوى الملوك، والرؤساء، والأمراء، والوزراء، وقادة الجيش.

وما شابه ذلك مما جعلهم يخدمون قضية اليهود والصهاينة أكثر من الصهاينة أنفسهم ويقتلون الشعب العربي والشعوب المسلمة أكثر من أي غريب آخر.

فأي جاسوس فعل ما فعله صدام بالعراق؟

وإخوة صدام كثر، وأشباهه لانعدامها في البلاد العربية والإسلامية أبداً. ولكن نسأل الله العفو، والعافية، واليقظة لهذه الأمة المنكوبة بمثل أولئك القادة

الطغاة، والجواسيس اللعناء، والعملاء، والأنذال.

وبعد هذه المقدمة السريعة والموجزة عن الحرب يبقى السؤال عن الحرب من وجهة النظر الإسلامية وعن حروب المسلمين بالتالي كيف هي؟؟
فالحرب أسوأ شيء عرفه الإنسان في تاريخه الطويل لأنها توجب قتل الإنسان أو نقص أعضائه، وفقد قواه وتشويهه. كما توجب هدم العمران وإثارة البغضاء والشحناء بين البشر وإراث الأجيال العقد النفسية أو الوقوع بالأسر. ولذا يكون من الآزم تجنّب الحرب بأية قيمة (أو طريقة) وإذا اضطّر الإنسان (أو البلد) إلى الحرب لأن عدوه جرّه إليها - كان الواجب أن يقتصر فيها على أقصى درجات الضرورة.

فالحرب في ذاتها قبيحة لما فيها من قتل النفوس، والتخريب، والتدمير وقد قال سبحانه مؤيداً لذلك:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فالحرب - أخيراً - هي ظاهرة إجتماعية تملّوها الغرائز الفاسدة وليست أمراً طبيعياً في البشر.^(١)

وهي حالة استثنائية في الإمكان حالها حال إجراء العملية الجراحية. وإلاً فاللازم عند الخلاف تحكيم الحوار ورضوخ من ليس له الحق للحق. ومن مفاخر الأديان عبر الأجيال أنها كانت تحكم الكلمة (والمنطق والحوار - لحل النزاعات الناشئة). والحرب على قسمين.

أقسام الحرب

١. حرب حق وباطل. والحق لا يقدم على الحرب إلا دفاعاً أو لأجل إحقاق الحق وإنقاذ المستضعفين^(٢) (كحرب الإمام الحسين عليه السلام ليزيد وابن زياد). والنوع

(١) الصياغة الجديدة ص ٣٥٠ آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (قدس سره)

(٢) الاجتماع ج ٢ ص ٧ آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (قدس سره)

الأول يسمى بحروب الاستغلال والاستعمار وهي لأجل إدخال الناس في ربة الاستغلال وحيث إن الباطل يلبس ثوب الحق وكل مشعل للحرب يدعي أنه يحارب لأجل التحرير.

٢. والنوع الثاني يطلق عليه أسم: حرب، أو حروب التحرير (أو ثورات التحرر الوطنية بلغة معاصرة) وهي تميز عن بعضها بنقطتين.

أ. هل الأمة دخلت في الحرب بملء أرادتها، أم أن الحرب فرضت عليها فرضاً؟
وحيث إن الأمة لا تدخل إلا في حروب التحرير أما حروب الاستغلال فإنها تفرض على الأمة فرضاً. ومن الممكن معرفة الأمرين بملاحظة أجواء الحرية وعدمها. فالحرب في أجواء الحرية لا تكون إلا حرب تحرير (سواء كان تحريراً عن مستغل متسلط أو عن مستغل يريد التسلط) بخلاف الحرب في أجواء الكبت فإنها لا تكون إلا حرب استغلال.

ب. عدم كون أصحاب المصالح (السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية. أو غيرها) وراء الحرب. ولا الذين يريدون المصالح في المستقبل؟

إنه قد لا يكون وراء الحرب أصحاب المصالح الحالية وإنما الذين يريدون تحصيل المصالح في المستقبل^(١)

وبالموازنة والتقدير: أي الطرفين يريد إستغلال الأمة وسرقة أموالها والتحكم بمصائرها أو يريد إصلاحها وانتشالها من الجهل والتخلف ورفعها علمياً وحضارياً إلى مستوى عال بين المجتمعات البشرية.

فالأولي: إستغلالية وصولية محضة.

والثانية. تحريرية إنسانية بلا شك.

والإسلام يزن الحرب بميزان الصلاح للعالم والآخرة بالنسبة إلى الذين يحاربهم وبالنسبة إلى الآخرين.

فإذا حارب الإسلامي اليهود إنما يريد إصلاح حالهم دنيا وآخرة. ويريد

(١) الاجتماع ج ٢ ص ٩٤ آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (قدس سره)

إصلاح حال الآخرين الذين يعتدي عليهم اليهود لو بقي اليهود على حالهم من دون محاربة.

لذا يكون أول الفروق بين الحروب الإسلامية والحروب غير الإسلامية: أن طابع الأولى الإصلاح والإصلاح بخلاف الثانية فهي للفساد والإفساد. وقد أوجزت الآية الكريمة أهداف الحرب الإسلامية بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

فالغرض - إذن - هو إعلاء كلمة الله التي في إعلائها صلاح حال الناس دنيا و آخرة. وإنقاذ المستضعفين من براثن المستغلين والجائرين.

أما الخراب والدمار الذي يلزم الحرب في البلد أو المال أو النفس والعرض فالإسلام ينطلق فيه من منطلقين وقاعدتين

١. رد الاعتداء بقاعدة ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وقول الإمام علي عليه السلام: (وردا الحجر من حيث أتت لا يدفع الشر إلا الشر)

٢. هو الوصول إلى الإصلاح في كل شيء.

فالإسلام لا يحارب من أجل السلطة والغلبة، ولا لأجل الاستعمار والاستثمار. وإذا حارب يكتفي بالقدر الأقل الممكن من الخراب الملازم للحرب الذي هو بالحقيقة لأجل البقاء والإصلاح، لا إنه يحارب حقداً، واعتباطاً، وانتقاماً، كما هو شأن سائر الحروب وما وقع من بعض الحكام الذين ألصقوا أنفسهم بالإسلام كذباً، وزوراً كملوك بني أمية، والعباس وأضرابهم من الحروب وفي الحروب كان الإسلام منها براءً لأنها حروب ظالمة وخارجة عن المقياس الشرعي للحرب، لأن الميزان هو كتاب الله الكريم والسنة المطهرة الصحيحة فقط، لا عمل الحكام الجائرين الظالمين.^(١)

(١) السياسة ج ١ ص ١٣٩ آية الله العظمى السيد محمد الشيرزاي (قدس سره)

والإسلام الحنيف يبيح قتل الكافر، وسبي
عرضه، ونهب ماله وخراب بلده في مقابل قتال
الكافر للمسلم وسبي عرضه ونهب ماله وخراب
بلده. كما أنه يبيح كل ذلك بالنسبة إلى الكافر قبل
الوصول إلى الأصلح^(١)

(من جهة؛ ورد الاعتداء بمثله من جهة أخرى).

شروط الحرب

ويجب العلم أن اصطلاح الحرب ليس مطلقاً: بل اللازم أن تتوفر هناك شرائط
حتى تسمى حرباً. وإذا سُمّيت حرب لم تترك مطلقة بل تقيّد مثلاً يقال (حرب
العصابات) أو (حرب الدّعاية (النفسية)، أو (حرب الاقتصاد) أو (الحرب الباردة) أو
ما أشبه ذلك وشروط الحرب هي.

١. الاصطفاف

أن يكون كل طرف مستقلاً فإذا كانت اجتماعات غير مستقلة بل متداخلة لم
تسمّ حرباً وإنما فوضى كما إذا صار حرب أهلية لا اصطفاف لكل طرف بل وقع
الناس ببعضهم بعض يقتل بعضهم بعضاً.

٢. الارتباط

أن يكون بين الطرفين ارتباط، وإلاً فلا يصدق الحرب، ولا الصلح، ولا
المعاهدة، ولا المسالمة، ولا ما أشبه ذلك. فإذا كان الارتباط ارتباط العداء وتحت
المواجهة بالسلاح وآلة الحرب ونحوه تسمى حرباً^(٢).

(١) السياسية ج ٢ ص ١٨ آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (قدس سره)

(٢) الاجتماع ج ٢ ص ١٨ آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (قدس سره)

٣. النَّظْم

يلزم أن يكون لكل طرف النّظم وإلا لم تسم حرباً.

إذن الحرب بنظر الإسلام استثناء وضرورة و (الضرورات دائماً تقدر بقدرها) إلا أنها يجب أن تكون مقدسة وقداستها أنها في سبيل الله ولوجه الله والمقتول يمثل هذه الحرب من المسلمين يسمى شهيداً. وهو أرفع أوسمة المجاهدين لأن الله سبحانه وصفهم: بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وذلك، بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿[آل عمران: ١٦٩-١٧٠]

وهذه المنزلة الرفيعة تطمح إليها النفوس الشريفة وتشرب لها الأعناق وصاحبها يشار إليه بالبنان في الدنيا والآخرة.

فالإسلام يكره الحرب ويدعوا إلى السلم والسلام ودعوته هذه واضحة من اسمه الشريف (الإسلام). والآيات القرآنية المباركة؛ والأحاديث النبوية الشريفة؛ ومواقف أئمة المسلمين كلها تدعوا: إلى السلام وإتباع نهج الدعوة إلى الإسلام بالكلمة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

أما إذا اضطر الإسلام للحرب فإن لها عدد كبير من القيود والشروط لأن المناقبات والأخلاق الإسلامية يجب أن تطبق في أحلك الظروف كما تطبق في الأيام العادية وأيام الرّخاء. فالإسلام رسالة هداية ونور من الله الرحمن وكتاب الله ينادي بالجميع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

و﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]

(الإسلام يدعو إلى دار السلام).^(١)

هذا في الأسس والأصول العامة للإسلام. إلا أنه لا يريد للإنسان المؤمن فيه الذلة والخضوع للظالمين - حاشاه - لأن المؤمن عزيز وعزته من عزة الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ.

ولأن سنن الكون تقول: بأن التنازع بين الأقوياء، أو الضعفاء، أو الأقوياء والضعفاء.

لذلك قال ربنا سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]

فمسألة القوة هي مسألة في غاية الأهمية بالنسبة لهذه الحياة فالقوي دائما مرهوب الجانب والإعداد الإسلامي لهذه القوة هو دائما ضرورة حضارية وأمنية من أجل إرهاب الأعداء. والعلم العسكري - قديماً وحديثاً - يقرر بأن الرهبة والخوف هي أحد أهم أسباب الفشل في المعركة. فالمقاتل الذي يخوض المعركة وهو خائر القوى، واهي العزيمة، تراه ميّتاً قبل أن يأتيه الموت فهو وبال وكارثة على جيشه وقائده.

لأن الخوف يعدي كمرض معدي كما قالوا: والشجاعة معدية كذلك. لذلك في الحروب الحديثة وتعليمات علم النفس العسكرية: هي وجوب عزل العناصر الجبناء تماماً عن زملائهم وضرورة إبعادهم عن ساحة القتال حتى لا ينتشر الخوف والدُّعر في صفوف المقاتلين. وعلى القائد أن يستنكر وبشدة وجود مثل هذا الشخص بين المقاتلين ويضرب لهم الأمثلة على الشجاعة والبطولة وتمجيدها ليدب الحماس لديهم ويرفع

(١) وهي قوله تعالى ﴿والله يدعوا إلى دار السلام﴾ يونس/ ٢٥.

من عزيمتهم، وقوتهم ومعنوياتهم ليخوضوا
السعرية بنجاح.

فامتلاك القوة في الإسلام ﴿تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ لذلك قيل: إن الإسلام كان ينتشر بالخوف والذعر قبل المعارك، والقتل، وانتشار الإسلام وانتصار الرسول الأعظم ﷺ في معظم غزواته كان بأقل ما يمكن من القتلى هذا وقد أحصوا قتلى حروب الرسول الأعظم ﷺ التي بلغت ٨٠ غزوة فلم يتجاوز ١٤٠٠ شخص فقط والقوة الإسلامية هي قوة إيمانية في النفوس، وأخوية في الأمة. لذلك كان الرجل المؤمن يعدُّ بعشرين، أو مئتين، أو حتى ألفين من الكافرين، أو ربما إذا اجتمعت عليه العرب لم يرهبه جمعهم فيولي كما قال الأمير علي عليه السلام. أو كما فعل الإمام الحسين عليه السلام على تراب كربلاء حيث واجه حوالي الثلاثين ألف، لنفسه الأبيّة ذلك بعد أن استشهد كل من كان معه من أصحابه الكرام. فقاتلهم قتالاً تعجبت منه السماوات السبع، والأراضون السبع، ومن فيهن جميعاً حتى أعدائه وما زال كذلك حتى مضى إلى ربه شهيداً سعيداً بل سيد الشهداء على الإطلاق وروحي وأرواح العالمين له الفداء وعليه وأصحابه وأبنائه البررة آلاف التحية والسلام.

وقبل تجاوز هذا المقام والانتقال إلى الحديث عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لا بد من التوقف عند مصطلح إسلامي - شبه خاص - كثيراً ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ألا وهو «الجهاد في سبيل الله».

الجهاد

هَذَا المصطلح الإسلامي - الذي فهم منه الغرباء وخاصة المستشرقين من الغرب - أنه الحرب أو يوازي ويساوي الحرب. إلا أن هَذَا المفهوم الضيق لمعنى الجهاد الواسع والأصيل والذي يشمل جميع مرافق الحياة الإنسانية بدون استثناء. أما الذين ضيقوا هَذَا المفهوم من المستشرقين وترجموه إلى لغاتهم بمعنى الحرب فإن هَذَا كان بقصد - القسم الأعظم منهم - تشويه صورة الإسلام الناصعة في نظر شعوبهم، وقرائهم، وكذلك غرس المفاهيم الخاطئة عن هَذَا الدِّين السَّماوي القويم في الأذهان وعدم السماح للثورة الإسلامية بالوصول إلى قلوب وعقول شريحة كبيرة من البشر بمحاولة زيادة هذه الحجب الزائفة أمام النور الإسلامي الباهر.

ولذلك تجد (أن فكرة الإسلام دين السيف) و (الإسلام انتشر بالقهر والغلبة) و (الإسلام دين العنف والحرب). وغيرها من المقولات التي طالما ترددت وما زالت كذلك حتى اليوم^(١). ولا تكاد ترى حوادث عنف و قتل وتدمير إلا ويلصقونها

(١) ويا للأسف... إن بابا الفاتيكان وقف بالأمس القريب في ألمانيا يردد مثل هذه المقولات الخبيثة

(بالأصولية الإسلامية) والتي تعني - فيما تعنيه - بنظر الشعوب الغربية قِمةَ
الهمجية، والتخلف، والتعطش إلى الدماء. والإسلام من كل هذا براء. بل الإسلام
دين المحبة والأخوة والسلام. إلا أن الجهاد الإسلامي هو مصطلح واضح وضوح
الشمس في المنهج الإسلامي وفي اللغة العربية الرائعة التي تحمل من المعاني
والتنوع والإبداع ما لا تحمله أية لغة أخرى على وجه الأرض. ورسولنا الكريم
محمد بن عبد الله ﷺ أوضح حقيقة الجهاد بكلمة مسؤولية رائعة حين بين أن
الجهاد جهادان. أكبر وأصغر. وذلك حين قدم عليه قوم من جنده كانوا في غزوة فقال
لهم:

مرحباً. مرحباً بمن قضوا الجهاد الأصغر وبقي
عليهم الجهاد الأكبر.

قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ﷺ ؟
فقال ﷺ: جهاد النفس^(١).

والجهاد: هو بذل الجهد وكل ما في الإمكان من
أجل غاية كريمة وهدف مقدس. فجهاد الأعداء
هو من أبسط مفاهيم الجهاد الأصغر وهو من
أجل إيصال الرسالة السماوية (الإسلام) إلى
شعوب الأرض (بالحكمة والموعظة الحسنة)
وكذلك لرفع الظلم والاستعباد عن رقاب العباد
في تلك البلاد التي فتحها الإسلام.

أما حروب الإسلام وغزواته وسراياه فكلها كانت دفاعية (إما لدفع الاعتداء،
أو الاعتداء بالمثل) وأخلاقيات ومناقبات الحروب الإسلامية مشهورة وفي كتب
التأريخ مدونة وهي تمثل آية من آيات العظمة التي سجلها التاريخ في سجل
الإسلام الخالد.

الزائفة دون أن يكلف نفسه عناء السؤال عن صحة ما يقول!!!

(١) آفاق الجهاد الإسلامي: السيد محمد العلوي: ص ١٤٦.

أما الجهاد الأكبر فهو المعوّل عليه والذي يدعو إليه الإسلام وهو (جهاد النفس) لأن (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك).^(١) و (ليس الشديد بالصُّرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).^(٢)

و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] و (من خرج ليكف نفسه أو عياله أو أبويه فهو في سبيل الله) وحتى (جهاد المرأة حسن التبعل). وغير هذا كثير في الآيات والروايات التي تتحدث عن الجهاد الإسلامي الذي لا ولن ينحصر بمعنى الحرب أبداً.

والإسلام دين جهاد. لأنه يدعو إلى العمل،
والجد، والكد، ومحاربة النفس، والهوى
والالتزام بالطاعات، واجتناب المحرمات،
والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ورد
الظلم والعدوان عن الإسلام والمسلمين أمة
وأفراد.

والجهاد فرض عين بمعناه العام.

وهو فرض كفاية - بعناه الخاص الذي يعني محاربة الأعداء - ويصبح فرض عين عند تعرّض بيضة الإسلام للخطر الخارجي أو الداخلي أو عند إعلان المعصوم (الجهاد المقدس) كما فعل الإمام الحسين عليه السلام حين رفع راية الجهاد المباركة لدفع الظلم الأموي عن الأمة الإسلامية ولذلك ورد اللعن على كل من سمع النداء ولم يلبّ. لأن تلبية نداء الإمام الحسين عليه السلام واجبة، والجهاد تحت رايته المباركة فرض عين كما يقرّه الإسلام الحنيف، وهذا ما غاب عن كثير من العلماء قديماً وحديثاً.

وأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام يوضح لنا معنى الجهاد الحقيقي في نهجه الخالد إذ يقول عليه السلام

(١) ن.م. ص ١٤٥.

(٢) ن.م. ص ١٠٥.

إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله
 لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع
 الله الحصينة، وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة
 عنه، ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء ودبث
 بالصغار أو القمائه (منتهى الذل والأهانة) وضرب
 على قلبه بالإسهاب (الثثرة) وأدبل الحق منه
 بتضييع الجهاد وسيم الخسف (المشقة) ومنع
 النصف، (العدل والانصاف).^(١)

فالجهاد باب من أبواب الجنة وهذا يشكل قمة التطلع للإنسان المؤمن في
 الإسلام ولكن لا يدخل فيه إلا الأولياء والعظماء حقيقة لأن، يتطلب نفوساً عالية
 الهمة، وقلوباً شجاعة، وأجساماً قادرة على التحمل والصبر، وعقولاً منفتحة
 على الله ومدركة مدى ضرورة وحقيقة الجهاد.

الجهاد في الدولة الإسلامية. (درع الله الحصينة)

فالجهاد أي الدرع الذي تحصن فيه حدود الله، وتقام فيه فروضه،
 وواجباته، وتحفظ الحقوق بنشر العدل والمساواة حيث انتصاف المظلوم من
 الظالم وتضان الأموال والأعراض والدماء فهو (ذروة الإسلام).^(٢)
 والجهاد في الخارج (جنته الوثيقة) أي الترس الذي يمنع العدو من انتهاك
 حرمة البلاد الإسلامية وقالوا قديماً: (الاستعداد للحرب يمنع الحرب) وحديثاً قالوا:
 (ردع القوة يمنع استعمال القوة). وحالة الجهاد في الدين الإسلامي هو هذه الحالة من
 الاستعداد: أي أنها حالة وقائية لا وبائية - لتقي من العدوان وليست لشن العدوان
 - وأمير المؤمنين والبيان يقول عليه السلام: (اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم

(١) نهج البلاغة خ/ ٢٧

(٢) ن م خ ١١٠

قط في عقر دارهم إلا ذلوا^(١). وبهذه الطريقة الوقائية عالج الأمور وحمى نفسه كل هذه الأعوام بل القرون المتطاولة (فالجهد عز الإسلام)^(٢) حقيقة وواقعاً (من تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء). لأن أكبر الذل وأعظم البلاء هو احتلال البلاد، ونهب الخيرات، وإنتهاك الإعراض، وقتل النفوس، واستباحة النساء، وأسر الأطفال، وقتل الرجال. وبهذا يكون (ديث بالصغار - الإذلال اقماءة أو القمامة (أي الهوان)

فيضرب الله على القلوب بالإسباب والثرثرة واللامبالاة. وكل ذلك وأكبر منه بسبب (تضييع الجهاد) وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإننا نجد أن الآيات المباركة، والوصايا النبوية، والأمامية العظيمة. تؤكد على مسألة الجهاد في سبيل الله (لأن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى: (الإيمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله).^(٣)

(وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم).^(٤)

والله. الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألستم في سبيل الله).^(٥)

وإذا أدركنا ذلك جيداً يمكننا أن ندرك أن المواجهة بين الأمة وبين الأمم الأخرى ليست بالضرورة مواجهة عسكرية بل هي مواجهة حضارية كاملة ومن الخطأ أن نحصر الأمر في مسألة القتال والحرب فقط.

فالأمة القوية تستمد عناصر قوتها من مجمل أوضاعها وفي مختلف الجوانب الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية. بالإضافة إلى العسكرية.

فالنهضة الحضارية تعتمد على الأخذ بكل أسباب

(١) ن.م خ ٢٧

(٢) ن.م حكمة ٢٥٢

(٣) النهج خ ١١٠

(٤) النهج الكتاب ٣١

(٥) النهج الكتاب ٤٧

التطور والتوسع والبناء.

ولكن مع الوضع القائم لا يمكن ان ننسى دور
الجهاد كعامل ردع وحصن استغلال ووسيلة عزة
ومنة وكرامة للأمة كلها.
فلكي لا تخضع للعدوان لابد أن تكون قادراً على
رده.

ولكي لا تستكين إلى هوان، لابد أن تكون مستعداً
للجهاد.

ولكي لا تموت تحت ارجل الغزاة لابد أن تكون
مهيوب الجانب.^(١)

ولكن ما هو افضل الجهاد في الحياة: هو كلمة حق
عند إمام أو سلطان جائر^(٢) - وكما في الحديث
الشريف - وهذا ما أعلنه الإمام الحسين عليه السلام
في المدينة وسار به إلى مكة ومنها إلى كربلاء
المقدسة حتى عمل كل ما بوسعه لإثباتها على
أرض الحقيقة والواقع حتى إنه قضى شهيداً
وشاهداً على فداحة الظلم الأموي.

والسؤال الآن هو: أين موقع، ومكان، ودور معركة كربلاء؟ وهل يمكن أن
تسمى حرباً أم لا؟؟؟

إن أرض كربلاء شهدت حرباً بكل ما تعنيه الكلمة وذلك لتوفر الشروط
الثلاثة التي ذكرناها للحرب ألا وهي.

١. الاصطفاف. فتجهيز الجيش، والاصطفاف، والقتال بكل أنواعه. بدا واضحاً على

(١) الجهاد ص ١٩ سماحة السيد هادي المدرسي.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٧٨.

أرض الطفوف المقدسة وهذا أول شرط للحرب.

٢. الارتباط. وهذا بيّن وواضح فالإمام الحسين عليه السلام يعلم تمام العلم من يقاتل من الأعداء وأعداؤه الجبناء يعرفونه تمام المعرفة. ويعرفون سبب خروجه المقدس.

٣. النظم. وهذا متوفر كذلك على أرض كربلاء. فالإمام الحسين عليه السلام يقاتل في سبيل الله ومن ورائه المستضعفين والمؤمنين دائماً وأبداً. ويزيد يقاتل في سبيل الشيطان والقهر والاستبداد ومن ورائه دولة قوية تملك كل نواحي القوة والمنعة.

فأرض كربلاء شهت حرباً مقدسة وهي حرب تحرير من قبل الإمام الحسين عليه السلام. واستغلال من قبل يزيد الطاغية اللعين ويخطئ من لم يرها حرباً. فالإمام الحسين عليه السلام يريد تحرير هذه الأمة من طاغية جبار راح يعبث في البلاد والعباد فساداً وإفساداً فأخذ مال الله دولاً، وعبده خولاً ولم يرع لأحد من الأمة إلا ولا ذمة.

وانطلق الإمام الحسين عليه السلام ليعيد إلى الأمة الإسلامية صفاءها، ونقاءها، وأصالتها التي أرادها الله سبحانه وتعالى لها. وغرسها رسوله الكريم ﷺ في أعماق أبنائها البررة.

أما يزيد وجيشه: فإنه أراد أن يطفئ نور الله ويمحو اسم الإسلام ورسمه عن وجه الدنيا ويأبى الله له ذلك - فجيش هذا الجيش الجرار من أجل القضاء التام على بقعة النور المتبقية أو على مصدر النور للأمة الإسلامية في ذاك العصر المظلم والتي كانت متمثلة بالإمام الحسين السبط عليه السلام.

فأراد بزعمه وفكره الخبيث القاصر أن يطفئ النور بالظلم والظلام. فأضاء النور الظلام واندحرت جيوش الظلم بسيف العدل البتار الذي أصبح الإمام الحسين عليه السلام هو ذلك السيف منذ (أن أعلن أن كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء). ومنذ أن انتصر العدل على الظلم والحق على الباطل وربنا قال: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

فما هي الملابسات وكيف سارت الأمور من بدايتها إلى نهايتها. من لحظة إعلان الرِّفْض المقدس للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام لحكم يزيد الطاغوي. وإلى لحظة استشهاد المَفْجعة على تراب كربلاء المقدسة.

هَذَا مَا نَحَاوَلُ مَعْرِفَتَهُ عَسْكَرِيَا خُطْوَةً بِخُطْوَةٍ وَمِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقُ.

ثانياً: الحرب النفسية السيكولوجية.

إن النفس البشرية هامة كالجسد الحامل لها
تماماً.

وهي تتأثر بالجسد وتؤثر به وهذا ناتج من
الارتباط العضوي بين الإثنين وكما أنه يوجد
حرب ضد الأجساد فهناك حرب ضد الأنفس
والأرواح إلا أنها كانت قديماً شبه غامضة، أو
مخفية، أو غير ظاهرة للعيان. إلا أن العلم الحديث
والمتطور حيث سبر أغوار الفضاء، وغاص
إلى أعماق البحار فهو كذلك حاول أن يسبر
أغوار الروح ويغوص إلى أعماق النفس البشرية
ويدرسها ويحاول معرفة أمراضها وأحوالها
وتقلباتها.

وبالتالي معرفة الدواء للأمراض المكتشفة علاجاً ووقاية. وزادت نسبة الاعتماد
على علم النفس وصار له خصوصية في الدراسات النفسية تحت اسم (علم النفسي
العسكري) وتطورت وسائلها هجومياً ودفاعاً حتى صارت تسمى (بالحرب النفسية)
وهي ذات مداليل ومعاني وتأثيرات خطيرة جداً على ساحة المعركة أفراداً أو
جماعات، جيشاً، وأمة، ودولة.

واثبتت التجارب أن الحرب النفسية (كسلاح عسكري) ذو فعالية لا بأس بها

كما. وأثبتت الحروب الماضية والوقائع الحربية - قديماً وحديثاً أهميتها بالنسبة للقوات المسلحة - سلباً أو إيجاباً - وموضوع الشائعات وما يرافقها أو ربما يسبقها أو يلحقها هو موضوع قديم ومتجدد مع كل جيل وكل دولة وما المقولة التي سمعناها عن الفتوحات الإسلامية في بداية نشوئها إلا ضرباً من أضرِبها ونتيجة من النتائج الايجابية لها، وهي: أن الفتوحات كانت أكثرها بالخوف والرعب حيث فيه تسير الجيوش ويسبقها أخبار مسيرها فتاتي قادة القبائل، وزعماء الأمصار إلى القادة المسلمين لتسليم مفاتيح البلاد لهم والنزول إلى حكمهم، والرضا بما يفرضونه من الضرائب التي كان يقرها الشرع الإسلامي الحنيف.

كما أن موجة الرعب التي قضت على الدولة الإسلامية التي سبقت جيوش (جنكيز خان) وجيوش التتار والمغول الهمج إلا نوعاً من تلك الدعاية التخريبية التي رافقت تلك الجيوش الجرارة إلا أن الفرق بين الاثنين واضح. لأن الأولي: كانت تطمح الشعوب المفتوحة بعدالة وقسط الشريعة الإسلامية. والثانية: كانت مرعبة من شدة بطشها، وقتلها، وتدميرها، فأثارت موجة من الرعب الشديد في الأوساط كافة وذلك المستشرق الذي قال: ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب.

وكل ذلك كان يأتي ارتجالياً وتنقصه الدقة والتنظيم وأسلوب العمل الصحيح والهادف للتأثير على منطقة ما أو جهة معينة من قوات العدو أو شعبه وما إلى ذلك. والحرب النفسية هي سلاح فعال ومتمم للعمليات القتالية العسكرية إلا أنها ليست بديلة عن المعارك والاشتباكات نهائياً بل هي تسهل الطريق أمام الجيوش المحاربة وتساعد في تحقيق النجاح لها في ميدان المعارك.

ولم تستخدم الحرب النفسية بشكل علمي ومدروس إلا في هذا القرن الأخير وفي الحرب الكونية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م بالذات حيث استخدمها أعداء ألمانيا ضدها وهذا المارشل (هند برنج) الألماني يصدر توجيهاً إلى الجيش الألماني، يقول فيه:

يحاربنا العدو بوسائط متنوعة فهو يقصف مواقعنا

بالقنابل المتفجرة، والأوراق المطبوعة، ومفعول هذه الأخيرة قاتل كالقنابل. كما يسقط علينا طياروه المنشورات ليقضوا على روحنا المعنوية وهو يأمل أن يرسل جنودنا هذه المنشورات ذات المظهر البري إلى ذويهم في الوطن حيث تنقلها الأيدي ويناقشها الناس في اجتماعاتهم وهنا يتلع الأغبياء هذا السم القاتل.

فبإمكانك أن تلاحظ مدى التأثير الكبير والفعل لتلك القصاصات من الورق أو بما يسمى المنشورات على الجنود في أرض العمليات حيث يصفها (ومفعول هذه الأخيرة قاتل) وعلى الرأي العام في داخل ألمانيا حيث يصفها (السم القاتل) ولا يتناوله إلا الأغبياء حسب رأيه وبالفعل فإن الحرب النفسية حساسة ودقيقة وتأثيراتها تتوجه إلى النفس والروح لذلك فإن علاجها صعب وربما مستصعب يستعصي على القادة العسكريين مما يؤدي إلى اخراج قسم من القوات خارج المعركة نتيجة الخوف والهلع الذي يمكن أن تصاب به القوات نتيجة الحرب النفسية الموجهة ضدها في أرض العمليات وبوسائل متنوعة.

والأمثلة كثيرة ومتنوعة من ذلك الحين وحتى وصلت إلى أجهزة معقدة في الجيوش وتستخدم أحدث التقنيات المعاصرة بما يخدم عملها (سلباً أو إيجاباً) من أجل التأثير، وتلافي التأثيرات. وكفعل ورد للفعل. والتجارب والخبرات العسكرية تقول. بأن ما انتصر العدو على العرب في

حروبها كلها مع العدو الصهيوني وإسرائيل إلا نتيجة الدعاية التخريبية وأسطورة (الجيش الذي لا يقهر) تعبيرا عن الجيش الصهيوني في إسرائيل. (لذلك صار أحد أهم منجزات حرب تشرين على الجبهتين السورية والمصرية هو تحطيم هذه الأسطورة لجيش العدو واستلام زمام المبادرة في اتخاذ قرار الحرب الذي اتخذته القيادات السياسية والعسكرية في كلا البلدين وأما تأثير ظهور العجوز الشمطاء (غولد مائير) على الشائنة تبكي وتصرخ: (أنقذوا إسرائيل) فهو كبير جداً بحيث إن الطيران المعادي كان لا يجرؤ أحد من طياريه على الصعود بها فكانوا يربطوه على المقعد بالسلاسل لأنه موقن بأنه مجرد وصوله فوق الأراضي السورية أو المصرية سوف يسقط لا محالة وذلك بتأثير الدعاية الرائعة للصواريخ الفعالة التي استخدمت لأول مرة في حروبنا مع العدو الصهيوني.

أما الذي دمر وبّين زيف تلك الأسطورة للجيش الصهيوني المتغطرس فقد سحقتها ضربات المقاومة الإسلامية البطلة في لبنان البطل لاسيما في السنوات الأخيرة التي حررت الجنوب اللبناني إلا بعض النقاط حول مزارع شبعا. وحررت الأسرى. إلا أن الضربة القاصمة كانت في الحرب الـ ٣٣ يوم الأخيرة حيث دكت رجالات المقاومة حصون العدو بالصواريخ حيث وصلت إلى الخضيرة بالقرب من تل أبيب. ودمرت معظم جيوش النخبة لديهم وهزت (إسرائيل) من الأعماق وأظهرتها على حقيقتها التي كنا دائما نقولها وهي إن الكيان الصهيوني كيان من الكرتون والفلين الهش والدعاية والتصوير المزيف أظهر كل ذلك حقيقة واقعية. أما الآن فقد ظهر صدق قولنا للقاصي البعيد والداني القريب والحمد والمنة لله وحده.



وبعد هذه المقدمة عن الحرب النفسية لا بد أن نكون قد وصلنا إلى فكرة تعرفنا عن المعنى المراد من الحرب النفسية. أو ما يسمى تعريفها فهي:

الاستخدام المخطط والمنظم للدعاية والوسائل النفسية الأخرى للتأثير على عواطف وسلوك

العدو، سواء في الداخل أو في أرض العمليات
وكذلك للتأثير على الشعوب المحايدة أو
الصديقة بغية كسب التعاطف والرأي العام
الدولي.

أهداف الحرب النفسية

ومن هذا التعريف يمكن لنا أن نحدد هدف الحرب النفسية أو الأهداف التي من أجلها نستخدم هذا النوع من الحرب الخفية. ويجب العلم أن أولى أهداف الحرب النفسية: هو إضعاف الروح المعنوية للقوات المعادية ورفع معنوية القوات الصديقة دائماً وأبداً، ومن ثم يجب معالجة العقائد والأفكار التي يؤمن بها الجيش ومحاولة تحطيمها وتدميرها.

والاستعاضة عنها بمبادئ أخرى تناقضها تماماً وهي أقرب إلى النفوس، وأسهل في التناول. وبذلك نعرف أن هدف الحرب النفسية في الأحوال العادية وأيام السلم: هو تحطيم العقائد، والأفكار، والمبادئ، والقيم الأخلاقية التي يتمسك بها المجتمع ويعتزُّ بها إلى مناقضاتها من أفكار وقيم ومبادئ يؤمن بها العدو وبهذا ينسلخ المجتمع عن أصالته وينقلع من جذوره فيكون سهل الاقتلاع على العدو الذي أصبح مجتمعه وقيمه هي بمثابة الأم القديسة للمجتمع الجديد الفاسد.

وهذا ما تحاوله قوى الظلم والاستكبار العالمية حالياً (صهيونية وامبريالية). أن تفعله في مجتمعاتنا. وللأسف الشديد. إن معظم المجتمعات الإسلامية صارت في مظهرها الخارجي

والداخلي صورة ممسوخة وتافهة عن تلك المجتمعات الغربية المنحلة تماماً ولكن بشكل أبشع وغير لائق نهائياً.

أما في ظروف المعركة والعمليات الحربية فينظر إليها من اتجاهين مختلفين (سلباً وإيجاباً):

١. سلباً: يجب أن تؤثر على الروح المعنوية لقوات العدو والتعجيل بالتالي في هزيمة وفرار القوات المعادية من أرض المعركة تاركين السلاح والعتاد وربما الاستسلام والرضى بالوقوع بالأسر وذلك عن طريقين اثنين.

أ. أضعاف مقدرة العدو على القتال باضعاف روحه المعنوية.

ب. حمل قوات العدو على الفرار والاستسلام.

٢. وإيجاباً: ربما يجب أن ترفع من الروح المعنوية للقوات الصديقة وتجعلها أكثر ثباتاً وأشجع في القتال وأقوى من أي فعل مضاد من القوات المعادية لهم. وبذلك يضمن القائد استمرارهم بالقتال حتى آخر جندي فيما الموت وأما النصر ووصول الإمدادات.



وبعد استعراض ومعرفة هدف أو أهداف الحرب النفسية لابد لنا من إلقاء بعض الضوء على مبادئها العامة، وكذلك أنواعها المستخدمة قديماً وحديثاً من أجل إعطاء صورة شبه كاملة عن هذه الحرب الخفية والخبیثة في كثير من مراحلها.

مبادئ الحرب النفسية

لا يوجد مبادئ ثابتة للحرب النفسية وذلك لأنها ترتبط بالأنفس والأرواح وهذه متغيرة متقلبة ومختلفة من شعب إلى آخر ومن إنسان إلى أخرى كذلك.

إن علماء النفس والاختصاصيين بالحرب النفسية قسّموا هذه الحرب إلى ثلاث مراحل هي:

١. مرحلة الحصول على انتباه الجمهور فإذا لم يتواجد الجمهور اللازم للتلقي فإن العمل لا شك فاشل.
٢. مرحلة اكتساب ثقة الجمهور وهي أساسية للحرب النفسية.
٣. مرحلة التأثير على الأفكار وهي بمثابة النتيجة المتوخاة من كل الحرب النفسية أي هي مرحلة بث السموم القاتلة في الأمة أو الجيش من أجل التخدير أو القتل البطيء.

أنواع الحرب النفسية

هناك عدد من الأنواع للحرب النفسية وهي عامل مساعد ليس إلّا - كما مرّ معنا - للعمليات القتالية أو عامل مساعد لترويج، وتحسين، ومساعدة سياسة البلد ضد البلد المعادي له وهي

١. الحرب النفسية الإستراتيجية (السوقية)

هي موجهة إلى عمق الأراضي المعادية وتهدف إلى التأثير على الروح المعنوية للشعب والسكان وللجيش والقوات في آن معاً ورفع معنويات الصديق داخلياً أو حتى في المناطق المحتلة من قبل العدو. ووسيلتها الرئيسية هي الإذاعة والتلفاز وما أشبه ذلك. ومسؤولية تنظيمها وقيادتها تقع على عاتق الدولة ووزارة الإعلام بالذات وهي لا تعطي نتائج مباشرة ملموسة بل تأثيرها يكون على المدى الطويل والبعيد نسبياً ولا يمكن لمس ذلك مباشرة لانعدام التماس المباشر مع العدو الموجه إليه مثل هذه الحرب.

الحرب النفسية الإستراتيجية يجب أن تستفيد من الأوضاع الداخلية للدولة المعادية وهناك عدد من النقاط ربما نشير إلى أهمها والتي يجب استغلالها هي.

١. النكسات الحربية. كهزائم القوات المعادية أمام ضربات رجال المقاومة والأبطال في جنوب لبنان.

٢. الانهيار السياسي، والتدمير، والتصعد في الجبهة الداخلية. كما حصل

أخير الحكومة العدو الصهيوني.

٣. الأزمات الاقتصادية وهي ذات أهمية لفعاليتها والإضرابات الصناعية، والفشل الزراعي، والتجاري أو انخفاض سعر الصّرف للعملة المحلية وغيرها.

٤. نقص في مواد التموين والمعاشة وفشل الدولة في تموين البلاد والسكان خلال العمليات الحربية.

فباستغلال مثل هذه القضايا الداخلية وتعظيمها والتطويل بها يؤدي إلى إحداث بلبلة في البلد المعادي مما يؤدي إلى انتشار الفوضى والخوف وصعوبة السيطرة على الأوضاع الداخلية من قبل السلطات المعادية ولهذا يؤدي بدوره ليس فقط ضعف الروح المعنوية للجيش بل يؤدي إلى التذمر ورفض الأوامر العسكرية.

٢. الحرب النفسية المعنوية (تكتيكية)،

هي موجهة ضد قوت العدو في مسارح العمليات وإلى مواطنيه المتواجدين في منطقة العمليات العسكرية كذلك. وهي تهدف إلى تحطيم الروح المعنوية للقوات المعادية وخاصة تلك التي بحالة التماس المباشر مع القوات الصديقة.

أما الوسائط المستخدمة لهذه الغاية: فهي الإذاعات الميدانية، والمناشير، ومكبرات الصوت وتقع مسؤولية توجيه وإدارة هذه الحرب على عاتق قادة العمليات المباشرة وبالتعاون مع الأعلى والأدنى في التسلسل العسكري الأقدم والأحدث ويجب الانتباه إلى عدم تعارض الإستراتيجية والتكتيكية بحيث يجب أن يتم التنسيق الدقيق بين النوعين لكي لا تقع في مطبات الكذب والافتضاح. وبالتالي فإن أهداف الحرب النفسية المعنوية ربما نوجزها بما يلي.

١. تحطيم معنويات القوات المعادية وقدرتها على القتال.

٢. إصدار منشورات الاستسلام والإنذارات الخاصة التي تسجل بعض الاستسلامات في بعض المناطق المحددة من الجبهة.

٣. توجيه تعليمات ورفع معنويات إلى المواطنين أو الجنود في مناطق الاحتلال المعادية.

٤. نفي الدعايات المعادية وتبرير الحرب وضرورة المقاومة بالنسبة للصديق..
وهكذا نجد: أن الحرب النفسية التعبوية هي خاصة بالقوات المسلحة
المعادية بهدف تدمير الروح المعنوية، وإضعاف الروح القتالية، وحملهم على
الاستسلام دون مقاومة.

٣. الحرب النفسية المحلية

وهي توجه إلى السكان المحليين ومواطني البلاد كلها وبالأخص إلى القوات
القريبة من مناطق العمليات أو المناطق المحتلة حديثاً من قبل العدو وتهدف إلى:
١. المساعدة المباشرة لدعم العمليات العسكرية بتأمين خطوط المواصلات
وتأمين القطعات وتوجيه حركة اللاجئين والتخفيف من الذعر والخوف الذي
يدب في الأوساط المدنية.

٢. الحصول على مساعدة ومساندة المدنيين.

٣. معاكسة الحرب النفسية المعادية

وتستخدم في هذه الحرب عدة أدوات أهمها الإذاعات المحلية ومكبرات
الصوت الثابتة والمتحركة والمناشير، والإعلانات وغيرها ويقع مسؤولية تنظيمها
وقيادتها على عاتق قادة مسارح العمليات أو يمكن أن تلقى على عاتق السلطات
المدنية.



فهذه لمحة سريعة من الحرب النفسية القديمة في تأثيرها الحديثة في
تنظيمها من أجل زيادة تأثيرها على المدنيين وعلى العسكريين وفي المجالين
ينحصر تأثيرها على الروح المعنوية للقوات والشعب معاً. وأما الأسلحة
المستخدمة في الحرب النفسية فهي كثيرة إلا أن أشهرها وأقدمها والأكثر انتشاراً
واستخداماً فهما سلاحان فقط.

أولاً: الدعايات

الدعاية: وهي أية محاولة لدولة أو حركة لنشر عقيدة خاصة وتتألف من المعلومات والأنباء والنداءات التي تهدف إلى التأثير على أفكار وأعمال الطرف الآخر.

أو الدعاية: هي مجموعة من المبادئ والأساليب والأشكال للتأثير الأيديولوجي والنفسي على جنود العدو بهدف تقويض الروح المعنوية عنده والمساعدة في تحقيق الأعمال التي تؤدي بدورها إلى إضعاف الجهود المسلحة للقوات والبلاد بشكل عام. ولها أنواع وأشكال وتختلف في وقت السلم عنها في وقت الحرب وفي الهجوم عن الدفاع وغيرها -

وهي ثلاثة أنواع:

١. سوداء: هي التي تصدر من العدو لكن دون إعلان صريح عن مصدرها.
٢. بيضاء: هي الدعاية المعروفة المصدر والصريحة:
٣. رمادية: هي الصادرة عن مصدر مجهول تماماً.

ثانياً: الشائعات

الشائعة: فهي خبر بسيط يتناوله الناس بسرعة يهدف إلى بث أخبار كاذبة أو التمويه على الحقيقة والواقع وذلك من أجل التأثير على معنويات الشعب والجند على حد سواء:

أنواع الشائعات

١. شائعات الخوف: تنشر الخوف بين الصفوف من مجرد انتشارها.
٢. شائعات الأمل: تمنى الجماهير والعساكر بأمنيات باطلة وتجعلهم يعيشون أحلام اليقظة.
٣. شائعات الكراهية والحقد: بانتشارها يتعزز الحقد على الطرف الآخر ويزداد كراهية له.

الحرب النفسية في الثورة الحسينية

ترى هل استخدمت الحرب النفسية في الثورة الحسينية المباركة؟ وهل استخدمها الإمام الحسين عليه السلام أم يزيد وابن زياد وما هي نوع وتأثير الحرب النفسية المستخدمة على كلا الطرفين؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه بشكل سريع ومقتضب.

الإمام الحسين عليه السلام.

لم يستخدم الإمام الحسين عليه السلام أي نوع من أنواع الحرب النفسية لا الدعاية، والإشاعات ولا غيرها حتى... لأنه ليس بحاجة إلى ذلك أبداً إلا أنه كان واضحاً منذ أن انطلق من المدينة المنورة كل الوضوح وعالماً تمام العلم بالمآل الذي سيؤول إليه وبالطريقة الشنيعة التي كانت تنتظره على تراب كربلاء. والعلم بذلك ليس مختصاً به عليه السلام أو أنه عالم به بعلم الإمامة اللدني لا بل كل من عاصر وسمع أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ذلك - وكتب الحديث تشهد أن الكثير من الصحابة يعرفون أن الإمام الحسين عليه السلام سيقتل في العراق وعلى أيدي أموية آثمة.

فلم يسجل التاريخ أن أحداً قد غرّر به الإمام الحسين عليه السلام، أو غدر به، أو دعاه إليه ومناه بالمنصب، أو الأراضي، أو الأموال أو أي شيء. إلا الموت

والشهادة وهذه البضاعة قليل من يشتريها. ولم يسجل التاريخ كذلك: أن أحداً اشتراه الإمام الحسين عليه السلام بالمال لكي يكون له ناصر، أو أنه أجبر أو أكره أحداً على المضي معه أو القتال تحت رايته أبداً. لم يسجل التاريخ كل ذلك أو أي شيء منه.

بل الذي سجله له عليه السلام الوضوح في الهدف، الوضوح في المسيرة، الوضوح في النتائج.

وقال مقولته الشهيرة عندما أراد الخروج من مكة المكرمة

«مَنْ لِحَقِّ بِي اسْتَشْهَد وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِي لَمْ يَدْرِكِ الْفَتْحَ»^(١)

اللَّهُ اللَّهُ إِنْ مَجَرَّدَ مِرَافَقَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِسْتِشْهَادَ بَيْنَ يَدَيْهِ يُمَثِّلُ فَتْحاً عَظِيماً بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَوْ الطَّامَحِينَ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

وما زال هذا دأبه عليه السلام خلال مسيرته كلها يعلن كل خبر يصل إليه على رؤوس الجميع وينبئهم إلى المخاطر المحدقة بهم. ويسرح مَنْ يريد الذهاب. وبلغ قَمَّةَ الْوُضُوحِ فِي لَيْلَةِ عَاشُورَاءَ حَيْثُ أَلْقَى بِهِمْ خُطَاباً وَسَرَّحَهُمْ بِهِ حَتَّى أَبْنَاءَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ عليه السلام قَائِلًا لِأَصْحَابِهِ:

«هَذَا اللَّيْلُ اتَّخَذُوهُ جَمَلاً وَلِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ

بِيَدِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ»^(٢)

فرفض الجميع أن يذهب ويترك قائده ومولاه في الساحة وحيداً فريداً. وبهذا الشكل كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام إلا أن الروح المعنوية لأصحابه كانت في قممتها وأوجها ولا تستثني منهم أحداً من العبد الرقيق إلى السيد الجليل كالعباس لأنهم غربلوا غربة من قبل الإمام عليه السلام ولم يبق معه إلا الأصيل والأصيل لا خوف عليه أبداً.

(١) بحار الأنوار : ج ٤٥ ص ٨٧، الحسين وبطلة كربلاء، ص ١١٧ للشيخ محمد جواد مغنية.

(٢) الحسين وبطلة كربلاء، ص ١٢٦ عن كل كتب المقاتل والتاريخ.

عبيد الله بن زياد

أما عبيد الله بن زياد فإنه دخل الكوفة متخفياً وبحيلة ودخل دار الأمانة بحيلة. واستعمل كل أنواع الإشاعة لاسيما المخيفة منها من أجل التأثير على الروح المعنوية لأهل الكوفة وجعلهم يستسلمون له ويجبرهم بالتالي للخروج والقتال ضد الإمام الحسين عليه السلام الذي دعوه ليكون لهم قائداً وإماماً وبايعوا سفيره (مسلم بن عقيل) وكان خلفه لا أقل من ١٨ ألف^(١) والمسجد غاص بالمصلين خلفه ولكن الشائعات الخبيثة التخريبية، والنفوس الضعيفة، والعزائم الخائرة، والرجال الذين هم أقرب إلى الخُشب المسندة كل ذلك ترك (مسلم بن عقيل) وحيداً فريداً يواجه حاكم الكوفة الجذار، وكل أهل الكوفة ضده والأصعب في الموقف أنهم يعرفونه جيداً فبالأمر أخذ منهم البيعة للإمام الحسين عليه السلام.

ورغم ذلك نجد أن مسلم البطل لم يستعمل الحيلة من أجل الخلاص من ابن زياد وذلك حين كَمَنَ له خلف الستارة عند (هانيء بن عروة) البطل الجليل بحيث (أن مسلم بن عقيل) كان قادراً على أن يتخلص من هذا الطاغية بضربة سيف واحدة تقذه إلى نصفين إلا أنه لم يفعل ذلك لأنه سمع عن رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام قيد الفتك». أو «الإسلام قيدُ الفتك»^(٢) هذه هي مناقبيات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يعف عن هذا الطاغية وعنده عشرات المبررات من أجل الفتك به وقتله قتلة نكراء إلا أن أخلاق الإسلام تقيد ذلك

أما ابن زياد فلا قيد له، ولا ذمة يربها ولا أخلاق تمنعه ولا ديانة تردعه عن ارتكاب كل الكبائر وأكبر الكبائر.

أما تأثير الدعاية الرمادية والشائعات التي استعملها ابن زياد منذ أن وصل إلى قصر الأمانة في الكوفة فهي التي فعلت فعلتها، ودمرت النفوس، واستسلم الشعب لإرادة الطاغية، وحاربوا الإمام الحق ابن بنت رسولهم ﷺ الإمام

(١) مقتل أبي مخنف ص ٥١ برسالته للإمام الحسين عليه السلام (وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً).

(٢) مستدرک سفينة البحار للشيخ علي الشاهرودي النمازي ج ٨ ص ١١٧، مقتل أبي مخنف ص ٣٣.

الحسين عليه السلام وذلك حين دخل دار الأمانة ومهّد واتخذ بعض الإجراءات التعسفية صاح بالناس:

الصلاة جامعة وبرئت الذمة ممن لا يأتي إلى الجامع ويسمع كلام الأمير.

وعندما اجتمع الناس خوّفهم واندّهم وقال لهم:

إن جيوش أمير (المواطنين) يزيد على مقربة من بلادكم وأنه سوف يوجهها إليكم وأنه سيبيد كل من يقف في وجهه وهم ضعفاء ولا قدرة لهم في معارضة جيوش يزيد الحرارة. وبرئت الذمة من كل من يرافق (مسلم بن عقيل) أو من يستضيفه، أو يعرف مكانه ولا يقول للأمير عليه.^(١)

واعلن عن جائزة مالية كبيرة^(٢) لمن يدل على مكان (مسلم بن عقيل) البطل وراح يسير الدوريات ويبطش برؤوس ورؤساء العشائر من أجل ضمان وكسب موقفهم ريثما تستتب له الأمور، وراحت دورياته يقبضون على كل من يشتبهوا به فيضربوا عنقه ويلقوا بجثته من فوق القصر بأشع ما يكون وأقسى ما يمكن. فانتشر الذعر فعلاً بين الأهالي وخافت النساء على الأزواج، والأولاد، والأخوة، وراحت كل واحدة منهن تجذب عزيزها لتقول له:

ما لنا والدخول بين السلاطين دعوهم فهم أبناء عم يتنافسون على السلطان فلماذا نقتل أنفسنا من أجلهم^(٣).

فالنساء لا عقل لهن، والرجال عقولها حائرة، وعزائهما خائرة فاستسلموا لإرادة الطاغية رغماً عن أراذلتهم وعقيدتهم التي تؤيد الإمام الحسين عليه السلام.

(١) مقتل أبي مخنف ص ٤٧.

(٢) ن. م. ص ٤٧.

(٣) مقتل أبي مخنف ص ٤٥.

فعدم الإيمان الصحيح، وقلة اليقين بالله واليوم الآخر، وحب الدنيا، وعدم الوضوح في الرؤيا السياسية وقلة الثقافة، وغلظة الجلافة جعلهم كالأنعام تساق إلى الجدار وهي راضية مطمئنة.

ولم يلبث ابن زياد إلا قليلاً حتى عرف مكان (مسلم بن عقيل) فجاء به وأراد أن يستخدمه في حربه النفسية بحيث أجبره على سب وشتم الإمام الحسين عليه السلام وأباه عليه السلام. ومدح يزيد وابن زياد إلا أن مسلم البطل استغل هذه الفرصة فشتم يزيد وابن زياد، ومدح الإمام الحسين عليه السلام وقال لهم:

إنه صار على مقربة منهم وعليهم الالتحاق به ونصرته

فضربت عنقه وألقى جسده الشريف من أعلى القصر فذهبت روحه إلى بارئها وتمزق جسده وتكسرت عظامه. ولكن ليبقى شاهداً على تخاذل الكوفيين وجبنهم في نصره الحق، وشجاعتهم وغبائهم في نصره الباطل. وعندها سيق الجميع بعصا واحدة وعُرف الخذلان والذل في الكوفيين ضرب عنق (هاني بن عروة) الشخصية الأولى والألمع في مجتمع الكوفة وألقى القبض على رؤساء القبائل والمعروفين بتشيعهم للإمام الحسين عليه السلام وأودعهم السجون ونادى مناديه:

أن برئت الذمة ممن لم يخرج إلى حرب الحسين بن علي عليه السلام.

وراح يجهز الجيوش ويضع الجفاة وأبناء البغايا من أمثاله قادة لتلك الجيوش ويرسلهم أفواجاً وأمواجاً حتى إنه اجتمع على صعيد كربلاء وخلال أسبوع فقط ما يزيد عن الثلاثين ألف مقاتل بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي اشتراه ابن زياد بملك الرّي (أي أمانة الري)، واشترى الكثيرين بالمال أو أستعبدهم بلا أي مقابل إلا الرضا منه. فلذلك نرى ابن سعد يوم عاشوراء يمسك سهماً ويطلقه باتجاه أنصار ومخيم الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

اشهد والي عند الأمير أني أول من رمى^(١).

أتفعل أكبر الكبائر وتستشهد ثلاثين ألف عليك...؟!
شُلت أنت وأميرك عليّ، هذه الشهادة، وعليّ هذه المفخرة أيها الخبيث
اللئيم الأصل.

فبالحقيقة إن للدعاية السوداء التخريبية، والشائعات، والعنف، والقسوة في
التعامل كانت لها أعظم النتائج لصالح ابن زياد في الكوفة وبالفعل فقد تخادل
الجميع عن (مسلم بن عقيل) وخذلوا إمامهم الحق الإمام الحسين عليه السلام وساقهم
الجلاد وبعكس أراذلتهم وقلوبهم (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) حتى اشترك الجميع
في القتل والسبي لثقل رسول الله ﷺ.

وأصبحوا لعنة للتاريخ. ولعنة للمؤمنين. ولعنة لأنفسهم حتى. وماثورة
التوابين إلا صورة عن ذلك وما كثرة الثورات وتحت شعار واحد هو (الثارا
الحسين عليه السلام)، إلا دليلاً واضحاً عليّ ما ذهبنا إليه.

هذا بالإجمال أما بالدقة والإسهاب فالحديث يطول وربما يتضح الأمر بالنسبة
للروح المعنوية لكلا الجيشين في القسم الأخير من هذا الكتاب بأذن الله وذلك
حين تناول الروح المعنوية لجيش الإمام الحسين عليه السلام ومثلها لجيش ابن سعد.

(١) مشير الأحزان: ابن نما الحلبي ص ٤١.

ثالثاً: الحرب الباردة.

وهي حرب حديثة نتجت عن فداحة التدمير الذي يمكن أن تخلفه الانفجارات النووية وأسلحة التدمير الشامل وهي التي حسمت الحرب الكونية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ م بقبليتين تكتيكيتين فوق ناغا زاكي وهوراشيما اليابانيتين فقط.

ومصطلح الحرب الباردة هو المصطلح الذي استخدم بعد الحرب العالمية الثانية وبروز قطبين على المسرح العالم غرب، وشرق. وراح الجميع وبما يشبه التسابق من أجل إنتاج السلاح بحجة الردع النووي (ردع القوة) أو الردع بشكل كامل وهو بالحقيقة والواقع للفعل ورد الفعل حتى إنهم غزوا الفضاء وزرعوه بالصواريخ العابرة (وفق خطة الرئيس الأمريكي (كارتر) يومئذ، والأقمار الصناعية للتجسس وبقية اللائحة السوداء من الأعمال اللانسانية التي يقوم بها كلا الطرفين ضد الآخر وكلاهما ضد شعوب الأرض قاطبة. إلا أن حظنا نحن العرب والمسلمين كان أوفر فغرزوا إسرائيل خنجراً في قلوبنا من أجل استنزاف قوتنا، وطاقتنا، ودمائنا، وغرسوها في قدسنا من أجل أن يدينسوا وينجسوا أقداسنا. والمقصود بالحرب الباردة:

أنها هي حرب كلامية، ومواقف سياسية، وإعلامية، وإعلانية، والتلويح باستخدام القوة كلما سنحت الفرصة

أو إظهار العضلات في بقاع مختلفة من دول العالم الفقيرة من هؤلاء أو أولئك على حدٍ سوء وما حروب فيتنام من الغرب وأفغانستان من الشرق إلا أكبر دليل على عرض العضلات وما أكثر العروض لو دقت على الخارطة السياسية للعالم.

وتضاءل وخبأ صوت هذه الحرب بعد إنهيار القطب الشرقي (الإشتراكي) وإنفرد القطب الغربي الإمبريالي (الأمريكي بالذات) بالساحة العالمية إلا أن أحداث أيلول في 'مانهاتن' وتدمير أبراج التجارة العالمية فيها. أشعلت حرباً ساخنة صليبية على الإسلام والدول الإسلامية. للأسف الشديد.

فعادت الحرب الباردة إلى الظهور ولكن بعد استبدال القطب الشرقي (الاشتراكي)، بالقطب الشرقي (الإسلامي) ولولا ذلك لما كنا بحاجة لذكر هذا النوع من الحرب الباردة هنا أصلاً.

الحرب الباردة في الثورة الحسينية

لقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام هذه الحرب من اللحظة الأولى لإعلانه الرفض لبيعة يزيد في المدينة المنورة وكلماته الثورية المشهورة:

(نحن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ويزيد رجل فاسق فاجر، شارب للخمر، قاتل للنفس المحرمة)^(١).

فهذه كلمات رائعة تبين موقع الإمام الحسين عليه السلام في الأمة وموقع يزيد في الخساسة. وهكذا استمر الإمام الحسين عليه السلام بإلقاء الخطب والتنبية لعظيم الخطر الأموي على هذه الأمة من اللحظة الأولى وحتى اللحظة الأخيرة من عمره الشريف.

إلا أن استخدامه لهذا النوع من الحرب الكلامية لا ينطبق عليه استخدام المصطلح الحديث لمعنى (الحرب الباردة) لأنه ينقصه القوة الضاربة المرافقة ولذلك لم نجد الإمام الحسين عليه السلام يلوح في أي ظرف من الظروف باستخدام القوة من أجل ردع القوة المعادية وكان سلاحه دائماً هو الحق وهذا سلاح فعال في (الإستراتيجية) ولكنه غير نافع في (التكتيك) لان أنصاره قلائل دائماً وأبداً أما هو وبما يمثله من قيمة فهو باق رغم الزمن ورغماً عن كل الإرادات الشريرة في

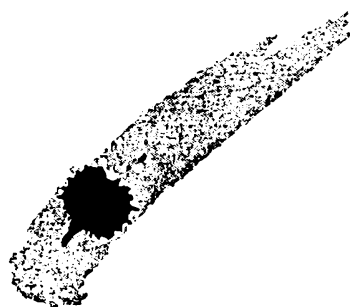
(١) الأسرار الحسينية ص ٢٥٢ عن البحار ج ٤٤ ص ٣٢٥، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٤.

الحياة الدنيا.

فخطب الإمام الحسين عليه السلام توجيه، وتنبيه، وتعليم، وإقامة الحجة على هذه الأمة، التي تركت إمام الحق - بل قتلة بشكل شنيع لم يشهد التاريخ مثيلاً له - وتبعت إمام الباطل رقاتلت تحت رايته الظالمة فأصبحوا ظالمين وويل للظالمين من عذاب يوم عظيم.

هذا ما أردنا الإلماع إليه من أنواع الحرب الحديثة، ومدى استخدامها على ساحة كربلاء، أو خلال المسيرة المظفرة للإمام الحسين عليه السلام من لحظة رفضه المقدس البيعة ليزيد إلى رفضه الذل والاستسلام على أرض كربلاء واستشهاده بتلك الطريقة المشرفة له والمخزية لأعدائه فأصبحت رايته أرفع راية للعدالة الإنسانية وصرخته أعمق صرخة في الوجدان الإنساني. فأصبح ضمير الإنسانية رمزها الخالد.

الفصل الثالث: البيان الأول للثورة وإعلان التعبئة



إني لم أخرج أشراً ولا بطراً
ولا مفسداً ولا ظالماً..
إنما خرجت لطلب الإصلاح في
أمة جدي رسول الله (ص)
الإمام الحسين (عليه السلام)

البيان الأول للثورة وإعلان التعبئة

إن الأسباب البعيدة للثورة الحسينية المباركة كانت واضحة وضوح الشمس دون أن يعلنها عليه السلام في البداية ألا وهي: فساد الحكم الأموي الباغي والطاغي على أنفس وأموال وعيال المجتمع الإسلامي الغني في ذاك الحين من الدهر.

فتطلع الإمام الحسين عليه السلام للتغيير - وهذا من مسؤوليته كإمام للمسلمين حقيقة - وإصلاح ما فسد من أمور الأمة. وهذا ما أوضحه وأعلنه الإمام الحسين عليه السلام في بياناته الأولى للثورة المباركة.

أما الشرارة التي أدت إلى انطلاق تلك الثورة - أي السبب المباشر والقريب كما يقال حالياً - هو موت معاوية وتسلم يزيد حكم الأمة الإسلامية حيث جرت الأمور على الشكل التالي:

نبأ محزن للطغاة والجبارين. مفرح للمؤمنين. وهو هلاك معاوية بن أبي سفيان بدمشق الشام.

وفي طيات ذلك النبأ الوارد على الوليد والي المدينة نبأ آخر يقول: بان معاوية أوصى بالخلافة والحكم والأمانة لولده المدلل اللعوب يزيد. وهذا الأمر يعني أمراً مباشراً من الأمير الجديد لوالي المدينة المنورة - الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - بأخذ البيعة من أهل المدينة ليزيد الشر.

ونبأ هلاك الطاغية الكبير وتولية أمور المسلمين لمن لا يعرف من الأمور
إلاً الخمر، والفجور، والضرب بالطنبور. واللعب بالفهود والقروء، والصقور.
الطاغية الصغير: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

وكان يحوي ذاك الخطاب الأميري أمراً عظيماً - وهو رسالة كأذن الفأرة^(١) -
إلى الوليد بن عتبة وهو. أخذ كل من

❖ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

❖ وعبد الرحمن بن أبي بكر.

❖ وعبد الله بن الزبير بن العوام.

❖ وعبد الله بن عمر بن الخطاب.

وأمرهم بالبيعة العاجلة قبل المدينة كلها. ومن أبي تضرب عنقه عاجلاً غير
أجل.

وصل الكتاب - هذا - إلى الوليد في أول الليل فاحتار في أمره ولا يدري ما
يفعل.

فما كان منه إلا أن أرسل إلى المستشار السياسي - الورغ بن الوزغ
- من أجل أن يتبادلا الرأي حول القضية العويصة ألا وهو مروان بن الحكم.
وعند ما وصل مروان إلى دار الأمانة أعلمه بهلاك معاوية وأمر يزيد بأخذ الإمام
الحسين عليه السلام وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن
عمر، من أجل البيعة الفورية فقال الوزغ: ابعث إليهم يأتوك فمن بايع تركته ومن
أبى ضربت عنقه ولم يصبح الصبح.

وشدد مروان على أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام أولاً أو ضرب عنقه.
وهنا ردّه الوليد عند ما سمع منه هذه الكلمات (لو كنت مكانك لضربت عنقه).

فقال: ويحك يا مروان - عن كلامك هذا - وأحسن القول في ابن
فاطمة عليها السلام فانه بقية ولد النبيين، واستطرد قائلاً: وليتني إذا فعلت ما تقول لم
أك شيئاً مذكوراً.

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف ص ٣.

وليس غريباً ذلك من الوزغ فإنها شنشنة معروفة ومألوفة منه ومن أمثاله من أولئك الرهط اللئام.

وبالفعل أرسل الوليد إلى المعنيين بالأمر وإذا هم بالمسجد الجامع في المدينة المنورة وكان الوقت قريباً من منتصف الليل وقال لهم الرسول: أجيئوا الأمير. موجهاً كلامه إلى الإمام الحسين عليه السلام، وإلى عبد الله بن الزبير. فالتفت الإمام الحسين عليه السلام إلى ابن الزبير وقال: هلك معاوية ويطلبنا هذا بالبيعة ليزيد.^(١)

وذهب الإمام الحسين عليه السلام إلى داره وأرسل إلى فتية آل هاشم فأجابوه مسرعين فاخبرهم الخبر بهلاك معاوية وإرسال الوليد إليه وأنه يتوقع من أجل البيعة ليزيد فسلحهم وقال لهم:

انتظروني خارجاً وإن إرتفع صوتي تهجموا على دار الأمانة وتخلصوني من أيديهم. وإلا تنتظروا إلى أن أعود إليكم بإذن الله.

وسار الإمام الحسين عليه السلام إلى أن وصل إلى دار الأمانة فدخلها منفرداً. وإذا يجد الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم جالسين مغتمين. فسلم عليهما. فردا عليه السلام - ونعى إليه الوليد معاوية بن أبي سفيان. فاسترجع الإمام الحسين عليه السلام وحوقل. وبعد ذلك أوضح الوليد بأن الأمانة أصبحت بيد يزيد بن معاوية وقد بايعه أهل الشام. وطلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام ليزيد. فأجابه الإمام الحسين عليه السلام.

أن مثلي لا يبايع سراً. ولا يجتزأ بها مني سراً. فإذا خرجت إلى الناس، ودعوتهم إلى البيعة، دعوتنا معهم وكان الأمر واحداً.^(٢)

وهذا يمثل أول موقف للإمام الحسين عليه السلام وهو يريد أن يؤجل الأمر إلى

(١) خطب الإمام الحسين عليه السلام ص ٦٢ عن مقتل الخوارج ج ١ ص ١٨٢ بتصرف.

(٢) مقتل السيد عبد الرزاق المكرم ص ١٤٢ عن تاريخ الطبري حوادث سنة ٦١ هـ.

الصباح ولكي تجتمع المدينة في المسجد. وهناك يدعى الناس للبيعة ليزيد وعلى رأسهم بني هاشم وسيدهم الإمام الحسين عليه السلام لتكون المسالة عامة والحوار أمام الجميع ولا قامة الحجة ببطلان ملك يزيد بن معاوية وأنه ليس له أية بيعة برقاب المسلمين. ولا ولاية له عليهم.
ورضي الوليد بذلك وقاله له:

أبا عبد الله. لقد قلت فأحسنت القول، وأجبت جواب مثلك، وهكذا كان ظني بك. فانصرف راشداً، وتأتينا غداً مع الناس.^(١)

إلا أن الوزغ مروان بن الحكم كان نبيهاً وخبيثاً أكثر فالتفت إلى الوليد قائلاً:
لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً. حتى تكثر القتلى بينكم وبينه. إحبسـه.
فان بايع وإلا ضربت عنقه.

انظر إلى هذه الجرأة على الله ورسوله. وعلى هذه الوقاحة التي ما عرف التاريخ مثلاً لها من هذا الوزغ. وإنها لكلمة عظيمة تخرج من أفواه الكفار الملعين والذين لا يملكون شيء من الإنسانية أو الكرامة.
بحضرة الأمام الحسين بن علي وفاطمة ابنة رسول الله ﷺ يأمر هذا اللعين بضرب عنقه. أنسيت أيها الخبيث يوم تشفع بك عند أبيه أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل؟؟ أنسيت أفضاله عليك وعلى ذريتك اللعينة؟
فبأي لسان تنطق هذه الكلمة التي تُشقُّ السماء لها، وتزلزل الأرض وتهدُّ الجبال هدأً. لا شك أن الشيطان هو الالافظ بذلك اللسان الخبيث. ولاغرو بذلك فالشيطان عاند الله مولاه معاندة الند للنند.

والله - سبحانه - أعطاه المهلة بلطفه وكرمه.
وعندها يلتفت الإمام الحسين عليه السلام وقد احمرت عيناه. وانتفخت أوداجه.
وبان الغضب الهاشمي في وجهه الشريف قائلاً لمروان.

(١) الخطب ص ٦٣ عن مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٣.

يا ابن الزرقاء. أنت تقتلني أو هو. كذبت والله وأثمت.

ومن هذه العبارة المختصرة عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن هذا اللعين بأنه ابن زنى، وأنه كاذب، وأنه اثم، وأنه جبان لعين.

ويلتفت الإمام الحسين عليه السلام كالأسد الهصور إلى الوليد بن عتبة ويبين موقفه من الحكم اليزيدي. وماذا يريد أن يفعل حيال البيعة. ويصدر أول بيان للثورة الحسينية المباركة. وكان ذلك البيان بمثابة بيان الرفض الحسيني للرضوخ إلى الحكم الأموي اليزيدي بثوبه الجديد - الملعون قديما وحديثا - فيقول له:

أيها الأمير. إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا يختم.

ويزيد رجل فاسق. شارب للخمر. قاتل للنفس المحترمة، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله. ولكن نصبح وتصبحون وننظرو وتنظرون. أيّنا أحق بالخلافة والبيعة^(١).

وبعد هذا البيان الصريح خرج الإمام الحسين عليه السلام وتركهما في حيرة من أمرهم ماذا يفعلون حيال هذا الموقف الواضح من الإمام الحسين عليه السلام انه الكلام الفصل والقول الحاسم بل انه الرفض التام من الأصل والأساس للباطل ولأعداء الله مهما كان خطرهم على متاع الحياة الدنيا.

واستاء الوزغ من هذا الوضع - وهو إفلات النسر من باب القفص فجأة فاحتقن قهراً واعتصره ألم ممض إذ لم يطعه الأمير الوليد بن عتبة بقتل الإمام عليه السلام أو حتى سجنه فلم يملك نفسه إلا أن صاح صارخا بالوليد.

وعصيتني. لا والله لا يمكنك مثلها في نفسه أبداً.^(٢)

(١) مقتل السيد عبد الرزاق المقرم ص ١٤٢ عن تاريخ الطبري حوادث سنة ٦١ هـ.

(٢) خطب الإمام الحسين عليه السلام على طريق الشهادة، لبیب بیضون: ص ٦٣ عن مقتل الخوارزمي

فردّ عليه الوليد الأموي بقوله:

ويحك إنك أشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي
والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وإنني
قتلت حسيناً. سبحانه الله. أقتل حسيناً أن قال:
لا أبائع؟؟

والله ما أظن أحداً يلقي الله بدم
الحسين عليه السلام إلا وهو خفيف الميزان لا ينظر
إليه الله يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب إليم.
انظر إلى هذه الكلمات التي تشع حقاً وصدقاً
من بين حروفها وهي خارجة من ذاك الوالي
الأموي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

نعم قتل الإمام الحسين عليه السلام يذهب الدين وهو يخفف الميزان إلى
أن يصبح صاحبه أخف من غاز الهليوم في يوم القيامة لا يرحمه الله تعالى،
ولا يزكي أعماله، ولا يقبل منه توبة ولا يسمح له بالشفاعة. ويكب على منخرية
في النار إلى أن يرسو إلى الدرك الأسفل والعياذ بالله.
وكذلك قتل الإمام الحسين عليه السلام هو سبب هلاك الدنيا لمن يقتله، أو
يشارك في قتله لان حكم الظالم لا يدوم، وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين. وانه
سوف يصبح لعنة التاريخ، والأمة؛ ونقمة المجتمعات الإنسانية قاطبة.
وعندما سمع الوزغ هذه الكلمات تأفف ورفع منكبيه. وفتح يديه. ورفع
حاجبيه. ووسّع حدقتيه مستغرباً هذا الحديث الذي يصدر من الوليد بن عتبة وقال
مستهجناً موقفه:

إذا كان هذا قولك فقد أصبت فيما صنعت.^(١)

وبرواية أخرى:

ج ١ ص ١٨٣.
(١) مقتل أبي مخنف ص ٦.

إن كنت إنما تركت ذلك. لذلك فقد أصبت.

أصاب بك الشيطان رميته. فاصطادك أيها الوزغ. فاظلم قلبك وأعمى عينيك وركبك كالحمار بالقلب وليس بالسوية. وراح يسوقك وأنت تسير خبط عشواء ولا مستغرب منك كل هذا التعطش إلى دم الإمام الحسين عليه السلام وهو سبط.

سيد الرسل والأنبياء عليهم السلام فإن الشيطان للإنسان عدو مبين.

فالإنسان الكامل هو ولي الله. والشيطان الكامل هو عدو الله.

ومن هنا تمثل الإنسان الكامل بالرسول الأعظم عليه السلام وآل بيته الأطهار عليهم السلام

وأما الشيطان الكامل هم الشجرة الملعونة في القرآن. وهي شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار وهي الشجرة الأموية والمروانية اللعينة

وهكذا أوضح الإمام الحسين عليه السلام في بيانه الأول أمام والي المدينة ومستشاره

عدداً من النقاط الضرورية من أجل إزاحة الستارة عن وجه الحقيقة الناصعة.

إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف

الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا يفتح الله. وبنا

يختم.

وهذا عبارة عن تعريف القائد بنفسه والتذكير بأصله الطيب وهذا ضروري

جداً لتوضيح أنهم المحور في هذه القضية والأساس لها لذلك تصدر لهم هذا

البيان ولمعرفتهم ومعرفة حقهم ومقامهم تدور حتى الأيام متمركزة ودائرة حول

الحق وهم الحق وهم القرآن الناطق (فعلي مع الحق والحق مع علي ولن يفرقان حتى

يردا عليّ الحوض يوم القيامة).^(١) (وعلي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفرقان حتى يردا عليّ

الحوض...)^(٢)

وهكذا أبنائه الكرام الحسن والحسين وأبنائه المعصومون عليهم السلام مع الحق

والقرآن يدورون.

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ١٤ ص ٣٢١، المعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ١٢٩ حديث ٧٥٨.

(٢) الصواعق المحرقة الحديث /٢١/ من فضائل الإمام علي عليه السلام، مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٢٤..

فان أهل البيت عليه السلام هم من تجتمع بهم الصفات الصالحة لقيادة هذه الأمة نحو شاطئ الأمان، والسلام، والرفاه، والحب. فهم أهل بيت النبوة - وأهل البيت أدري بالذي فيه - أي أنهم أدري بالنبوة والرسالة من غيرهم مهما كانت درجاتهم عالية وعلمهم كبير. (ونحن أهل البيت لا يقاس بنا احد).^(١)

فكيف يقاس بكم يا أهل البيت أحد؟ أو كيف يدنوا إلى مقامكم دان؟ وأنتم ما عرفكم - معرفة فقط - إلا الله ورسوله ﷺ حق معرفتكم أحد من الأنس والجن.

فهم (معدن الرسالة) أي هم أساس الرسالة التي بعث الله سبحانه - بها رسوله محمد ﷺ فهم كانوا لب الرسالة وجوهرها. ومهما كانت المزيينات والمزركشات للذهب واللؤلؤ فإنها تذهب جميعا بذهاب المعدن الأساس لها. وأهل البيت (ع) هم المعدن الصافي والنقي للرسالة.

وإليهم (مختلف الملائكة) فملائكة الرحمن تزورهم وتأتي إليهم دائماً وأبداً ولا تأتي إلى غيرهم إلا عن طريقهم لأن الملائكة أرواح طاهرة وأصلهم نوراني فلذلك لا تنزل إلا لمن طهرهم الله سبحانه - تطهيراً من كل رجس ودنس وعيب. فهم نور الله المبين والباب الذي منه يؤتى.

لذلك هم (محل الرحمة) ومكانها فمن رحمه الله فبفضل أولئك الرهط الكرام. ومن محللتهم وبيوتهم تنتشر الرحمة الربانية لأنهم وجدهم المصطفى ﷺ هو رحمة للعالمين وهم رحمة مهداة إلى هذه الأمة المرحومة بهم وإلى البشرية جميعاً منها.

و (بهم يفتح الله) كل خير وبركة. بعالم الأنوار والأسرار. (وبهم يختم الله). في عالم الظهور. ومهما طال الزمن أو قصر. وهذا يعلمه العارفون لأنه مقام رفيع من مقامات العرفان والمعرفة.

فهذه الكلمات الصغيرة المبنى، العظيمة المعنى، أوضح الإمام الحسين عليه السلام للإنسانية وليس للوزغ وأميره فقط - بل للبشر كلهم مكانة أهل

البيت عليه السلام في هذه الأمة. وفي هذا العالم. فكلامه الشريف عام وشامل «النبوة. الرسالة. الملائكة. الرحمة».

إنه إطلاق ودون تقييد وما على أصحاب العقول إلا الإنطلاق لفهم هذه الكلمات الحسينية قبل أن يتجرأ ويغوص في بحر النور الحسيني. والكلام يطول لأن المقام جليل وجميل إلا أننا أوجزنا لأن إمامنا الحسين عليه السلام قد أوجز وهذا شأن البلغاء من العرب. فمتمتة البلاغة الإيجاز والإبلاغ فيما أوجز.

فقدم الإمام الحسين عليه السلام بهذه المقدمة التعريفية لمقام أهل البيت عليهم السلام لأن الذي يجهل هذه المقدمة، يستحيل أن يعرف. أو يستطيع أن يصل إلى معرفة الإمام الحسين عليه السلام وثورته المظفرة. أما الذي يفهم ويعي هذه المقدمة الحسينية فإنه يرى أن الإمام الحسين عليه السلام في حينها قلبها النابض وبقي على مدى الحياة كلها كذلك. منذ أن كان والي أن يختم الله بهم.

فهذه مسألة أولى. وهي مسألة في غاية الأهمية بالحقيقة والواقع.

٢. أما المسألة الثانية: فهي بيان أسباب الخروج، والرفض للبيعة و«الثورة»

فقال عليه السلام:

«يزيد رجل فاسق. شارب للخمر. قاتل للنفس

المحترمة. معلن بالفسق».

هذا هو السبب المباشر لخروج وثورة الإمام الحسين عليه السلام على ذلك الطاغية: لأنه كان رجلاً فاسقاً، ومعلنأ ومشهورأ بالفسق والفجور. وهو شارب خمر سكير لا يعرف من سياسة الأمور لا إسم ولا حتى الرسم.

فكيف له أن يقود هذه الأمة الرشيدة. الأمة الوسط. الأمة الإسلامية التي تجهز إمكاناتها، وفكرها لغزو العالم بأسره بأحكامها، ومبادئها، وشرائعها الربانية الرفيعة المستوى.

وليس هو شارب خمر فقط: بل منتهك لحرم الله، ومنتهك ومخالف لله ولرسوله بكل أعماله الشيطانية. حتى إنه لا يحترم الإنسانية في الإنسان بل يبطش

ويقتل من يريد من الرعية ودون ذنب أو جرم أو جريرة يفعلها. بل ربما كان ذلك للعبة ولهوه الباطل لا أكثر ولا أقل. كذلك الطاغية الذي أراد أن يعرف القدرة القتالية لمسدسه الحربي فكان يجمع عددا من الرجال متعاقبين (رتلاً) ويضع المسدس في صدر الأول ويطلق النار. لا لشيء إلا ليعرف كم رجلاً تخترق الرصاصة فقط.

ومضمار هذه المسألة هو طويل، وواسع، ومتشعب لأنه يشمل بحث الحقوق - وهو من أعظم المسائل الحاضرة والغابرة على الساحة الإنسانية كلها - وكذلك يشمل بحث الحدود الشرعية لتلك المسائل التي كان ينتهكها ذلك اللعين يزيد. وذلك كله لأصحاب الاختصاص ولا شأن لنا حالياً بذلك.

إلا أنه لا بد من التنبيه: إلى أن الإمام الحسين عليه السلام كان منهجه إنساني، وثورته إنسانية محضة، وهو بذلك أوضح للعالم أجمع: أنه من كان من الحكام فيه تلك الخصال أو بعضها فلا تولوه من أموركم شيء. لأنه سوف يفسدها عن آخرها. بل يجب أن ينحّوه بأية طريقة كانت، ومهما بلغ الثمن.

وكانه عليه السلام - صرخ صرخة في الإنسانية

(أن حرروا بلادكم من الطغاة).

ومن قبل قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

٣. أما المسألة الثالثة في البيان المقدس. فهي إعلان الواجب حيال هذا الوضع الفاسد؛ هذا الأمر الشاذ في الأمة. وهو الرفض القطعي له فقال عليه السلام:

(مثلي. لا يبايع مثله).

أي واجبي كإمام للمسلمين ألا أقر وأعطي الشرعية لهذا الفاسق في أمارته على بلاد وعباد الله المسلمين.

فواجب الإمام الحسين عليه السلام يعرفه جيداً وهو توضيح حقوق الأمة وقيادتها من أجل إيصال الحق إلى أصحابه الشرعيين مهما طال الزمن وعظمت التضحيات.

نعم. إنها الشرارة الأولى التي انطلقت من نفس الإمام الحسين عليه السلام ومعاناته طيلة ست وخمسين سنة من عمره الشريف الهاجع في ضمير الإمامة. إنه الآن

تعبير عن وثبة جديدة سيثبها بعد عدة أيام ما وثب مثلها بطل من أبطال الملاحم الأسطورية حتى.

إنها الشرارة التي سيقدمها إلى أمة تتطلبها كل مرة تقع في حفرة من حفر الدُّل. فتحتاج إلى من يشب معها إلى الخلود فتنهض وتذكر فتاها الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، ودمه الزكي.

نعم. شرارة الرفض: هي التي أضاءت حياة الأمة الإسلامية منذ ذلك العصر وإلى نهاية الحياة وصدق من قال بلسان الإمام الحسين عليه السلام:

«إن لم أستردها (الإمامة والأمة) بضربة سيف. فيمكنني أن أحررها بخفقة وكلمة الرفض. وسيحصل ذلك تحت نظر عيني الأمة، تعليماً لها: أن العنفوان الصحيح هو في النفوس الأبية. فأنا لا أبشر الأمة بالذل والإستكانة - حاشاك سيدي - بل عندما تفتش عني الأمة ستجدني في دائرة التصميم على التغيير. وها أنا ذا أنطلق بالبادرة الأولى وأنا في قمة الرفض المسؤول. الرفض المقدس.

وبرفضي هذا سأعلم يزيد وأعوانه والأمة كلها قراءة الحق. فإما أن يتنحى من أمامي ويسلمني زمام الأمة. وإما أن لا يرضى إلا بعنقي لمجده الأسود. فعندئذ تعرف الأمة أن من دمي الفدية التي هي الثروة المكتنزة، وهي التي ستبقى لها من جيل إلى جيل. تزرعها في خزائن روحها. فتورق. وتزهر. وتثمر المجد الذي يحيا به مجتمع الإنسان»^(١)

(١) الإمام الحسين عليه السلام في حلة البرفير لسليمان كتاني.

سأعطي للأمة القدوة. وأعلمهم كيف يكون الرفض للذل، والخضوع للظالم. ليشتروا به صك الأمان والإيمان لهم - مجتمعاً وأفراد - لأن الأمة لو تعلّمت الرفض الرسالي، لما كان ليزيد ومن سبقه بين يديها رقصة تهريج من دنان الخمر، والدف، والوتر.

سأقابل يزيد وأعدائه كلهم بالرفض. وسأمكنه من الرقص على جسدي المقطّع رجالاً وفرساناً. حتى ترى الأمة بأم العين أن ثأرها لي منها ومنه هو الذي يحييني فيها رافضة لجميع أنواع البغي والظلم والعدوان. على الإنسان ومقدسات الإنسان.

وبالتالي لن يكون حاكمها سيفاً مسلطاً على رقابها يذلها كيف يشاء. ولسوف أرضي نفسي وربي أولاً برفضي. ولسوف أحفظ وصية أبي وأمي وجدي ورسالتهم برفضي ثانياً. وعلى الأمة أن ترى الحق رؤيا العين وتبني نفسها حسب تلك الرؤية الصادقة والحقيقية.

ولتتعلم أمتي - برفضي - دروساً من القوة، والعنفوان، والإباء الذي يحميها ويحييها. وبينها. ويزكيها. ويزهياها.

وخرج الإمام الحسين عليه السلام إلى فتية بني هاشم الذين كانوا بانتظاره وأعلمهم الخبر وأعلن الثورة على يزيد والوليد وبني أمية ورائهم. وبذلك أعلن التعبئة العامة في صفوف خواصه والمقربين من أهله الكرام.

وفي الصباح انتشر خبران في المدينة وربما عما بالآفاق.

الأول: هلاك معاوية والبيعة ليزيد حاكماً لدولة الإسلام في دمشق الشام

والثاني: رفض الإمام الحسين عليه السلام البيعة وإعلان التعبئة للثورة على يزيد.

في المدينة المنورة.

الإعداد للتحرك في المدينة

هلك معاوية بن أبي سفيان وخلف يزيد ابنه
الذي كان يلعب، ويلهو في سهول حوران حين
هلاك والده ولم يقدم إلى دمشق العاصمة الأموية
العتيدة إلا بعد ثلاثة ليالي من دفن والده في مكانه
المعهود والذي وصفه الشاعر الأزهري السوري
محمد المجذوب بقصيدة رائعة مقارناً مع النجف
الأشرف فيقول في وصفها.

كتل من الثُّرب المهين بخربة

سكر الذباب بها فراح يعربد

فاستقبل يزيد إستقبال الأمراء وجددوا له البيعة حيث اشتراهم معاوية له قبل
وفاته - وراح المتزلفون الدجالون بالمدح والشرح يعزون بالماضي ويرحبون
بالقادم وكأن ليلة القدر قد إنفتحت لهم.
فذاك السلولي قال:

يا أمير المؤمنين أجرك الله على الرزية. وبارك
الله في العطية. وأعانك على الرعية. فقد رزئت
عظيماً، وأعطيت جسيماً فاشكر الله على ما
أعطيت، واصبر على ما رزئت. فقد فقدت خليفة
الله (بل المخالف لله) وأعطيت خلافة الله

لأن المخالفة لله كان إرثاً في بني أمية فعلاً
ففارقت جليلاً ووهبت جزيلاً إذ قضى معاوية
نحبه ووليت الرئاسة وأعطيت السياسة فأورده
الله موارد السرور ووفقك لصالح الأمور^(١).

انظر إلى هذا المنافق وإلى هذا المتزلف لأي منصب كان يريد؟
ومثل هذا أكثر جداً وخاصة في تلك الفترة العصبية فقد جمع معاوية من
الدجالين والكذابين ما يشيب الرأس أو ربما يجعل الولدان شيباً - كما يقال -
وأكبر الكذب وأعظمه كان على رسول الله ﷺ حيث جمع الكثير من الأفاكين
وأي منقبة أو حادثة كان يريد لها شرعية كانت تأتيه الأحاديث المؤيدة كزخ
المطر لأنهم كانوا يحملونها بأكياس كما هو معروف ومشهور عن أشهرهم أبو
سنور الدوسي.

ومن طريف ما يروى عن هذا الدجال الذي تأبطه معاوية بن أبي سفيان حيث
ذهب إلى العراق وبعد الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام
وحين دخل معاوية إلى مسجد الكوفة أسرع هذا الراوي بحركة أشبه ما تكون
بعروض مسرحية في أيامنا هذه وهي تأليف وإخراج وتمثيل أبو سنور الدوسي.
أسرع والناس ينظرون إليه باستغراب ونزع عمامته أو قبعته الصغيرة وراح يمرغ
رأسه في أرض المسجد وجثا على ركبتيه وصاح بأعلى صوته :

ويلكم يا أهل العراق أتزعمون أنني أكذب على
رسول الله ﷺ.

والله إنني سمعت خليلي رسول الله ﷺ
يقول:

المدينة حرمي ومن أحدث في المدينة حدثاً فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وأنه - أبو سنور - يشهد أن علياً بن أبي

طالب عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أحدث في المدينة حدثاً^(١).

اللَّهُ أكبر. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

ويلك يا من أعماه الطعام، وهامت به المضيرة
في كل حال^(٢). وأغراه بريق المال والجاه ومرافقة
السلطان. على هذه الشهادة إن الذي أحدث في
المدينة هو يزيد بن معاوية سيدك هذا الذي تنزلف
إليه وتعصي الله ربك وتشهد زوراً وتقذف بهتاناً
على أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

فيزيد هو الذي استباح المدينة وجيشه سعى فيها بالفساد - والإفساد والعياذ
بالله - بوقعة الحرّة المشهورة وليس أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.
فيزيد استلم هذا الإرث، واستلم هكذا حاشية وهكذا مستشارين فنفس ريشه
وأخذته العزّة بالإثم وراح يبشّر من حضر عنده من أولئك الحثالة قائلاً:
نحن أنصار الحق وأنصار الدين.

وابشروا يا أهل الشام فإن الخير لم يزل فيكم،
وستكون بيني وبين أهل العراق ملحمة. وذلك
إنني رأيت في منامي منذ ثلاث ليال كان بيني وبين
أهل العراق نهراً يطرد (يجري) بالدم جرياً شديداً
وجعلت أجهد نفسي لأجوزه فلم أقدر حتى جازه
بين يدي عبيد (اللات) بن زياد وأنا أنظر إليه.

فصاح أهل الشام ممن حضروه - إمض بنا حيث شئت، معك سيوفنا التي
عرفها أهل العراق في صفين.

(١) راجع كتاب أبو هريرة للسيد عبد الحسين شرف الدين ففيه العجب العجيب، وشيخ المضيرة لأبي رية
المصري.

(٢) راجع كتاب شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية الأزهرى.

فجزاهم خيراً وفرّق فيهم أموالاً جزيلة.^(١)

هذا هو السلطان الجديد يزيد يستبشر ويبشّر: أنه رأى في منامه أنه يسبح في بحر من الدماء وليته كان النهر في البلاد الكافرة أو البعيدة النائية والتي لم يصلها الإسلام بعد يومها لكنا قلنا: إنه يستبشر بفتح تلك البلاد عنوة. أم أنه بنهر في العراق وهي تحت سلطته كاملة فهذه هي الطامة الكبرى فعلاً.

لك الخزي وللهؤلاء الذين يذكرون سيوفهم في صفين فأية سيوف يذكرون وهم المنهزمون لولا الحيلة، والمكر، والخديعة. أو لربما تذكروا سيف عمرو بن العاص وبطولته في ساحة الحرب يومذاك فافتخروا بها - حسبي الله أو بطولة بسر بن أرطاة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا يزيد وهذه أحلامه للأمة وأما أفعاله فتحتاج إلى مجلدات من المخازي وهذا هو الذي يريد أن يبايعه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو من هو في دنيا الفضائل، والمجد، والإباء.

فقد ورث عن أبيه الأمير عليه السلام وجده المصطفى صلى الله عليه وآله كل عزة، وفضيلة، ورسالة وله في قلوب المؤمنين مكاناً في سويدائه - في الفؤاد - لا يصل إليه أي إنسان آخر. وله في عيون المسلمين مكانة وشرف - حسباً ونسباً - فلا يقاس به أحد غيره فهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره (عليه السلام) فكانوا يتطلعون إليه بإعجاب، وإكبار، وخجل، ووجل لأنه سيد شباب أهل الجنة متفرداً بالحياة بعد انتقال صنوه الأكبر إلى جوار ربه شهيداً سعيداً (الإمام الحسن الزكي عليه السلام) (يزيد وبوصية من أبيه أرسل رسالته إلى الوليد ومعها - أذن الفأرة - التي تخصص الإمام الحسين عليه السلام وبعض الشخصيات التي كانت معتبرة في المجتمع المدني كابن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير. لأن معاوية يعلم تمام العلم أن ملك يزيد ليس له أية شرعية دينية أو دنيوية إن لم يبايع هؤلاء الرجال وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام).

(١) مقتل الحسين عليه السلام السيد عبد الرازق المقرم ص ١٢٨

فرفض الإمام الحسين عليه السلام ذلك لأن الخلافة حقّه وإرثه من أبيه وجده عليهم السلام وهي منصوص عليها في وثيقة الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية حيث إن الإمارة بعد معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام ومن بعده إلى الإمام الحسين عليه السلام بالتحديد وليس لأحد من بني أمية فيها حق وهذا ما أوضحه الإمام الحسين عليه السلام لمروان الوزغ وأوضحه من قبل رسول الله ﷺ للأمة الإسلامية كلها.

فرفض الإمام الحسين عليه السلام هو الشرعية والشرعية الإسلامية وهو عين الحق والحقيقة إلا أننا لن نعثر في كتب التأريخ ولم نلاحظ حتى إشارات تدل على استجابة أهل المدينة المنورة إلى الإمام الحسين عليه السلام حيث بقي فيها حوالي شهر - أو أسبوعاً على أقل الروايات - وهو يعدّ العدّة للخروج والثورة على السلطان الجديد الذي قام بأشبه ما يكون (الانقلاب العسكري) على شرعية الإمام الحسين عليه السلام وحقه في الخلافة.

فيزيد هو الخارج عن الدين والخارجي على الإمام الحق المبين وليس العكس. وإن كان يزيد هو سلطان الدولة إلا أن الإمام الحسين عليه السلام هو سلطان الدين والقلوب المؤمنة والخالية من الشك في المواليد.

أما جماهير المدينة المنورة - عدا الهاشميين طبعاً - فلم يستجيبوا لنداء الإمام الحسين عليه السلام والمسير معه في ثورته لأنهم مالوا إلى الدّعة والترف المعهود في الحياة المدنية والتي تختلف شبه اختلاف جذري عن القرى والأرياف.

فأهل المدن أليّن عوداً، وأطرى ساعداً، وأجبن قلوباً، وأخور عزيمة. من أهل البوادي والأرياف وذلك يعود إلى طبيعة كل منهما؛ وطبيعة الحياة الاجتماعية، والاقتصادية فيهما.. إلا أن أهل المدن أميل إلى الأدب وأحنك في السياسة، وأمهر في الصناعة. ولكل موقعه وموقفه ولا يخلو الأمر من استثناءات في كلا الجانبين بشكل مؤكد.

والمدينة المنورة كانت هي العاصمة الفعلية لدولة الإسلام حتى سنة ٤٠ للهجرة ولتبقى بعدها وإلى اليوم العاصمة الدينية له مع مكة المكرمة وكأنهما توأمان نورانيان.

وهذا يعني في طبيعة الحال أن جيلاً كاملاً تقريباً كان قد ولد وترعرع في المدينة المنورة واتسمت وتضخمت بشكل ملفت للنظر وتشعب سكانها واختلفت ألوانهم، وألسنتهم، حسب ما تقتضيه الرسالة الإسلامية التي كان لها الفضل الكبير في مزج هذه الأجناس التي ما كان لهم أن يختلطوا هذا الاختلاط العجيب لو لا قانون الدين الإسلامي الحنيف الذي قرر أنه (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لبيض على أسود إلا بالتقوى)^(١) كما أنه حرر العبيد وجعل العبادة لله الواحد القهار وأذهب النخوات الجاهلية وزوج الشريقات من العبيد المحررين وجعل أئمة المسلمين من إماء أطهر من ماء السماء ويعرفن بأمهات ولد.

فالمجتمع المدني ذاك الذي لم يفهم ولم يحسن تلقي ثورة الإمام الحسين عليه السلام أو لم يحسن التقدير ولم يحسب أن الأمور ستصل به إلى هذه المواويل - كما يقول البعض مبرراً لموقفهم المتخاذل عن نصرته إمامهم الحق الإمام الحسين عليه السلام بن علي عليه السلام وعلى كل الأحوال أقول:

أنهم لم يكونوا أهلاً للتوفيق الإلهي من أجل أن يشاركوا بتلك النهضة الخالدة إلا أنهم دفعوا ثمن هذا التخاذل بوقعة الحرّة المشهورة والمشهودة في كتب التاريخ ومن نفس الطاغية يزيد الذي لم يرحمهم أبداً.

إذن. تلقى المجتمع المدني خبر الثورة الحسينية بامتعاض وكراهية - والعياذ بالله - أو بلا مبالاة نتيجة الجهل. فلذا لم نجد الإمام الحسين عليه السلام يدعو أحداً لمرافقته فيما هو قادم عليه من الخروج على يزيد مطالباً بحقه الشرعي، لا قبائل، ولا جماعات ولا حتى أفراد. كما أنه لم يقم بخطبة جماهيرية يفصح

فيها يزيد المستحق للفضح ويعلن فيها الوجهة التي يريد قصدها. ثم يثير الهمم ويقوي عزائم الناس، لأنه عليه السلام لا يريد مَنْ تثار هَمَّتْه بخطاب قصير إثارة طارئة قد لا تدوم سويعات أو أياماً لأنها همم قلقة مذبذبة ليست ثابتة ومستقرة. والإمام الحسين عليه السلام يرحب بمن تثيره ذاته ودينه وبقينه.

بل مَنْ إثارته موجودة منذ زمن بحيث هو على استعداد للجهاد مهما كان وفي أي مكان مع الإمام الحق.

والإمام الحسين عليه السلام مستغني عن غرض نشر خبر الثورة بفعل إنتشار الخبر سريعاً في الأوساط الشعبية كافة واستعداده وإعداده للخروج كان على رؤوس الأشهاد ودون تخفي أو خوف من أحد.

ومعنى إعلان الخروج والثورة بخطاب جماهيري هو طلبه للجند ودعوته المسلمين لنصرته. في حين أنه عليه السلام - كنافذ البصيرة، وبعيد المدى - يشك بوجود الأكفأ إلا القلة المؤمنة الواعية ومن هم بهذه المثابة لا يحتاجون إلى التحريض، والحث بالخطب وهم يحضرون بلا سابق دعوة مباشرة وكرلاء شهدت الكثير من هؤلاء الأبطال.

لقد أراد الإمام القائد من الجند مَنْ هو ثابت الجنان، قوي الإيمان، متماسك الشخصية، حال تشابك الحراب والأسنة.^(١)

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الإمام الحسين عليه السلام يعلم علم اليقين أن المدينة سوف ينتهك حرمتها الطاغية يزيد كما سوف ينتهك حرمة بيت الله في مكة المكرمة.

فأحب الخروج من المدينة كما خرج من مكة لألا تنتهك حرمة البيت بسببه وكلمته هناك مشهورة وذلك لأن يزيد الطاغية أمر شياطينه باغتيال الإمام الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة وهذا يعني انه لا يرعى لله حرمة، ولا لرسوله، ولا للإنسانية والقداسة أبداً.

وكذلك المدينة المقدسة فلم يقدّر بها الإمام الحسين عليه السلام بأي تحرك ضد

السلطة الأموية لنفس الموقف ونفس الغرض الذي أعلنه فيما بعد بمكة المكرمة. وخلال الإعداد للرحيل لم يعد النصح والمجابهة مع مروان الوزغ باعتباره ممثلاً شخصياً للحكومة الأموية في المدينة المنورة كمستشار أول للوالي، وكقائد للشرطة الأميرية.

ومن النصحاء في المدينة كان محمد ابن الحنفية وأخيه عمر الأطراف إنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكذلك هناك موقف لأم سلمة.

١- محمد ابن الحنفية (رض)

وهو ابن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وصاحب اللواء في حروب الجمل، وصفين والنهروان وعبر عنه الأمير عليه السلام بأنه ساعده الأيمن وهو يكبر أبا الفضل العباس بعشر سنين أي أن عمره كان حين خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة ما بين ٤٤-٤٥ سنة ويقال أن يديه كانتا مريضتين وقيل إنه كان ضريباً... فلم يخرج مع الإمام الحسين عليه السلام إلا أنه قال له قبل خروجه:

يا أخي أنت أحب الناس إليّ، وأعزهم عليّ
ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق إلا لك
وأنت أحق بها. تنحّ بيعتك عن يزيد بن معاوية
وعن الأمصار ما استطعت. ثم ابعث برسلك إلى
الناس فان بايعوك حمدت الله على ذلك، وإن
اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك
ولا عقلك ولم تذهب مروءتك ولا فضلك واني
أخاف عليك أن تدخل مصرأ من هذه الأمصار
فيختلف الناس بينهم فطائفة معك وأخرى عليك
فيقتلونك فتكون لأول الأسنة غرضاً. فإذا خير
هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيّعها دوماً وإذلها
أهلاً.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: فأين أذهب؟

فقال ابن الحنفية رضي الله عنه:

تنزل مكة فان إطمأنت بك الدار وإلا لحقت
بالرمال، وشعب الجبال، وخرجت من بلد
إلى آخر حتى تنظر ما يصير إليه أمر الناس فانك
أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حتى تستقبل
الأموار استقبالاً ولا تكون الأموار أبداً أشكل
عليك منها حين تستدبرها استدباراً.

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما
بايعت يزيد بن معاوية.

فقطع محمد كلامه بالبكاء.

وتابع الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

يا أخي فجزاك الله خيراً لقد نصحت وأشرت
بالصواب.

وأنا عازم على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك
أنا، وإخوتي، وبنو أخي، وشيعتي. أمرهم أمري
ورأيهم رأيي وأما أنت فلا عليك أن تقيم في
المدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخفي عني شيئاً
من أمورهم.^(١)

وترك الإمام الحسين عليه السلام أخاه محمداً وهو يبكي ودخل المسجد وهو

ينشد شعراً يعبر من خلاله الرفض القطعي لبيعة يزيد.

(١) مقتل السيد عبد الرازق المكرم ص ١٣٥، الأسرار الحسينية: ص ٢٥٩، البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩.

٢. عمر الأطراف

وهو كذلك ابن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وتوجه إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً بعد شهقة وبكاء:

حدثني أبو محمد الإمام الحسن عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام: أنك مقتول فلو بايعت (وناولت) لكان خيراً لك. قال الإمام الحسين عليه السلام: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ أخبره بقتله وقتلي وأن تربته ستكون بالقرب من تربتي أتظن أنك علمت ما لم أعلمه؟

وإني لا أعطي الدنية من نفسي أبداً. ولتلقين فاطمة أباهاً شاكية مما لقيت ذريتها من أمة ولا يدخل الجنة من أذاها في ذريتها.^(١)

وكذلك لم يشهد عمر الأطراف هذا واقعة الطف مع الإمام الحسين عليه السلام إلا أنه ذهب إلى المختار الثقفي حين ثورته فطرده والتحق بثورة مصعب بن الزبير وقتل هناك وأمره إلى الله.

٣. أم المؤمنين أم سلمة رض

وأتت إليه زوجة الرسول الأعظم ﷺ أم سلمة رضوان الله عليها قائلة:

يا بني لا تحزنني بخروجك إلى العراق فاني سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء وعندي تربتك في قارورة دفعها إلي النبي ﷺ.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: يا أماه وأنا أعلم أنني

(١) ن.م ص ١٣٤، الأسرار الحسينية: ص ٢٦٢، اللهوف: ص ١٢.

مقتول، مذبح، ظلماً وعدواناً وقد شاء - عز وجل - أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا.

فقالت أم سلمة: واعجباً فأنى تذهب وأنت مقتول؟

فقال ﷺ: يا أماء إن لم أذهب اليوم، ذهبت غداً وإن لم أذهب، في غد. ذهبت بعد غد وما من الموت واللّه بد وإنني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه والساعة التي أقتل فيها والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك.

وإن أحببت يا أماء أن أريك مضجعي ومكان أصحابي.

فطلبت منه ذلك. فأراها تربته، وتربة أصحابه، وأعطاهما من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة فإذا رأتها تفور دما تيقنت استشهاده.

وفي اليوم العاشر من المحرم وبعد الظهر نظرت إلى القارورتين فإذا هما يفوران دما.^(١)

٤. عبد الله بن عمر بن الخطاب

وهو من الشخصيات التي أمر والي المدينة أن يأخذ البيعة منهم (بأذن الفأرة) وقد بايع مكرها وكما يقال: أنه بايع للحجاج بن يوسف الثقفي (لعهن الله) برجله لأنه أبى أن يمدّ له الحجاج يده بل مدّ رجله الخبيثة فبايعه بها علماً أنه من النوادر

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرم ص ١٣٦، الأسرار الحسينية: ص ٢٦٢، البحار: ج ٤٤ ص ٣٣١.

الذين لم يبايعوا الإمام علي عليه السلام أبان بيعته النورانية.

جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام وطُلب منه البقاء في المدينة المنورة باعتبارها حرم جده المصطفى صلى الله عليه وآله فأبى الإمام الحسين عليه السلام وقال له:

يا عبد الله إن من هوان الدنيا على الله أن رأس
يحيى بن زكريا يهدى إلى بني من بغايا بني
إسرائيل. وإن رأسي يهدى إلى بني من بغايا بني
أمية أما علمت أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين
طلوعي الشمس سبعين نبيا ثم يبيعون ويشترون
وكان لم يصنعوا شيئا فلم يعجل الله عليهم بل
أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام.^(١)

وهكذا راح الإمام الحسين عليه السلام بالإعداد للتحرك بأهله ومقربيه وشيعته
وكان ينتهز الفرصة في الليالي ليلتجئ إلى جده المصطفى صلى الله عليه وآله فيذهب إلى قبره
الشريف ويلوذ به، ويعوذ به، لأنه الملاذ والمعاذ للمؤمنين في كل حين. وفي
ذات مرة دخل إلى الروضة النبوية الشريفة وصلى بها ركعات ثم رفع يديه إلى ربه
قائلاً:

اللهم إن هذا قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله وأنا ابن بنت
نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت. اللهم
أني أحب المعرف، وأنكر المنكر، وأسألك يا ذا
الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت
لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى.

وبكى - روعي فداه - عند قبر جده واستمر به المحال إلى قريباً من الصباح
فوضع خده الشريف على القبر الحبيب فغفا عليه السلام فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في
كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه فضم الإمام الحسين عليه السلام إلى
صدره وقبل ما بين عينيه وقال:

(١) ن. م. ص ١٣٨، الأسرار الحسينية: ص ٢٧٨ وفيه تفصيل أكثر.

حبيبي يا حسين كأنني أراك عن قريب مرملًا
بدمائك مذبوحاً بأرض كربلاء بين عصابة من
أمتي وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمان
لا تروى وهم بعد ذلك يرجون شفاعتي لا أنا لهم
اللّه شفاعتي يوم القيامة.

حبيبي يا حسين إن أباك وأمك، وأخاك قدموا
عليّ وهم مشتاقون إليك.

فبكى الإمام الحسين عليه السلام في المنام وسأل جده عليه السلام أن يأخذه معه ويدخله
في قبره ولكن الرسول الأقدس أبى إلا أن يمضي ولده على حال أربى في نيل
الجزاء وآثر عند الجليل سبحانه يوم الخصام فقال عليه السلام:

لابد أن ترزق الشهادة ليكون لك ما كتب الله
فيها من الثواب العظيم فانك وأباك وعمك
(جعفر) وعم أبيك (حمزة) تحشرون يوم القيامة
في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة.^(١)

فانتبه الإمام الحسين عليه السلام وقصّ رؤياه على أهل بيته الكرام وعرفهم
حقيقته ومعناه ومغزاه فكثرت البكاء والعيول من الهاشميات الطاهرات وراح الإمام
الحسين عليه السلام يهدئ من روعهن وكل واحدة منهن كانت لها رؤيا تؤيد ما رآه
الإمام عليه السلام.

وفي اليوم الموعود والمحدد لخروجه عليه السلام من المدينة المنورة وذلك في
٢٨ رجب^(٢) على الأشهر ركب وركب كل من يريد الخروج معه واجتمع أهل
البيت عليهم السلام والأصحاب والمقربين للوداع المؤلم فشبهوه بيوم وفاة ورحيل
رسول الله ﷺ عن هذه الدنيا الفانية والناس بين ذلك إذ أعطى لأخيه محمد ابن

(١) الأسرار الحسينية: ص ٢٥٧، البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٨، مقتل الخوارزمي: ج ١ ص ١٨٩..

(٢) الأسرار الحسينية: ص ٢٦٩.

الحنفية كتاباً، وقال له:

هذه هي وصيتي إليك يا أخي. وكان فيها هدف ثورة الإمام الحسين عليه السلام تصريحاً دون تلويح لأنه قال فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذَا مَا أَوْصَىٰ بِهِ
الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد
المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق وأن
الجنة والنار حق ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا
وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ وأنني لم أخرج
أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت
لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام أريد أن آمر
بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة
جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني
بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا
أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق
وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي يا أخي إليك
﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(١).

وهي مطبوعة ومختومة بختم الإمام الحسين عليه السلام وودعه وسار الركب
متجهاً جنوباً إلى مكة المكرمة عن طريق القوافل الرئيسي ولم يتنكب الطريق
أبداً كما فعل عبد الله بن الزبير بن العوام الذي رفض البيعة كذلك وهرب من
المدينة متخفياً باتجاه مكة.

أما الإمام الحسين عليه السلام فسار بركبه المبارك على الطريق الأساسية الواضحة
دون خوف أو وجل من أحد إلا أن الشياطين كثر والمنافقين، واللعناء، والدجالين

(١) بحار الأنوار ج: ٤٤ ص: ٣٣٠ الأسرار الحسينية: ص ٢٦١ عن المناقب ج ٤ ص ٨٩.

لا يتركون المؤمنين وإمام المؤمنين الحسين عليه السلام أن يمروا دون أن يعترضوهم ويؤذوهم لا شيء إلا ليكونوا سبّه ولعنة للتاريخ وللإنسانية.

وهذا كان حال الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون، مروان بن الحكم الذي اعترض ركب الإمام الحسين عليه السلام محاولاً منعه من الخروج وربما العودة إلى المدينة وذلك على شكل نصيحة وليس فيها من النصح شيء فمما تحدثت به كتب التواريخ أن الإمام الحسين عليه السلام التقى به مروان بن الحكم فقال مروان:

أبا عبد الله إني لك ناصح فاطعني تُرشد وتُسدد.

فقال عليه السلام: وما ذاك قل أسمع؟؟

فقال مروان: إني أرشدك إلى بيعة يزيد فإنها خير لك في دينك ودنياك.

فاسترجع الإمام الحسين عليه السلام وقال:

على الإسلام السلام إذا بُليت الأمة براع مثل يزيد.

ثم قال عليه السلام:

يا مروان أترشدني إلى بيعة يزيد. ويزيد رجل فاسق. لقد قلت شططاً من القول وزلاً. ولا ألوّمك فانك اللعين الذي لعنتك رسول الله ﷺ وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعوا إلى بيعة يزيد. إليك عني ياعدو والله.

إنا أهل بيت رسول الله ﷺ الحق فينا وينطق على ألسنتنا وقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان. الطلقاء وأبناء الطلقاء. فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله ﷺ فلم يفعلوا به ما أمروا فابتلاهم

بابنه يزيد.

فغضب مروان من كلام الإمام الحسين عليه السلام - وطالما يغضب هو وأمثاله من الحق - فقال مأثوماً:

والله لا تفارقني حتى تباع يزيد صاغراً (مجبوراً)
فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم شحناء (حقداً)
وأشربتم بغض آل أبي سفيان وحقيق عليهم أن
يغضوكم (وهذه الكلمة صحيحة لأنهم إما منافقون
أو أبناء زنا)

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

إليك عني، فانك رجس واني من أهل بيت
الطهارة قد انزل الله فينا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾
[الأحزاب: ٣٣] فنكس رأسه الخبيث ولم ينطق
بحرف.

فقال له الإمام الحسين عليه السلام:

أبشر يا ابن الزرقاء بكل ما تكره من رسول
الله ﷺ يوم تقدم على ربك فيسألك جدي عن
حقني وحق يزيد. ^(١)

وبرواية أخرى:

حين اعترض مروان ركب الإمام الحسين عليه السلام
خارجاً إلى مكة تجالدوا بالسياط حتى صرفوه هو
ومن معه من جلا وزته اللعناء.

وخرج الإمام الحسين عليه السلام بكل ما لديه من إيمان وعلم نبوي إلهي. وبكل

(١) مقتل الخوارزمي ج (ص ١٨٤ الخطب ص ٦٥ لبيب بيضون

ما لديه من حب للإصلاح والمعروف، وبغض للفساد والمنكر، وبكل ما لديه من عِزَّة وإباء وأنفة وشجاعة وحمية إسلامية رائعة. خرج حاملاً الإسلام في دمه، وفكره، وواقعه. لا بل ممثلاً للإسلام ب كله، ولخالص الإيمان كما كان أبوه (الإيمان كله)، كان هو ﷺ كذلك. خرج ومعه أبنائه وأخوته وبعض أصحابه الكرام وهم كانوا خير الأنام، وسادة الأمة، والعيون تتطلع إليهم والقلوب تخفق لهم. والأيدي تمتد إلى عليائهم ومقامهم النوراني إما داعية متضرعة أو لامسة متباركة.

هكذا كان خروج الإمام الحسين ﷺ من المدينة المنورة وبخروجه أضواء الليل الحالك الذي خلا منه قمره فكان لديه قمر بني هاشم. وربما غارت نجومه فكان لديه الفتية من آل هاشم نجوم الأرض. وإختفت الثريا خجلاً من زينب ﷺ والطاهرات الزاكيات ممن كُنَّ معها يرافقن الإمام الحسين ﷺ الذي كان كوكب الأرض إذ خبا كوكب السماء فأضاء نور وجهه الشريف إلى ملائكة السماء فنزلوا مودعين مشيعين لهذا الثائر العظيم.

محاوَر التحرك الحسينية.

إن دراسة محاوَر التحرك لها أهمية كبيرة في معرفة المعركة ونوعيتها. وتعطي مدى العناية والتعب الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام في تحركه على طول هذه المسافة الكبيرة جداً التي ربما وصلت حوالي ٢٠٠٠ كم. وهي مسافة ليست بالسهلة على جيش يريد اجتيازها في ذلك الزمن الذي كان الجمل فيه هو أكبر واضخم وسيلة نقل والفرس أسرعها.

والجيش أو القوم الذين يريدون السفر لا بد من وجود سائرين على الأقدام بينهم وكذلك يحملون النساء والشيوخ والأطفال. والمسير عبر الصحراء. وكل هذه العوامل المعيقة كانت تعترض قافلة الإمام الحسين عليه السلام. ولدراسة أي محور تحرك غاية أساسية هي تحديد مدى جاهزية هذا المحور لاستيعاب القوة المتحركة وصلاحيته للتحرك إلى حد ما. والأخطار المحتملة في مراحل الطريق.

أما صفات المسير فهي تتحدد بثلاث نقاط.

١. مسافة المسير أو مقدار المسير.

٢. سرعة التحرك المتوسطة.

٣. الإستراحات المنفذة.

وهذه النقاط الثلاثة ضرورية لفهم ومعرفة طبيعة المسير وسهولة قيادته والسيطرة عليه وتأمينه من كل نواحي التأمين.

وبعد هذه المقدمة الموجزة نسأل. كيف تحرك الإمام الحسين عليه السلام.

وما هي المحاور التي تحرك عليها من لحظة إنطلاقة إلى لحظة وصوله إلى كربلاء وكم إستغرق من الوقت؟

فالمتبع يجد أن هناك محورين أساسيين وإتجاهين رئيسيين في معركة الإمام الحسين عليه السلام. ما هما.

الأول: من المدينة المنورة. إلى مكة المكرمة.

إن الطريق الرئيسي للقوافل هو كان محور تحرك الإمام الحسين عليه السلام الأول المنطلق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ولم يحد عنه أبداً. وذلك لعلمية التحرك، ووضوح الرؤية، والهدف الذي أعلنه الإمام الحسين عليه السلام فلم يتنكب الطريق العام أبداً.

وقال الإمام عليه السلام لمن نصحه وهو (مسلم بن عقيل) بتنكب الطريق الرئيسية:

«والله يا بن العم لا فارقت هذا الطريق أبداً أو أنظر إلى أبيات مكة. ويقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى»^(١)

١. مسافة المسير ٣٠٠ كم
٢. سرعة السير المتوسطة كانت تحدد بالمسير اليومي كما هو معروف الآن وتقدر قديماً بحوالي ٤٥ - ٥٠ كم باليوم.
٣. الإستراحات. كانت تنفذ الإستراحات المقررة من قبل الإمام عليه السلام وعند الضرورة. وإستراحة ليلية بعد مسير يوم كامل أو العكس.

(١) الأسرار الحسينية ص ٢٧٠، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٩

المحور

هو: المدينة - ذوالحليفة - غرب العرج - الأبواء - رابغ - الجحفة - أمج - عسфан - الجموم - التنعيم - مكة المكرمة.

ساعة البدء

كانت هي جوف الليل من ليلة الأحد ٢٨ رجب عام ٦٠ للهجرة خرج من المدينة وجعل يسير وهو يتلو قول موسى بن عمران عليه السلام. عند ما خاف أهل مدينته افخرج منها خائفاً يترقب. قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].^(١)

حاملاً معه أهل بيته فقط وبعض أبناء عمومته الذين تأذروا وتعاهدوا، وتعاهدوا على نصره الإمام الحسين عليه السلام مهما كلفت التضحيات.

ولم يحدث التأريخ عن عدد الخارجين مع الإمام الحسين عليه السلام من الرجال، والنساء، والأطفال بدقة ولا عن الخيول أو الجمال وما أشبه ذلك. والإستراحات المتخذة كذلك، وأماكنها بالتحديد مما أغفله التأريخ المسجل.

إلا أن الرحلة المباركة إستمرت خمسة أيام: اثنين من رجب وثلاثة من شعبان بحيث وصل ركب الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة في يوم الجمعة ٣ شعبان عام ٦٠ للهجرة المباركة^(٢). وهذا التاريخ: (٣ شعبان) هو يوم ميلاد الإمام الحسين الخامس والخمسين. أي في يوم عيد ميلاده المبارك - كما يقال الآن - الخامس والخمسين دخل ركبه مدينة مكة المكرمة.

وقبل الدخول إليها بل عندما نظر إلى أبياتها وجبالها راح يتلو قوله تعالى حاكياً عن كليمة موسى بن عمران عليه السلام ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي

(١) مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٩. خطب الإمام الحسين عليه السلام ص ٧٣. لبيب بيضون ص ٧٣، الأسرار الحسينية: ص ٢٦٩.

(٢) الأسرار: ص ٢٥٧، الإرشاد للمفيد: ص ٢٠٢، البحار: ج ٤٤ ص ٣٣٢.

أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ [القصص: ٢٢] وعند ما دخل مكة المكرمة نزل في دار العباس بن عبد المطلب عليه السلام.

وراح يستقبل الإمام الحسين عليه السلام الوفود والمحبين وعلى مختلف المستويات زرافات ووحدانا وكانوا ما بين ناصح شفيق يدلي بنصيحته ويبيدي رأيه، وحاقد لعين ينفث سُمّه ويعطي مما عنده. من داخل مكة وخارجها. من العرب وغير العرب.

والإمام الحسين عليه السلام يستقبل الجميع ويردّ الناصح داعياً له بالخير. ويردّ البقية الباقية برد لطيف جميل وأخلاق رفيعة لا تضاهها.

وبقي الإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة أربعة أشهر وخمسة أيام هذا ديدنه فمن شعبان، وشهر رمضان، وشوال، وذو القعدة - وحتى ٨ ذو الحجة وهو يوم التروية حيث أحلّ الامام عليه السلام من إحرامه بعد أن أحال الحج إلى عمرة وخرج بأهله وأصحابه بسرعة من مكة المكرمة.

وخلال تواجده عليه السلام بمكة تلك الفترة أرسل رسلاً إلى الأمصار كان أهمها ١. كتاب إلى رؤساء الأخماس (القبائل الخمس) في البصرة بنسخة واحدة مع مولاً له يقال له: سليمان. قبض عليه المنذر بن الجارود وسلّمه إلى ابن زياد ليقتله ويصلبه في عشية الليلة التي خرج فيها ابن زياد إلى الكوفة ليسبق الإمام الحسين عليه السلام إليها.

٢. كتابه إلى الكوفيين مع ابن عمه وثقته (مسلم بن عقيل) رحمه الله وسيأتيك خبره حيث خرج من مكة في منتصف شهر رمضان المبارك. واستقبل الإمام أكثر ما استقبل رسل ورسائل الكوفيين حتى أنه عليه السلام استقبل في يوم واحد ستمائة كتاب. وبلغ فيما بلغ عدد الرسائل من الكوفيين اثنا عشر ألف كتاب. وربما يزيدون وجميعها تدعوه إلى الكوفة وتعدّه النصرة له ولأصحابه والخذلان لعدوّه وأنصاره.

٣. ومما جاء في كتاب سليمان بن الصّرد الخزاعي (رحمه الله):

«وبعد فإننا مقاتلون معك، وباذلون أنفسنا

من دونك. فاقبل إلينا فرحاً مسروراً، مباركاً،
منصوراً. سعيداً، سديداً، إماماً مطاعاً، وخليفة
مهدياً. إلى أن يقول: فاقدم علينا فلعل الله تعالى
أن يجمعنا بك على الحق»^(١)

وهكذا قضى الإمام الحسين عليه السلام هذه الفترة في حالة من النشاط الثوري
الذي لا يهدأ ولا يلين ولكن لماذا كان الاختيار مكة أولاً؟

لماذا مكة؟

للتحليل التاريخي. والديني الروحي. له كلمته الخاصة.
أما التحليل العسكري. فاختيار الإمام الحسين عليه السلام مكة المكرمة
للإنطلاق كقاعدة إنطلاق - كما يقال حديثاً - له أسبابه ومبرراته التي يمكن أن
تستكشفها بسهولة بشيء من التأمل. فالاختيار كان موفقاً من ثلاث نواحي.
١. الناحية المعنوية والنفسية.
٢. الناحية المادية البحتة.
٣. ناحية الرجال والعدد والعدة.

فمن الناحية النفسية والروحية: فإن الإنطلاق من بيت الله الحرام. لإعلاء كلمة
الله، والجهاد في سبيله مع ربحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة،
وفي أيام هي أقدس الأيام شعبان وشهر رمضان. وأشهر الحج فلا شك من أن
تعطي كل هذه العوامل. زخماً روحياً منقطع النظير. وحالة نفسية ومعنوية لا يمكن
وصفها للجيش المرافق من الأبناء والأصحاب الكرام.

وأما الناحية المادية. فإن أي حملة عسكرية لا بد لها من تأمين، وتموين وهذا
يتطلب مالاً كثيراً ومكة المكرمة في أيام الحج تكون من أنشط بقاع العالم
تجارياً وأغنى مدن العالم مادياً وهذا واضح إلى الآن بحمد الله -

فموسم الحج موسم رائع للعمل لمن يريد أن يستطع العمل - أو بلم

(١) مقتل أبي مخنف ص ١٦ مختصراً، الأسرار الحسينية ص ٢٨١.

التبرعات وجمع الأموال من الحقوق الشرعية زكوات، وأخماس، وصدقات وهذا جميعه يصبُّ في خدمة الحركة الرسالية.

أما من ناحية العدد والعدة فهو واضح. لأن في أيام الحج يجتمع أكبر مؤتمر في العالم بحيث يأتي ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]. فترى الحجاج من جميع بلاد الإسلام يؤمون الحرم المكي الشريف لأداء فريضة الحج. والحركة من هناك يعني إيصال صوت الثورة الى جميع بقاع العالم الإسلامي. والدعوة الى الإلتحاق بها للحجاج لا بد من زيادة عددها أو عدتها وأسلحتها. من المتبرعين أو المنضمين أو المآزرين ولو بالكلام.

فاختيار مكة المكرمة كقاعدة للإنطلاق هي نابعة من عبقرية الإمام الحسين عليه السلام العسكرية. ومن هديه وهدايته للبشرية المتعوس حظها كما وصفها الجن.

فمن بيت الله الحرام. وفي الشهر الحرام. الدعوة الى إعلاء كلمة الإسلام. والحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام. فمن أراد دار السلام فما عليه إلا الإلتحاق بهذا الركب المبارك.

الثاني: من مكة المكرمة الى العراق

وأحلَّ الإمام الحسين عليه السلام من إحرامه، وأعطى أوامره لأصحابه بالإسراع في الخروج من مكة المكرمة وذلك إثر معرفته بمحاولة إغتيال لشخصه الكريم - والعياذ بالله - .

ولو كان متعلقا باستار الكعبة.^(١) فحفظاً لنفسه الشريفة^(٢)، ولحرمة البيت الحرام أثر الخروج والتوجه الى العراق.

(١) الحسين عليه السلام والوهابية ص ٢٨٧ للشيخ جلال معاش.

(٢) الأسرار الحسينية: ص ٢٩٩.

وكذلك سلك الطريق العام للقوافل ولم يستعمل
الطرق الملتوية والمجهولة.

والمحور هو مكة - بستان ابن عامر - التَّنعيم - الصَّفاح - وادي العقيق - ذات عرق - غَمْره - مَسْلَخ - أُفَيْعِيَّة - معدن بني سليم - عُمُق - ماء السِّلِيلِيَّة - مغيته الماوان - النَّقْرَة - الحاجر - سُميراء - تُوز - فِيد - الأَجْفَر - الخُزَيْمِيَّة - زَرُود - الثَّعْلَبِيَّة - بَطان - الشُّفُوف - زباله - القاع - العقبة - واقصة - القرعاء - مغيثة - شراف - ذو حسم - البيضة - العذيب - أقساس - مالك - عين الرهيمه - قصر بني مقاتل - نِينَوِي - العُقَر - كربلاء وهي ٤٠ موضع معروف ومشهور وهناك بعض الخلاف في المواضع إلا أن هذا هو الصحيح بالتحقيق والتدقيق.

١. مسافة أو مقدار المسير ١٤٠٠ كم.

٢. السرعة المتوسطة هي ٤٥ - ٥٠ كم في اليوم.

٣. مدة المسير كان حوالي ٢١ - ٢٢ يوم.

بحيث كانت ساعة البداية: من مكة المكرمة، يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة يوم التروية^(١) باتجاه التنعيم ومنه إلى العراق على المحور المذكور إلا أن هناك عقبات كانت تعترض ركب الإمام عليه السلام ربما نوجز بعضها.

ففي مكة المكرمة واجه محاولة إغتياله عليه السلام من قبل جلاوزة النظام الأموي ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

١. في التنعيم لقي الإمام الحسين عليه السلام عيراً متجهة إلى الشام وقادمة من والي اليمن إلى مولاه يزيد الحاكم البائس. فاستولى عليها الإمام وأخذها من أصحابها لأنه هو الإمام الشرعي وليس يزيد

٢. في الصَّفاح لقي عليه السلام الشاعر (همام بن غالب) المعروف (بالفرزدق) وسأله عن أحوال الكوفيين فقال له قولته المشهورة: «قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية» أو «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»

(١) الأسرار الحسينية: ص ٣٠٠ عن الفتوح: ج ٥ ص ٧٧.

٣. في الحاجر بعث قيس بن مسهر بكتاب جواب على كتاب مسلم بن عقيل الى أهل الكوفة ومبعوثه مسلم بن عقيل.
٤. في الخزيمة سمعت زينب العقيلة عليها السلام هاتفاً ينعى أخاها الحسين عليه السلام والركب من حوله فاستعبرت وبكت روي لها الفداء.
٥. وفي زرود لقي الإمام عليه السلام زهير بن القين وهو راجع مع الحجيج فكلّمه وحاورة بقصة مشهورة فالتحق بجيش الإمام عليه السلام وسجل اسمه في سجل الخالدين. وفيه وصله خبر استشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة حيث استشهدا يوم خروجه من مكة في الثامن من ذي الحجة.
٦. وفي الشقوق ورد عليه مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر رسوله الى مسلم بن عقيل في الكوفة. فأنشد فيه أبيات لطيفة ومؤثرة.
٧. وفي ذو وحسّم طلع عليه الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس من الكوفيين. وكادت أن تقع معركة تصادمية لولا خلق الإمام الرسالية.
٨. وفي العذيب. بلغه مقتل قيس بن مسهر الصيداوي رسوله الى الكوفة. ودعوة الطرماح له بالالتحاق بقومه وعشيرته بدلاً من أهل الكوفة.
٩. وفي نينوى ورد أمر ابن زياد اللعين الى الحر الرياحي بالتضييق على الامام الحسين عليه السلام ولا ينزله إلا بالعراء على غير حصن ولا ماء. فنزل الإمام عليه السلام مضطراً الى أرض كربلاء.
١٠. وكان الوصول اليها في يوم الخميس ٢ محرم الحرام سنة ٦١ للهجرة الشريفة. ومضى الإمام الحسين عليه السلام وركبه الميمون وهو يعلم علم اليقين أن كل خطوة كان يتقدم من الموت والشهادة. وكل ميل يقطعه هو على طريق الجنة. وكل منزل ينزل فيه هو مقابل منازل له في الآخرة. ولكن يبقى السؤال لماذا العراق والكوفة بالذات؟؟

لماذا العراق. والكوفة تحديداً؟

رغم كل النصائح الصائبة. رغم كل العقبات خلال وقبل المسير. رغم كل التحديات كان اختيار الإمام الحسين عليه السلام العراق وذلك لأسباب أهمها.

١. أنها أمر الهي رباني محض: شاء الله أن يراني قتيلاً.^(١)
٢. أمر رسولي من جده المصطفى صلى الله عليه وآله رأيت جدي المصطفى في المنام وأمرني بأمر. وإني ماض لما أمرني به.^(٢)

٣. رأيه الشخصي وعلمه الرسالي. وهو إمام مفترض الطاعة ولا يُسأل عما يفعل لأن عمله تشريع، والإنقياد له واجب، لأنه المعصوم من الباري (عز وجل).

٤. قيام الحجة بوجود الناصر. وذلك بتوارد أكثر من ١٢ ألف كتاب من أهل الكوفة والجميع يعدون بالنصرة، والقتل دونه ولا يرون غيره إماماً لهم.
- ولكن هل الاختيار كان صحيحاً سؤال يرد من قبلنا كبشر؟

في الإستراتيجية: كان صحيحاً تماماً. لأنه أمر إلهي، وفعل معصوم، والإستراتيجية هو حفظ الرسالة الإسلامية حيّة في القلوب والحناجر على مدى الأيام والشعب العراقي من أبدع الشعوب على الإطلاق بالمراثي والمجالس الحسينية المشهورة.

أما في التكتيك. فربما تقول: قد يكون الاختيار خاطئاً. لا يا أخي إنه كذلك في التكتيك كان صحيحاً تماماً. لأن التكتيك عند ما يصب في الإستراتيجية فلا خلاف على صحة التكتيك.

وإذا لم يستو دين جدي

إلا بقتلي فياسيوف خذيني

فاختيار العراق. كان توفيقاً وموفقاً. تكتيكياً وإستراتيجياً بلا أدنى شك وهذا واضح لذوي البصائر والحجى.

(١) البحار ج ٤٤ ص ٣٣١، اللهوف ص ٢٧.

(٢) كلمة الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٤٧، اللهوف ص ١٣.

طلائع التحرك.

ولاكتمال البحث حول محاور التحرك والمسير فلا بد من الحديث عن طلائع التحرك والحراسة المتقدمة. وما أشبه ذلك في الدراسات العسكرية المعاصرة.

فالطليعة. وبما تمثله من معنى

«أنها جزء من القوات تتقدمها للإستطلاع،
وتفادي الأخطار المحتملة أثناء المسير
والحركة»

أو بما تمثله من مضمون في ثورة الإمام الحسين عليه السلام فليس لها شيء واضح أو ربما يذكر في التاريخ.

إلا أن بعوث الإمام الحسين عليه السلام ومراسلوه (كمسلم بن عقيل، وقيس بن مسهر، وعبد الله بن يقطر). ربما نعتبرهم كطليعة ثورية، وكطليعة قتالية. وأما الحراسة المتقدمة فهذا كان طبيعياً بأن يدفع الإمام عليه السلام عدد من الخيالة ليستطلعوا الطريق ويخبروه عن كل صغيرة وكبيرة فيه. وينذروه من الأخطار المحتملة.

ومن خصائص الطليعة أنها إذا قابلت العدو فإن احتمال إبادتها وارد وكبير جداً لأنها أول من يتلقى ضربات وبشكل مفاجئ فتباد أو تُدمر شبه كلياً. وهذا بالضبط ما جرى لبعوث الامام الحسين عليه السلام وطليعته وعلى رأسهم ١. مسلم بن عقيل الشهيد الأول في الثورة الحسينية. وقصته معروفة ومفصلة.

فقد خرج من مكة المكرمة بتكليف من الإمام الحسين عليه السلام باتجاه الكوفة في منتصف شهر رمضان المبارك. ووصل إليها في الخامس من شهر شوال. وأخذ البيعة من أهلها وكتب الى الإمام الحسين عليه السلام بذلك. إلا أن الغدر، وخور العزيمة وتثبيط الهمة: هي كانت وراء إلقاء القبض عليه وعلى صاحبه هاني بن عروة واستشهادهما في الكوفة بصورة فظيعة وشنيعة عليهما الرحمة والرضوان.

٢. قيس بن مسهر الصيدائي.

٣. عبد الله بن بقطر أخ الإمام الحسين عليه السلام من الرضاة.

٤. موله سليمان الذي أرسله الى رؤساء الأخماس في البصرة.

وغيرهم من هؤلاء الطلائع الثورية والقتالية الكريمة. فقد كانوا السباقين إلى الشهادة لهذه الثورة الاستشهادية الفريدة من نوعها عبر التاريخ. ولمعرفة مهام الطليعة بشكل أوضح ووضع بين يدي الأخوة القراء مدى العبقرية العسكرية للأئمة عليهم السلام ننقل هذه الوصية المكتوبة والموجهة من أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لقائدي الطليعة في جيشه.

وإعلمنا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفص الشعاب والشجر والخمر من كل جانب. كي لا يغتركما عدو، أو يكون لكما كمين. ولا تسيرن الكتائب والقبائل من لدنى الصباح الى المساء إلا على تعبئة. فإن دهمكم داهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبية. وإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار. كي ما يكون ذلك لكم رداء وتكون مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال وبأعلى الأشراف ومناكب الهضاب. يرون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن. وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فأنزلوا جميعا وإذا رحلتم فارحلوا جميعا وإذا غشيكم ليل فنزلتم. فحفوا عسكركم بالرماح والأترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم. وما أقمتكم فكذاك فافعلوا

كي لا تصاب لكم غفلة ولا تُلْفَى منكم غُرّة فما
قوم حَفُوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل
أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون. وإحرسا
عسكركما بأنفسكما وإياكما أن تذوقا نوماً
حتى تصبحا إلا غراراً أو مضمضة ثم ليكن ذلك
شأنكما ورأيكما حتى تنتهيا إلى عدوكم. وليكن
عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما
فإني - ولا شيء إلا ما شاء الله حيث السير
في آثاركما عليكم في حربكما بالتؤدة وإياكم
والعجلة إلا أن تمكنكم فرصة بعد الإعذار
والحجة وإياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكم. إلا
أن تبدأ أو يأتكما أمري إن شاء الله. والسلام.^(١)

إنظر إلى هذا البيان الرائع وهذا العلم الواسع بالأمور الحربية. فهذه الأمور
والقضايا هي من مهام الطليعة وتدرس إلى اليوم في أحدث أكاديميات العالم
العسكرية. إن مهمة الطليعة وتقسيمها وحراستها وتأمينها هو هذا ولا شيء سواه
إلا في الجزئيات البسيطة من حيث الأسلحة الحديثة. وهذا كلام ووصية أمير
المؤمنين علي عليه السلام لأصحابه وقادة جيشه والعمل بها من قبل ولده الامام
الحسين عليه السلام أخرى وأدق. لأنه هو القائد مباشرة وليس أحد سواه.

تسليح الجيش الحسيني.

وأثناء دراسة المسير لابد من معرفة وسائط النقل. والرجال، والسلاح المرافق
للقوات المتحركة. وهذا متعذر الحصول عليه في بداية الحركة المظفرة للإمام
الحسين عليه السلام ولكن التاريخ إحتفظ لنا بدقة عدد الباقين في كربلاء يوم العاشر
من المحرم أي يوم المعركة، فوسائط النقل كانت - الجمال - لحمل الأمتعة

(١) نصر بن مزاحم صفين ص ١٢٥ الإمام علي والحرب ص ٧٧

والهوادج والخيول - وربما بعض البغال، والحمير لحمل الأثقال.
الرجالة الذين يسرون على الأقدام.

التسليح

فكانت كل ما هناك من أسلحة هي.

١. السيف مع كل مقاتل سيفه، وترسه، ورمحه، وقوسه، ودرعه.

٢. ربما أعمدة الحديد.

٣. بعض الأسلحة اليدوية المتعارفة بذاك الزمن.

فبهذه الأسلحة قامت الثورة الحسينية وقاتلت حتى نالت وسام الشهادة
الألمع على مدى الأيام.

إلا أن الأسلحة القديمة - حتى - قسّمت حديثاً إلى أسلحة للهجوم،
وأخرى للدفاع فكل ما تستعمله لضرب العدو من سيف، ورمح، وخنجر،
ومقلاع. فهو من أسلحة الهجوم. وكل ما تصدّ به ضربات العدو من دروع،
وترس، وبيضة ومغفرة. تعدّ من أسلحة الدفاع.

تأمينات التحرك.

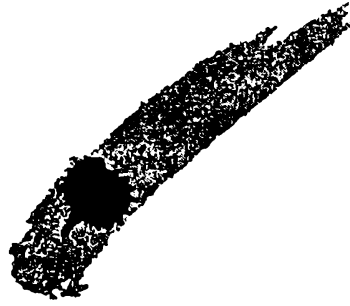
أن التأمين ضرورة لكل معركة. وهو ضرورة ملحة للمسير وأثناء التحرك
لأن الإهتمام سوف يتركز على الحركة والمحافظة على القوات للوصول على
المنطقة المحددة في الوقت المحدد وهي محتفظة بقدرتها القتالية. وهذا لن
يتوفر إلا إذا كانت كافة التأمينات وافية كافية لكل القوات.

وتأمين جيش الإمام الحسين عليه السلام كما هو واضح من كتب التاريخ أنها
كانت جداً جيدة وممتازة. بحيث لم يحدث التاريخ أن هناك نقصاً ما في مادة من
المواد الضرورية للمقاتلين.

لا بل يحدث أنه أنقذ طليعة العدو من الهلاك وهم ألف فارس بقيادة الحر
بن يزيد الرياحي. حين إعترضت قافلة الإمام الحسين عليه السلام في (ذي حسم) وهي

مشرفة على الهلاك من شدة العطش والجوع. فأطعم الجميع وسقاهم وأرشف
 خيلهم الماء كذلك حتى تقوى على الحركة والمسير.
 إذن كم كان الإحتياطي كبيراً لدى جيش الإمام عليه السلام؟
 وكم كانت حجم الإمكانيات المادية المرافقة له؟
 أما بقية أنواع التأمين القتالي المعروفة في الوقت الحاضر لم يكن لها ذكر
 ولا خبر في الزمن الغابر.

الفصل الرابع: كربلاء



هذا موضع كرب وبلاء.. هاهنا

مناخ ركابنا، ومحط رجالنا ومقتل

رجالنا، ومسفك دماننا...

الإمام الحسين عليه السلام

كربلاء

لمحة تاريخية^(١)

إن كربلاء: هو إسم قديم، مختلف المعاني والتأويلات إلا أنها كانت تطلق على منطقة واسعة، وكربلاء كانت أما لقرى عدة حولها تقع بين بادية الشام وشاطئ الفرات. وهي كانت من أمهات مدن ما بين النهرين المشهورة في التاريخ القديم والتي تعود إلى العهد البابلي.

وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان بخصوص لفظة (كربلاء) وأوعزها إلى ثلاث أوجه فقال: كربلا - بالمد وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام في طرف البرية عند الكوفة.

وأما اشتقاق كربلاء فهو من عدة معاني ووجوه.

١. إما من الرخاوة فالكربلة هي رخاوة في القدمين. يقال: جاء يمشي مكربلاً. ويجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضوع رخوة فسميت بذلك وهي كذلك رخوة كما هو مشهور في التاريخ والجغرافية.

٢. و(الكربلة) هي الهز والتنقية فكربلت الحنطة إذا غربلتها ونقيتها من الشوائب العالقة. وكذلك يجوز ذلك في تسمية الموضع لأنه رملي خالي من الحصى والدغل فسمي ذلك الموضع بهذا الإسم.

(١) عن ثراث كربلاء لسلمان هادي آل طعمه بتصرف.

٣. و(الكربل) هو إسم نبت الحمّاض. وربما كان ينبت هذا النوع في تلك الأرض بكثرة فسَمّت بهذا الإسم.

أما السيد حسن الصدر فيؤكد في رسالة له قائلا:

أنها مشتقة من الكربله بمعنى الرّخاوة. ولما كانت أرض هذا الموضع رخوة سميت كربلا. أو من التّقاوة من كربلت الحنطة إذا هزرتها ونقيتها ولما كانت هذه الأرض منقاة من الحصى والدّغل سميت كربلا. أو أن الكربل نبت الحمّاض كان كثير نبتة في هذه الأرض فسميت به والأظهر عنده الثاني والأوسط.

ومنهم من يرى أن اللفظة (كربلاء) مركبة من كلمتين أشوريتين هما: (كرب) و(إيلا) ومعناها (حرم الله) ومنهم من يرى بأن أصل الكلمة فارسي وهي كلمتين كذلك (كار) و(بالا) ومعناها (العمل الأعلى) أي (العمل السّماوي) أو (محل العبادة والصلاة) أو أنها كور بابل أي منطقتها.

وأما الدكتور عبد الجواد الكلّيدار فله تعريف شامل حيث يقول:

(وقد نعتت كربلا منذ الصدر الأول في كل من التاريخ الحديث باسم كربلاء والغاضرية، ونيوى، وعمورا وشاطى الفرات، وورد منها في رواية التاريخ باسم ماريه، والنواويس، والطفوف وطف الفرات، ومشهد الحسين عليه السلام، والحائر، والحير. إلى غير ذلك من الأسماء المختلفة الكثيرة إلا أن أهم هذه الأسماء في الدّين هو (الحائر) لما أحيط بهذا الأسم من الحرمة والتّقدّيس أو أنيط به من أعمال وأحكام

في الرواية والفقهاء إلى يومنا هذا.^(١)

وقيل: أنها موضع الإبتلاء، ومحل الوفاء.

وهي مشتقة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام عندما نزل بجانب منها فسأل وعينه تدمعان والرواية تقول:

قال زهير بن القين: يا ابن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري لياتينا مالا قبل لنا به.

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

صدقت يا زهير. ولكن ما كنت لأبداهم بقتال.

ثم قال زهير: هاهنا قرية بالقرب منا على شط الفرات وهي في عاقول (منعطف الوادي) حصينة والفرات يحدق بها إلا من وجه واحد.

قال الحسين عليه السلام: ما اسمها؟

فقال: تسمى العقر.

فقال عليه السلام: نعوذ بالله من العقر. والتفت الإمام الحسين عليه السلام إلى

الحر، وقال: سر بنا قليلاً ثم نزل.

فساروا جميعاً حتى إذا أتوا أرض كربلاء وقف الحر وأصحابه أمام الإمام

الحسين عليه السلام ومنعوه عن المسير وقالوا: إن هذا المكان قريب من الفرات.

ويقال في رواية أخرى أنهم بينما هم يسرون إذ وقف جواد الإمام

الحسين عليه السلام ولم يتحرك كما أوقف الله ناقة النبي ﷺ عند الحديبية. فعندها

سأل الإمام الحسين عليه السلام عن الأرض^(٢).

فقال له زهير: سر راشداً ولا تسأل عن شيء حتى يأذن الله بالفرج، إن هذه

الأرض تسمى بالطّف أي ما أشرف من أرض العرب على العراق يسمى طفاً.

فقال عليه السلام: فهل لها اسم غيره؟

قال زهير: تعرف كربلاء.

(١) تاريخ كربلاء ص ٢٢

(٢) الأسرار الحسينية: ص ٣٣٢.

فدمعت عيناه عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال:

اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْبَلَاءِ. هَاهُنَا مُحَطُّ
رُكَابِنَاءٍ وَسَفْكُ دِمَائِنَا وَمَحَلُّ قُبُورِنَا. وَبِرَوَايَةِ
أُخْرَى (هَهُنَا مَنَاخُ رُكَابِنَا، وَمَحَطُّ رَحَالِنَا، وَمَقْتَلُ
رُجَالِنَا وَسَفْكُ دِمَائِنَا) بِهَذَا حَدَّثَنِي جَدِّي رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (١)

وهذا ما أفاده التاريخ وتحدث به عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي
طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما مرَّ بهذه الأرض خلال مسيره إلى حرب صفين. فشاهد فيها
متأملًا في ما بها من أطلال وآثار. فسئل عن السبب، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ:
إِنَّ لِهَذِهِ الْأَرْضِ شَأْنًا عَظِيمًا. فَهَاهُنَا مُحَطُّ
رُكَابِهِمْ، وَهَاهُنَا مَهْرَاقُ دِمَائِهِمْ.

فسئل في ذلك، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثَقُلَ لَّالُ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُونَ هَاهُنَا. (٢)
وهي بالحقيقة أرض كرب وبلاء. ونور وضياء. وبركة ونماء. ويحشر منها أناسًا
إلى الجنان بلا حساب ولا عتاب.

الموقع الجغرافي

حكى أن كربلاء هي الأرض الممتدة أو هي مجموعة قرى بابلية قديمة منها
نينوى التي كانت قرية عامرة في العصور الغابرة تقع شمال شرق كربلاء وهي الآن
سلسلة تلّول أثرية ممتدة من جنوب سدّة الهندية حتى مصب نهر العلقمي في
الأهوار وتعرف بتلّول نينوى.

ومنها الغاضرية وهي الأراضي المنبسطة التي كانت مزرعة لبني أسد. وتقع
اليوم في الشمال الشرقي من مقام أو شريعة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ على العلقمي

(١) اللّهُوف في قتلى الطفوف ص ٤٥ والبحار ج ١٠ ص ١٨٨ عن خطب الإمام الحسين (عليه السلام)
ص ١٤٦

(٢) تاريخ الطبري ج ١٠ ص ١١٨ ومروج الذهب ج ٣ ص

بأمتار وتعرف بالأراضي الحسينية.

ثم كربله (بتفخيم اللام) وتقع إلى شرقي كربلاء وجنوبها.

ثم (كربلاء أو عقر بابل) وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية.

ثم (النواويس) وكانت مقابر للنصارى من قبل الفتح الإسلامي. وتقع في

أراضي ناحية الحسينية قرب نينوى.

أما (كربلاء القديمة) فهي الأطلال الكائنة في شمال غربي كربلاء حالياً وكانت

مقبرة للبابليين. وقد ذكرها الإمام الحسين عليه السلام في إحدى خطبه قائلاً:

كاني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات ما بين

النواويس وكربلا. ^(١)

وأما أرض المعركة وهي القسم المنبسط من المنطقة وهي ساحة فسيحة شيئاً

ما محدودة بسلسلة من التلال الممتدة، والربوات المتصلة من الجهات الشمالية

الغربية وحتى الجنوبية منها. فتشكل - إلى عين الناظر - نصف دائرة مدخلها

الجهة الشرقية.

وهي جهة الفرات (العلقمي منه بالذات). لذلك ترى ضريح سيدنا العباس أبو

الفضل هناك عليه السلام.

أرض المعركة

أن مسألة الأرض ودراستها هي مسألة جد هامة بالنسبة للقادة العسكريين

وللمقاتلين كذلك. إلا أن أهميتها بالنسبة للقادة أعظم لأن مهمتهم أكبر،

ورؤيتهم أشمل، ومسؤولياتهم أعظم من باقي الجند.

فللأرض أهمية كبرى في الموقف القتالي - قديماً وحديثاً - لأن أية معركة

لا بد من حدوثها على الأرض بالذات أو النتائج. حتى حرب النجوم، والفضاء

في الوقت الراهن حيث وصل شر الإنسان إلى عمق الفضاء فزرعه بالصواريخ

الإستراتيجية (العابرة للقارات والخارقة للسموات) فالتوجيه والقيادة والنتائج

(١) كلمة الإمام الحسين عليه السلام عن كشف الغمة ج ٢ ص ٣٠٣، مقتل السيد المكرم ص ١٦٦.

تعود إلى الأرض بلا شك.

والدمار والخراب والقتل بكل انواعه وصنوفه وويلاته واقع في الأرض أبداً.
فالأرض المنطلق، وعليها المسير، وإليها العودة مهما كانت الجيوش،
وأيضا كانت المعارك، وحيثما حدثت الإشتباكات في الجو، أو البحار، أو
الصحاري والفقار فانويلات والبركات من الأرض.

فأرض أية معركة لها أهميتها الخاصة وإستراتيجيتها وتخطيطها الخاص لدى
القادة العسكريين والعلماء بفن الحرب وخاصة إذا كانت موهوبة من قبل الباري
تعالى ببعض الأغراض التي يمكن الاستفادة منها بالسلب أو الإيجاب.

بالسلب: بحيث تساعد القائد على الإمتناع، والتمويه، والإختفاء عن العدو.

والإيجاب: بحيث تعطي القائد والجند القوة والمنعة في مواجهة العدو.

فالإستخدام الصحيح للأرض وربما تجهيزها هندسياً إن أمكن. يساعد القوات
في تنفيذ المهام القتالية على المستوى الفردي والجماعي. ويعيق القوات المعادية
بنفس النسبة تقريباً.

فالقائد والجندي الذي يحسن إستخدام الأرض، ويدرسها بشكل جيد هو
الذي يسخرها لجانبه ولصالحه بكامل تفاصيلها الطبيعية والإصطناعية - إن
وجدت - وتعتبر التضاريس والأغراض المحلية عناصر أساسية تحدد الخصائص
التعبوية للأرض وتأثيرها على تنظيم وتنفيذ المعركة.

فالهضاب، والتلال، والمرتفعات الأرضية تساعد على رؤية الأرض المحيطة
بها وكشف الأغراض والقوات الموجودة فيها لذلك تستخدم مثل هذه المواقف
للرصاد والعيون المرسلة من قبل القادة لمراقبة تحركات العدو ومعرفة موقعه
وموقفه وحجم قواته.

كما أن وجود التعاريج، والمنخفضات، والمسيلات على الأرض ذات فائدة
كبيرة بحيث تؤمن شروطاً جيدة للإختباء والتقدم المستور، والتمويه، وغالباً ما
تستخدم الوديان، والمنخفضات القادمة من اتجاه العدو كمنافذ مستورة إلى الحد
الأمامي لدفاع العدو.

أو كطرق إلتفاف على مؤخرة العدو.

كما أن مثل هذه المناطق يمكن أن تستخدم للتسلل ونصب الكمائن ونشب الغارات المفاجئة للعدو. فتربكه وتدب الذعر في صفوفه.

وهكذا بقية المناطق الجغرافية والطبيعية فلكل منطقة منطقتها وواقعها تفرضه على المتحاربين. والقائد الذكي هو الذي يجعلها لصالحه ومعه لا ضده.

فالمنطقة بالتعريف: هي مصطلح يطلق على أي قطعة من الأرض بحالتها الظاهرية مع جميع ما يتوضع عليها بشكل طبيعي من أغراض طبيعية أو إصطناعية. وتتميز عليها تضاريس الأرض.

والتضاريس: هي كل ما تشمله المنطقة من الناحية الظاهرية فقط بغض النظر عن الأغراض الطبيعية أو الصطناعية لذلك تقسم المناطق الى ثلاثة تضاريس رئيسية هي:

١. المنطقة السهلية.

٢. المنطقة التلالية إرتفاعات من ٢٥ - ٥٠٠ م

٣. المنطقة الجبلية إرتفاعات أكبر من ٥٠٠ م

ولكل منطقة تأثيرها على الأعمال القتالية العسكرية. ولها إيجابياتها وسلبياتها ولذلك فلا بد من دراسة المنطقة المراد التعسكر بها ودراستها يجب ان تعطي:

أ. مدى تأثير المنطقة على الأعمال القتالية العسكرية.

ب. معرفة إتجاه العدو ومسح شبه كامل لقواته، وتسليحه، وتعسكره وهذه المعلومات ضرورية للقائد عند التحضير للأعمال القتالية.

ج. التوجه الجغرافي، والطبوغرافي، والتكتيكي ضروري للقادة والجند.

فالتوجه الجغرافي: هو معرفة الإتجاهات الرئيسية الأربعة والفرعية الأربعة.

والتوجه الطبوغرافي: هو معرفة أسماء القرى والهضاب والشعاب المحيطة

بالمكان.

أما التوجه التكتيكي: فهو معرفة إتجاه العدو أو معرفة مكان تركز قوات العدو بشكل كامل وتقدير الاتجاهات الرئيسية والثانوية له.

فالموقع الجغرافي. ومنطقة العمليات هي ذات تأثير كبير في الأعمال العسكرية ولكل منطقة تأثيراتها الخاصة وباعتبار أن الإمام الحسين عليه السلام كان يحتل أو ينزل في منطقة مكشوفة فنكتفي بالإشارة إلى بعض خصائص مثل هذه المناطق المكشوفة على الأعمال القتالية فيها.

١. إنها تؤمن رؤية واضحة وواسعة لكلا الطرفين. فكل من معسكر الإمام الحسين عليه السلام ومعسكر عمر بن سعد (عليه اللعنة). كانا مكشوفين وواضحين لبعضهما البعض.

٢. إنها صعبة التمويه معدومة الإخفاء ولكلا الطرفين.

٣. إستحالة تحرك القوات - تجميعاً أو تفريقاً - بشكل مستور عن الطرف الآخر مهما بلغت الدقة، ومهما كانت الظروف ليلاً أو نهاراً.

٤. سهولة كشف تحضيرات العدو كاملة من أجل المعركة القادمة فمعسكر عمر بن سعد يرى ويسمع ما يفعل معسكر الإمام الحسين عليه السلام وكذلك العكس.

٥. سهولة الحركة للفرسان والرجالة في أرض المعركة. فهذه الخصائص الخمس كانت جميعها بصلاح ابن سعد وجيشه لأسباب ستتعرف عليها بعد قليل.

فهذا كان تقديماً عن أهمية الأرض، وضرورة دراستها من قبل القادة، ولكن السؤال المطروح الآن هو. أين وكيف كان موقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء؟؟

كيف تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أرض كربلاء عسكرياً؟.

إن الشيء المهم الذي يجب الإنتباه إليه هو مسألة اختيار مكان الموقعة، أو منطقة المعركة فالذي يختار ويفرض اختياره على الطرف الآخر هو صاحب الرؤية الصحيحة بغض النظر عن النتائج.

فإن تختار منطقة العمليات ومكان المعركة. وتستجرّ عدوك إليها هذا هو

الصحيح والضروري في أيّة معركة. وبهذا فانك تفرض منطقك، وفكرك، وخطتك على المعركة وتفوّت على العدو تنفيذ خطته وفرض رأيه عليك وعلى قواتك.

وعسكرياً: أن تفرض قرارك. لا أن تقبل قرار
عدوك وتعمل على تلافيه.

وهل الإمام الحسين عليه السلام هو الذي اختار مكان المعركة. أم ماذا؟؟
فالتاريخ له كلمته. وله منطقة ولا بد من إستعراضه بشيء من الإيجاز.
فالتاريخ والمؤرخون يقولون بأن الإمام الحسين عليه السلام لم يختار مكان
المعركة بل الذي اختارها له الظرف العسكري الذي وضعه به عبيد الله بن زياد.
عن طريق طلائعه بقيادة الحر الرياحي وعيونه عليه.
ولم يزل الإمام الحسين عليه السلام يتياسر حتى إنتهى الى نينوى (قرية شرق
كربلاء).

وإذا براكب على فرس نجيب وعليه السلاح فانتظروه. فإذا هو رسول بن زياد
(عليه اللعنة) الى الحر الرياحي ومعه كتاب.
ففضّه الحر أمام الإمام الحسين عليه السلام وتلاه. فإذا فيه:
جعجع بالحسين حين تقرأ كتابي ولا تنزله إلا
بالعراء على غير ماء ولا حصن.

فقرأ الحر الكتاب على الإمام الحسين عليه السلام. فقال له: دعنا ننزل نينوى أو
الغاضريات أو شفيه. وهي قرى متجاورة.
فقال الحر: لا أستطيع فان الرجل (الرسول) عين عليّ (أي جاسوس) لابن زياد
(عليه اللعنة والعذاب).

فقال الإمام الحسين عليه السلام للحر الرياحي: سر بنا قليلاً ثم نزل.
وساروا الى أن وصلوا الى أرض كربلاء فوقف الحر وأصحابه أمام الإمام

الحسين عليه السلام ومنعواهم من السير وقالوا إن هذا المكان قريب من الفرات.^(١)
 هذا هو كلام المؤرخين. أن ابن زياد وعن طريق الحر الرياحي قد جمع
 بالإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء. والحر أجبرهم على النزول فيها. فالاختيار كان
 اختيار العدو والقرار كان قراره.

أما منطق القادة. وفن القيادة. وعبقريات القائد العسكري الناجح. فلها رأي
 آخر يمثل هذا الموقف الحرج فالجيش جرار والخصم (العدو) قوي ومتمكن
 وإمكانياته هائلة وإحتياطه كبير وامتداده إلى الشام عرضاً وعمقاً.

فما العمل والقوات بسيطة والعدد قليل. والسير
 منهك وطويل والبلاد غربة والإمكانيات هزيلة
 والإحتياطي معدوم والإمتداد إلى السماء سمواً
 وعلواً فقط.

فمالذي يمكن أن يفعله الإمام الحسين عليه السلام بعد أن قرأ عليه الحر الرياحي
 رسالة ابن زياد (لا تنزله إلا بالعراء على غير ماء ولا حصن).

وماذا له أن يفعل بعد أن رأى الإصرار من قبل قائد قوات الطليعة المعادية
 إلى التنفيذ الحرفي وشبه الدقيق للأوامر وأنه خائف من جواسيس قائده اللعين
 فماله إلا أن يستدرج الحر وجنده إلى أقرب ما يمكن للماء أولاً. ولمكان نوعاً ما
 منيع وهذا الذي فعل عليه السلام وهذا ما نستفيد من طلبه من الحر الرياحي (سربنا
 قليلاً ثم نزل).

وسار الحر إلى حيث وقف الإمام الحسين عليه السلام ووافق على النزول وهذا
 واضح من جواب الحر وجنده للإمام عليه السلام حيث قالوا: إن هذا المكان قريب من
 الفرات. إذن فكان هناك جدال (فلا يمكن النزول على غير الماء) أو على الأقل في
 مكان قريب من الماء فاجابوهم بذلك الجواب. أن كربلاء قريبة من النهر العلقمي
 حيث كان يمر في طرفها الشرقي.

(١) خطب الإمام الحسين عليه السلام على طريق الشهادة ص ١٦٤ د. لييب بيضون الأسرار الحسينية:
 ص ٣٢٩.

فاختيار الإمام الحسين عليه السلام لكربلاء كأرض، ومنطقة، وساحة للقتال له ما يبرره من وجهة عسكرية بحته وتنبيء عن عبقرية فذة في هذا المجال لأن:

١. أرض كربلاء رملية ناعمة، وسهلة وادعة. قليلة الحصص والحجارة. والاختيار الموفق لها من حيث إن جيش الإمام الحسين عليه السلام كان قد قطع مسافة ١٤٠٠ كم سيراً وفي هذا مشقة على الدواب، والرجال، والعيال، والنزول في أرض وعرة تزيد من المشقة والتعب بلا شك.

٢. وأرض كربلاء - كما قدمنا - كانت أرضاً خصبة وتتفجر منها الكثير من ينباع والآبار وهذا عدا النهر العلقمي الذي يرويها منفصلاً عن الفرات. لأن الماء هو أساس الحياة وأصل وجودها ولا يمكن العيش بلا ماء. والرسالة اللعينة من ابن سمية تنبيء بأن القوم ينوون الضغط النفسي، والمعنوي، والاقتصادي على جيش الإمام عليه السلام وكل هذه الضغوط تجتمع بمنع الماء عنهم.

فالأطفال، والنساء، والرجال، والدواب، والغسيل، والتطهر. وكل شيء يحتاج إلى الماء وإذا فقد الماء فكل شيء سيطلبها. وما أبشع المحاربة بمثل هذه المحاربة الحقيرة وهي تشبه إلى حد ما قنابل اليوم الفراغية: حيث تفرغ الهواء من المنطقة المراد تدميرها فتدكها عن بكرة أبيها.

٣. قلنا عند دراستنا جغرافية كربلاء. أنها محاطة بشبه تلال تشكل قوس نصف دائرة فتحتها إلى الشرق أي إلى العلقمي. ومثل هذا الموقع سهل الدفاع عنه، والتحصن به لو كان عدد الجيش أكبر من الذي كان.

فالهضاب والتلال تساعد بنشر الرصاد، والعيون، ورماة السهام. ولا يحتاج إلى أعداد كبيرة للحراسة والدفاع الذاتي عن الموقع.

٤. أنها - كربلاء - متوسطة وحولها عدد من القرى الآهلة والعامرة في تلك الازمنة. وهذا ربما كان يعطي أملاً بزيادة الأنصار والمغيثين لو كان هناك أناساً مؤمنين.

٥. والأهم من هذا كله هو قرار الإمام الحسين عليه السلام الذي فرضه على جيش العدو وخطته التي وضعها في نظرتة الثاقبة للأمور هي التي نفذت لا خطة ابن زياد وعمر بن سعد.

فاختيار الإمام الحسين عليه السلام لأرض كربلاء كان ذاتياً ولم يكن إجبارياً كما يذهب الكثير من المؤرخين والباحثين في هذه الثورة المباركة.

٣. بعد أن تحدثنا عن منطق التواريخ والمؤرخين. ومنطق القادة العسكريين. فماذا عن منطق الوحي والدين؟

وهذا منطق نور. وتأييد إلهي. وتحديد لاختيار الإمام الحسين عليه السلام بما اختارته له السماء. كمنطقة، وكموقعة، وكمعركة، وكنهاية.

إن منطق الدين يختلف - وخاصة في عقيدتنا نحن المسلمون الشيعة - وذلك لأننا نؤمن بالإمامة وعصمة الإمام، وولاية الإمام التشريعية والتكوينية حتى. أي أن الإمام الحسين عليه السلام لو أراد الانتصار بقوة الغيب. وبسلاح الدعاء والمعجزة. لانتصر لا شك ولا ريب. وفي كل قصة من قصص القرآن نجد شاهداً على ذلك ولا أوضح من قصة نبي الله صالح عليه السلام وقومه الذين اهلكهم الله سبحانه وتعالى لانهم عقروا الناقة.

وهل عقر الناقة وفصيلها أعظم درجة عند الله سبحانه من ذبح الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه ذبح الكباش في أيدي الجذارين؟؟ حاشا لله. وهكذا إهلاك الأمم وأقوام الأنبياء عليهم السلام في القرآن تفيدنا بنفس الفائدة وتعطينا جواب نفس التساؤل الوارد آنفاً. والجواب هو.

لا والله. وحاشا لله ان يكون ذلك كذلك.

بل الإمام الحسين عليه السلام هو أعظم درجة من أولئك الأنبياء العظام (ع) فضلاً عن تلك الأمثلة الواردة. والشواهد في الأحاديث النبوية الشريفة كثيرة. ولكن حديث (سيد شباب أهل الجنة)^(١) للسبطين الكريمين عليهما السلام من أوضحها وأشهرها.

(١) الصواعق المحرقة الحديث الرابع من فضائل الإمام الحسين عليه السلام وهو حديث مشهور.

لذلك نجد في التاريخ أن الجن وأقواماً من مؤمنهم قد عرضوا على الإمام الحسين عليه السلام النصرة قائلين.

وأنته أفواج من مسلمي الجن فقالوا: يا سيدنا نحن من شيعتك وأنصارك فمرنا بأمرك وما تشاء فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانتك لكفيناك ذلك.

فجزاهم الإمام الحسين عليه السلام خيراً وقال لهم:

أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. وقوله سبحانه: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وإذا قمت مكاني فيما ذا يتلى هذا الخلق المتعوس؟

وبماذا يختبرون؟

ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء وقد اختارها الله يوم دحى الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا وتكون لهم أماناً في الدنيا والاخرة؟؟.

ولكن تحضرون يوم السبت - وهو يوم عاشوراء - الذي في آخره أقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخواني وأهل بيتي ويسار برأسي إلى يزيد (لعنه الله).

فقلت الجن: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك. لقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا اليك.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: نحن والله أقدر عليهم منكم ولكن
 ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن
 بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].^(١)

فهذه الرواية وكما هو راضح منها أن قوة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقدرته
 كانت أكبر وأعظم من قوة الجن (نحن أقدر عليهم منكم) ويؤكد ذلك بالآيمان بالله
 (والله) وكذلك الروايات الواردة عن الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أمير المؤمنين
 الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حين مرَّ بها وقف متاملاً ومسترجعاً وقال كلماته المشهورة وقد
 مرت سابقاً. وكذلك تأكيدات الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه وفي خطبه كلها على أنه
 مقتول ومستشهد على أرض كربلاء.

«خط الموت، على ولد آدم محط القلادة. على
 جيد الفتاة ما أو لهني إلى أسلافي إشتياق يعقوب
 ليوسف.»

«لا محيص عن يوم خط بالقلم ولكن رضا الله
 رضانا أهل البيت.»

«وكأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات ما بين
 النواويس وكربلاء.»

«وإن هؤلاء يريدونني وإن وجدوني ذهلوا بي عن
 غيري.»

«وشاء الله أن يراني قتيلاً.»

فالاختيار كان اختياراً إلهياً لا دخل فيه لأحد ولكن سارت الأمور بما يشاء
 الله وهذا خفي عنا بطبيعته إلا أن الله سبحانه هو مدبر الأمور، ومسير الأزمان،
 والمخلوقات كل لما خلق له ولكل قدره وموعده.

فاختار الله جدَّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ المختار
 (صلوات الله عليه وآله) لرسالته الخاتمة.

(١) مثير الأحزان ص ٩ الخطب ص ٧٤، الأسرار الحسينية ص ٢٧٢، البحار ج ٤٤ ص ٣٣٠.

واختار الله والد الحسين الإمام علي عليه السلام
لأمرة المؤمنين.

واختار الله والدته الحسين عليه السلام فاطمة
الزهراء عليها السلام سيدة لنساء العالمين.
واختار الله الحسن والحسين عليهما السلام ليكونا
سيدي شباب أهل الجنة.

وكذلك اختار الله الحسين عليه السلام ليكون شهيداً
على تراب كربلاء.

فالاختيار واقع على المنطقة بالتحديد. لذلك نجد أن بعض الروايات تقول أن
فرس (جواد) الإمام الحسين عليه السلام ما زال يسير حتى وقف لنفسه. ورفض المسير.
وتقول الرواية: كوقوف ناقة الرسول الأعظم ﷺ في المدينة عندما أتاها مهاجراً.
أو عند ما وقفت عند الحديدية وقال ﷺ: حبسها حابس الفيل.

وهذا يؤكد اختيار السماء لهذه البقعة المباركة لتكون مسرحاً للعمليات
القتالية في يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ للهجرة الشريفة ولثلاثيه فقط.
فاختيار مكان، وزمان المعركة كان توفيقاً من الله - هذا باطناً ودينياً -
واختياراً موفقاً من قبل الإمام الحسين عليه السلام وهذا ظاهراً واقعياً.
فكانت ساحة المعركة ومسرح العمليات القتالية أرض كربلاء.

الموقف التكتيكي في كربلاء.

عندما وصل ركب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء نزل، وأمر القوم بالنزول وكان ذلك في ٢ محرم سنة ٦١ للهجرة ونصبت الخيام. وما أقلها على الشكل التالي: - خيمة الإمام الحسين عليه السلام العظمى في شمال شرق المعسكر.

- خيم - أهل البيت عليهم السلام والهاشميين خلفها وباتجاه جنوب غرب.

- خيم العيال والنساء في أقصى الغرب.

- خيم الأصحاب والأنصار في الشرق وجنوب

شرق المعسكر.

والعدو أخذ يتجمع أمام هذا المعسكر العملاق في الروح والمعنويات المتواضع في الحجم والإمكانيات وكان تجمع العدو في جهة شمال شرق المعسكر الحسيني مباشرة وراح الإمام الحسين عليه السلام يعطي تعليماته إلى أهله وأصحابه الكرام بالإعداد والتحصين الهندسي وإصلاح السلاح والاستعداد ليوم الفصل.

وراح يتجمع جند عبيد الله بن زياد شيئاً فشيئاً حتى ملأت المنطقة بأجمعها لأنه ذكر بعض المؤرخين أن الجيش المجهز كان حوالي نصف مليون مقاتل وأقل

الروايات أنه. كان حوالي مئة ألف مقاتل وصل منها إلى أرض الطفوف وكربلاء ما يزيد عن ٣٠ ألف مقاتل.

ولا غروفي ذلك أبدا. لأن معظم المؤرخين ذكروا بأن الكوفة كانت مدينة عامرة وعدد سكانها يتراوح ما بين (٢-٤) مليون نسمة. وبالمنطق العسكري فإن إعلان التعبئة العامة يعني تجنيد كل من هو قادر على حمل السلاح لصالح المعركة وتقدر بالثلث تقريبا. وحديثاً أكثر من النصف. وذلك لإشتراك النساء وكبار السن بالمعارك.

ونصف مليون كما نرى هو الربع فقط أي كان بإمكان ابن زياد أن يجهز أكبر من هذا الجيش لمقاتلة (مئة وخمسون مقاتل على أكبر الروايات) ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فأحاط الجيش الأموي بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام من كل اتجاه ومن كل ناحية. حتى طوقه كما يطوق العقدة جيد الفتاة، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم. ولكن بئس الطوق كانوا. وبئس السوار ﴿أَنْ لَّعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

والموقف التكتيكي: كان في كربلاء وبالتحديد في صباح اليوم العاشر من المحرم على الشكل التالي.

كان هناك موقفان وكان هناك تكتيكان متناسبان مع الموقفين لكلا الطرفين المتحاربين وكان هناك نوعان مع أنواع المعركة بلغة العصر.

١. موقف الإمام الحسين عليه السلام وتكتيكة للمعركة التي أراد أن يخوضها دفاعاً عن الحق أي أن معركته كانت دفاعية بحتة.

٢. موقف عمر بن سعد وتكتيكة للمعركة التي أراد أن يسحق بها الحق مهاجماً أي أن معركته كانت هجومية غاشمة بامتياز.

وربما نحتاج إلى البسط بعض الشيء عن التحضيرات التي سبقت المعركة من قبل الطرفين.

الإمام الحسين عليه السلام

معركته دفاعية: فهو يحارب دفاعاً عن الرسالة. وعن النفس. وعن العرض والأهل. وعن المال. وجميعها مشروعة مشروعية مطلقة وواجب الدفاع عنها. أ. فالدفاع عن الإسلام: واجب كفائي وربما يصل إلى العيني على كل من يستطيع حمل السلاح وذلك عند تعرض بيضة الإسلام إلى خطر داهم. وهؤلاء بني أمية وأذئابهم (تركوا طاعة الرحمن ولزموا طاعة الشيطان) و (لم أخرج وأشرأ ولا بطراً. وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي. أريد أن امر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

ب. والدفاع عن النفس: واجب وهو من أعظم أنواع الجهاد وكل هذا الجيش الذي اجتمع في كربلاء إنما القوم يطلبونني وإذا راوني ذهلوا بي عن غيري) (والله لو دخلت في جحر الهوام لاخرجوني ليقتلوني) و (من مات دون نفسه فقد مات شهيداً) (١) كما قال الرسول الأعظم (صلوات الله عليه واله).

ج. والدفاع عن الأهل والعيال والأطفال والأعراض: واجب كذلك وبكل الشرائع السماوية والأعراف الاجتماعية والقوانين الدولية. والإمام الحسين عليه السلام كان معه جميع أهله ونسائه وبناته وأخوته.

وفالدفاع عنهم عمل شرعي وأخلاقي و (من مات دون عرضه فهو شهيد) ..

٢. والدفاع عن المال والممتلكات والإرث: واجب شرعي، وعقلاني، وقانوني كذلك والإمام الحسين عليه السلام حمل معه كل ما يستطيع حمله لمساعدته في تجهيز الحملة وتمويلها. فدفاعه عنها كان واجباً.

ولكن ما هي تحضيرات الدفاع وكيف كان القرار الدفاعي؟

التحضيرات الدفاعية.

إن التحضير للمعركة الدفاعية هو عبارة عن عدة نقاط بالعلم العسكري الحديث.

نتناولها تباعاً ونبين أعمال الإمام الحسين عليه السلام التحضيرية. ولو أنها بسيطة

إلا أنها ذات مدلول كبير وتعطي أشارات أكبر.

١. تنظيم المعركة

وتنظيم المعركة يشمل النقاط الرئيسية التالية.

١. تفهم المهمة: ولا أحد على وجه الأرض يومها يفهم مهمته كالإمام الحسين عليه السلام إلا أنه كان بحاجة لإفهام القادة عنده وعليه أن يبين لهم عدّة نقاط أثناء دراسته للمهمة الدفاعية وهي:
 - أ. هدف الأعمال القتالية «إحياء الإسلام»
 - ب. مهمة المقاتلين والوحدات: «الدفاع عن حريم رسول الله (صلى الله عليه واله)»
 - ج. وقت الجاهزية: صباح يوم العشر من المحرم سنة ٦١ للهجرة

٢. حساب الوقت

كان لدى الإمام الحسين عليه السلام الوقت الكافي لدارسة المنطقة والموقف بشكل كامل. ففي أرض المعركة (كربلاء) بقي سبعة أيام كاملة يعدّ ويحضر نفسه وقواته للمعركة من ٢ محرم والى ٩ محرم الحرام.

٣. تعليمات أولية

أي على القائد أن يجمع قادة الوحدات وبمختلف المستويات ويعطيهم بعض المعلومات عن العدو والموقف القتالي كاملاً.

هذا وقد جمعهم الإمام عليه السلام في عشية يوم التاسع من المحرم وقال لهم:
 أثني على الله أحسن الثناء. وأحمده على السراء
 والضراء. اللهم إني أحمدك على أن أكرمنا
 بالنبوة، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجلعت
 لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من
 المشركين. أما بعد.

فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي.
ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي.
فجزاكم الله عني جميعاً. وقد أخبرني جدي
رسول الله ﷺ بأني سأساق إلى العراق فأنزل
بأرض يقال لها: (عمورا) وكربلاء وفيها أستشهد
وقد قرب الموعد. ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء
الأعداء غداً. وإني قد أذنت لكم فإنطلقوا جميعاً
في حلّ وليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد
غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم
بيد رجل من أهل بيتي.

فجزاكم الله جميعاً خيراً. وتفرّقوا في سوادكم
ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبونني ولو أصابوني
لذهلوا عن طلب غيري.^(١)

وهذا البيان الرائع هو عبارة عن إعطاء تعليمات أولية للأصحاب والأهل لأن
المعركة غداً فاستعدوا لها وخذوا حذرکم وتهيؤوا ليوم الغد.
وبالفعل فقد بات الإمام الحسين عليه السلام تلك الليلة راکعاً، ساجداً، باكياً،
مستغفراً، متضرعاً.

إلى الله بالدعاء. وبات الأصحاب والأهل جميعاً كذلك ويصفهم التاريخ: بأنه
كان لهم دويّ كدويّ النحل فهم بين راکع وساجد، وداعي وتالي للقرآن حتى
الصباح.

وهل هناك أجمل من هذا التحضير.

٤. تقدير الموقف

وتقدير الموقف في المعركة الدفاعية يشمل عدد من النواحي يجب الإنتباه

(١) مقتل المقيم ص ٢٥٧ ومناقب بن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٤٨، الأسرار ص ٣٥٣.

إليها وبشكل أساسي.

- أ. العدو: غشوم ظالم، وعدد هائل، وعدة لا تحصى، وعمق كبير وإستراتيجي وتدعمهم دولة قائمة بذاتها وقوية وظالمة وحاكمة عليهم. وهي في كل إتجاه.
 - ب. الصديق: مؤمن طالب حق. عدد بسيط وعدة متواضعة. وعمق معدوم ولا دعم ولا إمدادات إلا الإمدادات الغيبية من الله الرحمن الرحيم.
 - ج. الأرض: منبسطة وواسعة عليه عليه السلام لقلة من معه. وضيقه على عدوه الظالم بكثرة من معه وهي كما درسناها سابقا. تخدم المدافع.
 - د. الفصل والطقس: الفصل صيف. والطقس حار جداً والعطش أخذ مأخذه من الجميع في يوم تاسوعاء وإشتد أكثر في يوم عاشوراء.
- والإمام الحسين عليه السلام، كل هذه الإجراءات وهذه التقديرات كانت جاهزة لديه وكان يأخذها بعين الاعتبار ولكن ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود : ٨٠]

٥. الاستطلاع الشخصي

وهي من أهم الخطوات التي تجب على القائد، وعلى القائد القيام بها شخصياً أو بمن يثق به وذلك قبل اتخاذ القرار النهائي للمعركة.

والإمام الحسين عليه السلام نفذها شخصياً لأهميتها. فيخرج ليلة عاشوراء من المخيم ليتفقد ساحة المعركة. ويستطلع أحوال العدو عدداً وعدة وإمكانات وروح معنوية وذلك لكي تساعد هذه المعلومات لاتخاذ القرار الصحيح بخوض المعركة الدفاعية.

ويحدث هلال بن نافع البجلي، الحارس الشخصي للإمام القائد عليه السلام قائلاً:

رأيت الحسين عليه السلام خارج من المخيم ليلة العاشر من المحرم حتى أبعد شخصه نحو معسكر ابن سعد. فلبست درعي وتقلدت بسيفي وسرت خلفه فالتفت إلي وقال:

من الرجل. أهلال هذا؟

نعم سيدي. هلال.

يا هلال. ما الذي أخرجك في هذا الليل؟

سيدي. أزعجني خروجك ليلاً إلى جهة هذا الباعي.

خرجت أتفقد هذه التلعات والتلال مخافة أن تكون

مكمناً لهجوم الخيل على مخيمنا يوم يحملون

(مهاجمين) وتحملون (مدافعين).^(١)

ولهذا موقف قيادي عسكري بحث ويسجل في سجل العبقريات في ذلك

الزمن الظالم، فإذا كان مسرح الأعمال الحربية يعمل دوراً بارزاً في تقدير نتيجة

المعركة. فإننا يجب أن نسجل هنا موقفاً عسكرياً وممتازاً للإمام عليه السلام حيث لم

يترك الأمور تجري على عواهنها وإنما قام بدراسة الأرض التي سيقا تل عليها لكي

يعرف مكان العدو والتلال التي يمكن أن يستفيد منها هو. أو يستفيد منها العدو.^(٢)

وبهذا الإستطلاع السريع للإمام الحسين عليه السلام لأرض المعركة والتلال

المحيطة بها لابد أنه حدد عدداً من النقاط الهامة للمعركة الدفاعية.

١. أماكن تمرکز العدو ومواقع قواته كلها إن أمكنه ذلك.

٢. الإتجاهات والمحاور التي يمكن أن يتقرب منها العدو إلى معسكر الإمام عليه السلام.

٣. نقاط الضعف في الدفاع ونقاط القوة في العدو المهاجم.

٤. الإتجاه الرئيسي لقوات العدو (وكان من شمال شرق).

٥. إجراءات التجهيز الهندسي التي يمكن أن يفعلها لكي يزيد من قوة موقفه الدفاعي.

٦. مكان القيادة المعادية وتمرکزها.

وبناء على هذا الإستطلاع للموقف نجد أن الإمام الحسين عليه السلام أجرى عدداً

من الإجراءات التحصينية أو الهندسية - بلغة معاصرة - من أجل أمرين إثنين

بالنتيجة.

(١) الشهيد والثورة ص ١١٣ آية الله السد هادي المدرسي، الأسرار الحسينية: ص ٣٦٣.

(٢) الشهيد والثورة ص ١١٤ آية الله السيد هادي المدرسي.

١. إستلام زمام المبادرة من العدو وإجباره على إتجاه ومكان المعركة المفروضة.

٢. تقوية الحالة الدفاعية لدى القوات الصديقة لتكون أكثر قوة وثباتاً.

أما الأعمال الهندسية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام قبل المعركة فهي:

١. باعتبار أن المعركة كانت تجري على أرض مكشوفة. فأمر الإمام الحسين عليه السلام بتقريب الخيام بعضها من بعض لتصبح وحدة صغيرة ومتكاملة فيسهل الدفاع عنها وضبط الدخول والخروج منها وإليها^(١).

٢. باعتبار أن العدو كان متفوقاً وبشكل كبير وكبير جداً. فإن جزء من قواته كان بإمكانه شن هجوم كاسح على معسكر الإمام الحسين عليه السلام من كل الإتجاهات. فرسانا وراجلين ولا يشكل ذلك أي عناء لهم. فقد عمد الإمام عليه السلام وعمل على حفر خندقاً حول الخيام بشكل دائرة شبه كاملة^(٢) - مستفيداً من طبيعة الأرض والمسيلات والثنيات المتواجدة طبيعياً. وترك بوابة غير كبيرة يمكن الخروج منها إلى ساحة المعركة مباشرة. الساحة التي اختارها الإمام الحسين عليه السلام.

بحيث جعل الفتحة في الجهة المعاكسة لإتجاه العدو - كما يبدو - وذلك من موقع المخيم وموقع القبر الحسيني الشريف مما أزعج العدو وكلفه الكثير من المتاعب وأعاقه بعض الوقت عن ساعة الصفر المحددة لهجومه وبذلك أفقده المبادرة في الحركة والمعركة.

وقد ملأ الخندق بالحشائش اليابسة. والخيم الزائدة. وأعمدة مكسورة وثياب عتيقة. وأي شيء يمكن أن يشتعل. وفاجأ العدو بإشعال هذا الخندق من كل الإتجاهات يوم العاشر من المحرم فكانت الخيل والرجال تتحاشى الخندق والنار معاً.

وبذلك أجبر الإمام الحسين عليه السلام قوات عمر بن سعد على الحرب والقتال في المكان الذي أراده هو عليه السلام وحمى عيالاته وأهله حتى استشهد عليه السلام وهذه

(١) الأسرار الحسينية: ص ٣٥١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٩٠.

(٢) ن. م. ص ٣٥٠، مقتل الخوارزمي: ج ١ ص ٢٤٨.

عسكرية ملفة للنظر طبعاً.

٣. وحدد مقر القيادة، ومركز العمليات الحربية، وذلك بالفسطاط الذي أمر بنصبه على بوابة المخيم مباشرة.

٤. وقسم الجيش الصغير في الحجم العظيم في أجره عند الله إلى ثلاثة أقسام.

أ. الميمنة: بقيادة زهير بن القين البجلي.

ب. الميسرة: بقيادة حبيب بن مظاهر الأسدي.

ج. القلب: بقيادته مباشرة.

د. والراية: مع أخيه أبو الفضل العباس عليه السلام.

فهذه النقاط الأربعة هي كانت بمثابة خطة متكاملة لخوض معركة شاملة لولا أن عدم التكافؤ ولا يوجد نسبة مطلقاً بين عدد الجيشين وإلا فهذه الخطة كانت ضامنة لنصر الإمام الحسين عليه السلام أو تكبيد العدو الخسائر الفادحة على أضعف الاحتمالات.

وبعد هذه الإجراءات كافة يبقى الأهم بالنسبة للقائد. ألا وهو.

٦. اتخاذ القرار: أي قرار المعركة الدفاعية ويجب أن يشمل عدداً من النقاط كذلك

وهو ورقة العمل الأساسية للعسكر كافة. ويجب أن يشمل ما يلي:

أ. معلومات عن العدو. وأصبحت كافية وافية عند كل مقاتل من مقاتلي الإمام عليه السلام.

ب. مهمة الوحدات والقوات القتال حتى الاستشهاد.

ج. معدلات الإستهلاك. كل ما بحوزة المقاتلين حتى الأرواح والدماء.

د. وقت الجاهزية: صباح يوم العشر من المحرم سنة ٦١ للهجرة الشريفة.

هـ. القائد العام: الإمام الحسين عليه السلام ومكانه على باب المعسكر وفي ساحة القتال دائماً وأبداً.

و. النواب بالمعركة لا أحد لأنه لن يبقى أحد إلا ويستشهد، وخارجها فعلي زين

العابدين عليه السلام هو النائب والوصي. والعقيلة زينب (ع) هي المسؤولة عن رعاية الأطفال والنساء.

وبعد اتخاذ هذا القرار التاريخي من قبل الإمام الحسين عليه السلام بخوض هذه

المعركة التي ما شهد التاريخ لها مثيلاً. فلا بد من إكمال تنظيم المعركة وقيادتها على أرض الواقع.

صفات القائد

فمسألة القائد. وقيادة الأعمال القتالية. لها أثرها الواضح والجلي في أية معركة حدثت أو يمكن أن تحدث. وللقائد صفات يجب أن يتحلى بها ليكون ناجحاً في عمله وقيادته العسكرية. هذا وقد حددها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعهدده لمالك الأشر حين ولّاه مصر بخمسة عشر نقطة أو صفة. هي:

١. الإيمان والنصح لله دائماً.

٢. عفيفاً طاهر الجيب نقي السريرة.

٣. حكيماً يبطئ على الغضب ويستريح إلى العذر.

٤. شفوفاً على عسكريه وجنده وخاصة الضعفاء منهم.

٥. ينبو عن الأقوياء. ويشدد عليهم لمنعهم من الطغيان على الضعفاء.

٦. من ذوي الحسب والنسب والبيوتات المشهورة.

٧. الشجاعة ورباطة الجأش وثبات الجنان.

٨. الكرم. وهي من أكبر صفات النبيل البشري.

٩. ذكياً. سريع البديهة ولا يستأثر بالقرار.

١٠. لا يهتم بالاطراء والمديح. (فاحثوا التراب في وجوه المدّاحين).

١١. أقرب الناس إلى العدو. وأكثرهم مراجعة وكرأ عليه.

١٢. عادلاً بين جنده في توزيع المهام والواجبات على الجنود.

١٣. يشاور أصحابه. ويتراجع عند ما يشعر بالخطأ.

١٤. قوي وحازم. إلا أنه لا يغضب من جنده. ويملك غضبه إن غضب.

١٥. لا يتردد من إتخاذ القرار المناسب وتنفيذه بسبب الضعف. فلا ضعف عنده.

هذه هي صفات القائد الناجح عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ألا أن القادة العسكريين في الوقت الحاضر ربما إقتصروها إلى خمسة نقاط أو ستة

لا أكثر هي:

أ. العقيدة.

ب. الذكاء والمبادهة والإعتماد على النفس باتخاذ القرار وإمضائه.

ج. الانضباط الصارم والإصرار على تنفيذ المهام القتالية.

د. الإرادة القيادية. والقدرة التنظيمية للقوات.

هـ. الإعداد العسكري العالي والثقافة العامة الجيدة.

و. إمكانية تدريب وتربية المقاتلين.

فهذه بشكل عام صفات القائد الناجح قديماً وحديثاً فأين كان الإمام

الحسين عليه السلام من هذه الصفات؟

وهل كان قائداً ناجحاً بالمعنى الكلي للكلمة؟

نعم. كان الإمام الحسين عليه السلام نعم القائد لجنده. وكانت تتوفر فيه جميع هذه

الصفات المذكورة قديماً وحديثاً وأكثر منها أيضاً. لماذا؟

❖ لأنه عليه السلام جمع صفات القائد العسكري الفذ.

❖ والإنسان المثالي في الإنسانية.

❖ والإمام المعصوم المفترض الطاعة من السماء.

ولا أريد البسط أكثر لأنه ربما يطول بنا الحديث فنخرج عن خطة

الكتاب رغم أن الحديث عن الأخلاق، والشجاعة والذكاء. التي أظهرها الإمام

الحسين عليه السلام كقائد في يوم عاشوراء هي من صلب الموضوع. ولكن نكتفي

بذكاء القارئ الكريم لإستخلاصها من خلال قراءته لإحداث الموقعة العصبية.^(١)

وربما وصل بنا الحديث هنا إلى نهاية تنظيم المعركة الدفاعية من قبل الإمام

الحسين عليه السلام وقبل الانتقال للحديث عن العدو الظالم. لا بد من إعطاء لمحة

سريعة لمسألة جداً هامة في العلم العسكري وهي.

(١) ونحيل القارئ الكريم الى كتاب (الحسين والوهابية) لفضييلة الخطيب الشيخ جلال معاش : ففيه كفاية للموضوع .

تحضير القوات للمعركة.

وتحضير القوات هي الخطوات النهائية التي تسبق المعركة مباشرة وهناك ثلاثة نقاط مما يجب الإنتباه إليها وتحضيرها.

١. تحضير الأفراد

ويشمل:

- أ. إستكمال الإمام كافة العناصر المؤمنة هناك وعبأها معه.
- ب. تدريبهم تدريباً جيداً. وهذا كان في القمّة بالنسبة لجند الإمام عليه السلام.
- ج. تدريب القادة على قيادة الوحدات. العباس، وزهير، وحبيب ليسوا بحاجة الى تدريب فشهرتهم قد عمّت في الآفاق.

٢. تحضير الأسلحة والعتاد

ويشمل:

- أ. تحضير الخيول بالنسبة للفرسان باسراجها وإطعامها جيداً.
 - ب. تحضير السيوف والحراب والدروع.
- فقد نقل الرواة. أن الإمام الحسين عليه السلام عندما استقر به الأمر بكربلاء وأيقن أن الأمر ماض، وأبعد زمن هو يوم العاشر من المحرم. فجلس الإمام الحسين عليه السلام في خيمته يصلح سيفه ومعه جون مولى أبي ذر الغفاري (رضي) فجعل يصلحه ويقول.

يا دهر أف لك من خليل

كم لك بالأشراق والأصيل.

من صاحب وطالب قتيل

والدهر لا يقنع بالبديل

وكل حي سالك سبيلي

ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنما الأمر إلى الجليل

سبحانه جلّ عن المثل

قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام

وجعل أبي يردد هذه الأبيات فحفظتها منه
وخنقتني العبرة ولزمت السكوت حسب طاقتي.
فأما عمتي زينب عليها السلام لما سمعت بذلك
إستعبرت وبكت وكانت ضعيفة القلب، فبان
عليها الحزن والجزع. وأقبلت تجرّ أذيالها إلى
الحسين عليه السلام.

وقالت يا أخي. ويا قرّة عيني. ليت الموت أعدمني
الحياة. يا خليفة الماضين وثمان الباقيين.
فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال: يا أختاه لا يذهبن
بحلمك الشيطان فإن أهل السماء يموتون، وأهل
الأرض لا يبقون، وكل شيء هالك إلا وجهه، له
الحكم وإليه ترجعون.

فأين أبي وجدي اللذان هما خير مني؟ فلي بهما
وكل مؤمن أسوة حسنة. وعزاها ثم قال لها: بحقي
عليك يا أختاه إذا أنا قتلت فلا تشقي عليّ جيباً
ولا تخمسي عليّ وجهاً. ثم ردّها إلى خدرها.^(١)

وهذه الرواية الشريفة الحزينة ينقلها أصحاب المقاتل عن الأيام الأولى من
نزول ركب الإمام الحسين عليه السلام أرض كربلاء. إلا أن السيّد المقرّم يرويها في ليلة
العاشر من المحرم وهو عندي أوضح، والكلام مناسب للمقام في ليلة العاشر
لا قبلها والله العالم.

إلا أن هناك رواية أخرى تقول:

(١) خطب الإمام الحسين عليه السلام ص ١٧١ عن مقتل الخوارزمي ج ١٠ ص ٢٣٧ وأبي مخنف ص ٥٠

أنه لما سمعت ذلك أخته زينب أو أم كلثوم جاءت إلى الإمام الحسين عليه السلام وقالت.

هذا كلام من أيقن بالموت. قال عليه السلام: نعم يا أختاه.

قالت: إذن فردنا إلى حرم جدنا.

فقال عليه السلام: يا أختاه لو ترك القطا ليلاً لنام.

فقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة. مات

جدي رسول الله ﷺ ومات أبي علي عليه السلام

ومات أمي فاطمة عليها السلام ومات أخي

الحسن عليه السلام وبقي ثمال أهل البيت. واليوم ينمى

إليّ نفسه. وبكت. فبكت النسوة ولطمن الخدود.

وشققن الجيوب فعزاهن الحسين عليه السلام وصبرها

وقال: يا أختاه تعزّي بعزاء الله. فإن أهل السماء

يفنون، وأهل الأرض يموتون، وجميع البرية

لا يبقون. وكل شيء هالك إلا وجهه، فتبارك الله

الذي إليه جميع الخلق يرجعون. فهو الذي خلق

الخلق بقدرته، ويفنيهم بمشيئته، ويثبتهم بإرادته.

يا أختاه. كان جدي، وأبي، وأمي، وأخي خيراً

مني وأفضل. وقد ذاقوا الموت وضمهم التراب.

وإن لي ولك ولكل مؤمن برسول الله ﷺ

أسوة حسنة.

ثم قال عليه السلام: يا زينب. ويا أم كلثوم. ويا

فاطمة. ويا رباب إنظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن

عليّ جيباً. ولا تخشمن عليّ وجهاً. ولا تقلن عليّ

هجرأ.^(١)

وكذلك هذه الرواية الشريفة وإنمفجعة.تناسب الأيام الأخيرة من أيام عاشوراء - تاسوعاء أو عاشوراء - لأن المقام مناسب للمقال كما تقدم فالوضع حرج والجميع أيقنوا بنزول الكارثة لا محالة.

فالإمام الحسين عليه السلام أصلح سلاحه بيده وشدّ حمالته وأصلح درعه، وقوسه، ورمحه بلا شك في تلك الأيام والليالي بانتظار يوم الفصل وهو يوم العاشر من المحرم.

وإذا كان هذا حال القائد فما بال بقية الجند.

فهم كذلك فعلوا.أصلحوا أسلحتهم، وشدوا حمّالات السيوف.وربطوا أحزمة الدروع، وأسرجوا الخيول.وتهيؤوا إلى المعركة.فأبلغ الأوامر هي أوامر العمل بحيث يعمل القائد فيعمل الجند بما يوحي لهم عمل القائد تماماً.

وفي تلك الظروف لا حاجة إلى الشُّروح وإعطاء الأوامر إلا بالشيء الضروري فقط.

وهذه الفقرة هي من أهم ما يمكن تنفيذه في عملية الإعداد والتحضير للمعركة.

٣. تحضير أرض المعركة

وبقي من التحضيرات هو تحضير وتحسين ما أمكن لأرض المعركة بما يخدم قوات الإمام الحسين عليه السلام ويعيق قوات عمر بن سعد وهي تشمل عدد من النقاط.

أ. تحديد ساحة المعركة: وقد حددها الامام الحسين عليه السلام على مدخل المعسكر وبعد المدخل مباشرة.

(١) خطب الإمام الحسين عليه السلام ص ١٧٢ عن مقتل الخوارزمي ج ص ٢٣٧

ب. التجهيز الهندسي للموقع وفعل الإمام الحسين عليه السلام كثير من الأعمال في هذا السبيل أشرنا إليها فيما سبق. حفر الخندق. وإشعال النار فيه - وعكس مدخل المعسكر. وغيرها.

ج. التجهيز الهندسي للمؤخرة والتأمينات. وكل أعمال الإمام الحسين عليه السلام تصب في هذا الإبطار فليس عنده ما يخاف عليه إلا أهله وعقائل بيت النبوة والوحي.

د. تجهيز مقر القيادة. وهذا الذي دعا الإمام الحسين عليه السلام بإعطاء أوامره من أجل بناء الفسطاط ليكون مقراً لقيادة القوات. وجعله على باب المعسكر مباشرة. فالداخل يمر من أمام القائد، والخارج يستأذن منه لا محالة.

هـ. اتخاذ بعض إجراءات التمويه. وهذا كذلك ما دعى الإمام الحسين عليه السلام لتجميع الخيام وحفر الخندق وإضرام النار فيه يوم عاشوراء.

فهذه النقاط الثلاثة في عملية تحضير الوحدات إلى المعركة كان لها الأهمية الكبرى في العمليات العسكرية قديماً وحديثاً والإمام الحسين عليه السلام لم يهمل أية نقطة من هذه النقاط بل أبرزها وأوضحها لتكون لنا عبرة وتعطي للأجيال دروساً في هذه الفنون.

صحيح أن الجيش كان بسيطاً. والثقل كان كبيراً. والإمكانات كانت جداً محدودة. والعدو جيشاً جراراً. وإمكاناته هائلة. إلا أن كامل التحضيرات قد نُفذت بحذا فيرها وبكل دقة وعلى كافة الصُّعد والاتجاهات.

وفي صباح عاشوراء (تحضيرات)

وببزوغ فجر ذاك اليوم المشؤوم. وبزوغ الخيوط الأولى لفجر العاشر من المحرم سنة ٦١ للهجرة الشريفة توضع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وصلّى بهم صلاة الصبح. وقام فلبس درعه وهو درع رسول الله صلى الله عليه وآله وتعمّم بعمامته صلى الله عليه وآله

وتسمى السحاب.

وتقلد سيف أبيه عليه السلام سيف الله ذو الفقار. وراح يراقب التعبئة العامة للجند وذلك حسب الخطة الموضوعة، بعد أن قال لهم:

أن الله أذن لهم في قتلكم فعليكم بالصبر^(١).

وكانوا كما يروي الإمام الباقر عليه السلام خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل وهي أكبر الروايات تقريباً في العدد إلا أن هناك روايات تقول أنهم كانوا ٣٢ فارس و٤٠ راجل أو ٨٠ راجل.

- فوقفت الميمنة وكان قائدها البطل زهير بن القين.

- ووقفت الميسرة وكان قائدها البطل حبيب بن مظاهر.

- ووقف أهل البيت عليهم السلام والهاشميين في القلب. وكان قائدهم الإمام الحسين عليه السلام شخصياً وهو القائد العام.

- ووقف أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام كالطود الشامخ والأسد الباسل رافعاً راية الحق.

وأمر الإمام الحسين عليه السلام غلمانة بايقاد النار في الحشيش وتوابعه التي وضعت في الخندق حول المعسكر فحالت بين القوم ودخولهم معسكر الإمام الحسين عليه السلام إلا من الباب الرئيسي الذي حدده الإمام الحسين عليه السلام ولم يستطع أحد الدخول على المعسكر إلا بعد قتل جميع القوات الحسينية المباركة. وبذلك أصبح الإمام الحسين عليه السلام جاهزاً للمعركة ١٠٠٪ مئة في المئة.

ودعا براحلته فركبها ونزل إلى ساحة المعركة. وراح ينادي بهم بصوت عالٍ يسمعه الجميع. فخطبهم وحذرهم وأنذرهم ولكن لا يحبون الناصحين. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) الأسرار الحسينية ص ٣٧٠، الإرشاد للمفيد: ص ٢٣٣.

عمر بن سعد لعنه الله

ومعركته اللعينة كانت هجومية غاشمة وظالمة وغير منتظمة في معظم مراحل المعركة وذلك من إعلان التعبئة العامة في الكوفة من قبل أميرها عبيد اللات بن زياد.

وحتى يوم العاشر من المحرم الحرام. وكما دافع الإمام الحسين عليه السلام عن الرسالة، والنفس، والعرض، والمال. فقد (هاجم) هذا الغشوم. ولي الله. وقتل الأنفس المحترمة. وانتَهك الأعراض الزاكية لعقائل الوحي والرسالة. وانتَهَب المال وكل ما حمل الإمام الحسين وأصحابه عليهم السلام. وكل هذه الأفعال هي محرمة تحريماً قطعياً. شرعاً، وعقلاً، وإنسانياً، وقانونياً.

وحتى عرفياً. فلم يبالي ابن سعد وجيشه بكل هذه الأمور ظلماً وعدواناً. ١. فالهجوم على ولي الله وابن وليه عليه السلام وأولى الناس بالناس. أولى منهم من أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم. فالإمام الحسين عليه السلام هو إمام مفترض الطاعة وطاعته من طاعة الله ومعصيته تؤدي بصاحبها إلى الجحيم وبئس الورد المورد. ويزيدو عبيد اللات بن زياد وعمر بن سعد عليهم من الله ما يستحقون وهم طغات جبارون ومفسدون في الأرض.

وسراق، ولصوص، ومغتصبون. وحربهم واجب وانتزاعهم من الحكم مطلوب ومحسوب.

فأين هؤلاء الطفلة والبغاة من ذاك الإمام العظيم المظلوم؟ ورغم ذلك هجموا عليه وقتلوه. وبئسما فعلوا ويا ويلهم من افعالهم الشنيعة في يوم الحساب العظيم.

٢. هاجموا صحابة كرام، علماء، حكماء، فقهاء، قرّاء، حكماء. ومن الفقاهة والنزاهة والتقى يكادوا أن يكونوا أنبياء. حتى قضوا شهداء سعداء عند ربهم يرزقون.

فقتلوا هذه النفوس الزكية، وسفكوا تلك الدماء الطاهرة بغير حق. ﴿مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

هذا بالنسبة لعامة القتل. وأي قتل. فما أدراك بمن
قتل خير من يمشي على قدم.

أو من يستنشق الهواء في الوجود عندئذ. مَنْ
كالإمام الحسين عليه السلام؟

وَمَنْ كأبناء علي بن أبي طالب عليهم السلام وأبناء
الحسن والحسين وجعفر؟

وَمَنْ كحبيب بن ظاهر. أو مسلم بن عوسجة. أو
بُرَيْر؟

بل مَنْ كجون وبقية الخدم والعبيد؟

ولكن قتلوا الجميع لا أنالهم الله شفاعة الشفيع.

٣. وهجموا على الخيام. وهيجوا النساء ورؤعوا الأطفال. وإنتهكوا الحرمات. وأية.

حرمات؟ حرمات علي والحسين وجعفر. حرمات رسول الله ﷺ.

زينب الكبرى. وأم كلثوم. وفاطمة. وسكينة. والرباب. وغيرهن من الحرائر

والكريمات. لهفي لهن ما أعظمها من مصيبة. وأشنعها من رزية. لهفي لزينب

وفاطمة عليهما السلام الذي ناغاها جدها رسول الله ﷺ.

وأرضعتها سيدة النساء. عليها السلام وعلمها أمير المؤمنين علي عليه السلام وحماها

الحسن والحسين وكفلها البطل أبو الفضل العباس عليه السلام وبقية البدور السواطع.

والأنوار اللوامع.

لهفي عليها. وقد أظلمت الدنيا. وأصبحت تساق سوق الأسارى كالترك

والديلم في أمة تدعى الإنتساب إلى جدها العظيم محمد ﷺ.

ورغم كل هذا فعلوا ما فعلوا وعلى الله حسابهم بما فعلوا وبئس ما كانوا

يفعلون.

٤. وهجموا للنهب والسرقة وإستلاب الأموال، وسلب الأجساد الطاهرة المعظمة التي تناثرت على تراب كربلاء التي زكت بهم وتطهرت وتقدست عندما شربت دماءهم الزاكية.

حتى يروي أصحاب التواريخ. أن أحدهم أتى إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام وأراد أن ينتزع أقراطها وخلخيلها وهي تستجير بالله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي بكاء شديداً.

فتسأله ما يبكيك أيها اللعين؟ فيقول لها. أبكي على ما يجري عليكم أهل البيت.

من تخويف وتعذيب ونهب. فتقول له: متعجبة إذن لماذا تفعل هذا بنا يا تعيس؟

فيقول: إذا لم آخذه أنا فسوف يأخذه غيره.

إنظر إلى هذا المنطق الغريب. وإلى هذا الموقف العجيب.

وفعلوا الكثير والشديد. ولكن نار جهنم أشد حراً وساء سبيلاً.

والسؤال كيف نظم عمر بن سعد جيشه وما هو قراره؟

إن تنظيم وتنفيذ المعركة الهجومية يختلف اختلافاً شبيهاً كلياً عن المعركة الدفاعية وباعتبار أن عمر بن سعد (عنه الله) كان مهاجماً ظالماً. فقد كان من الضروري التعرّيج وبشكل سريع لمعرفة التحضيرات الهجومية بشيء من التفصيل من الوجهة العسكرية الحديثة والقديمة.

تنظيم المعركة الهجومية

وكما أوضحنا أن في العلم العسكري الحديث هناك عدد من النقاط على القائد مراعاتها وتسلسلها عندما ينظم معركته أيّاً كان نوعها.

١. تفهم المهمة: عندما إستلم عمر بن سعد مهمته القتالية من أميره عبيد اللات بن زياد والتي تتمثل بالتحضير والخروج لقتال وقتل الإمام الحسين عليه السلام ووعدته بولاية الرّي وبالكثير من الأموال. فخرج من عنده متفكراً بهذه المهمة

القيادية الشاقة والتي ثمنها غاليا جداً في الدنيا إنها ولاية الرّي ومخزياً في الآخرة وهي الخلود في نار جهنم وبئس المصير.

فاختار الدنيا وملك الرّي. وحدّد النقاط الضرورية من تفهم المهمة.

أ. هدف الاعمال القتالية: إغتيال وقتل رسالة الاسلام.

ب. مهمة الوحدات والجند: سحق وقتل كل من كان مع الإمام الحسين عليه السلام وقتله شخصياً والعياذ بالله.

ج. وقت الجاهزية: اليوم والساعة التي يحددها الأمير القائد.

٢. حساب الوقت. كان عبيد اللّات بن زياد في تسابق مع الزمن حين أمره

الحاكم الأموي يزيد على الكوفة مع البصرة وأمره بالإسراع إليها قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام إليها.

وبالفعل سارع إلى الكوفة. ودخلها على حين غرة. واتخذ كامل الإجراءات

الإرهابية لقمع المعارضة، وتجنيد الجيش لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام خارج الكوفة.

وعند التجمع في أرض كربلاء. إستغرقت التحضيرات قرابة ثمانية أيام تجمع

خلالها أكثر من ٣٠ ألف مقاتل بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص حتى صباح العاشر من المحرم الحرام.

٣. التعليمات الأولية. التعليمات واضحة لدى الجميع: قتل وإبادة هذه الباقية

العطرة من أهل البيت الكرام. وأخذهم أسارى إلى ابن زياد وهذا لن يحدث طبعاً.

٤. تقدير الموقف. لتقدير الموقف أهمية بالغة بالنسبة للفريق المهاجم لذلك

يعتمد على الدقة في ذلك. وفقرات تقدير الموقف هي.

أ. العدو: لابن سعد وجيشه كآل الله. ورسوله ﷺ والإمام الحسين عليه السلام

وجيشه الميمون.

وهم أقلاء العدد. بسطاء العدد. مجموعين في بقعة صغيرة من كربلاء..

ب. الصديق: كان جيش ابن سعد قادراً على أن يقاتل دولة الفرس أو الروم في

ذلك الوقت كثير العدد. قوي العدد. كامل البنيان. باهظ التكلفة.

واسع التأمين. عميق التأثير.

ج. الأرض: كربلاء. فلن تعيق قواته في شيء مهما فعل الإمام الحسين عليه السلام.
من تحصين.

د. الفصل والطقس. فصل الصيف الحار. إلا أن الفرات كان يلطف الجو ويسمح بالسقاية والسباحة لكامل الجند وبكل يسر وسهولة. فلا تأثير عليه وجيشه من الفصل والطقس مطلقاً.

وتأثيرات كل هذه على جند الامام الحسين عليه السلام عكسية تماماً وقد تقدم تفصيلها.

هـ. الإستطلاع الشخصي. لم ينفذه عمر بن سعد لعدم حاجته إليه. ففي كل ناحية من نواحي كربلاء كان له فيها جند، وعيونه الموثوقة تأتيه بالأخبار التي يريد فلا داعي للتعب من قبله.

٦. اتخاذ القرار: وهذا خلاصة تنظيم المعركة وفقراتها في الهجوم هي.

١. فكرة المعركة: وتقسم الى ثلاثة محاور أساسية:

أ. إتجاه العدو: الامام الحسين عليه السلام جنوب غرب المعسكر ويجب تركيز الجهود على ألا يخرج منهم أحداً حياً.

ب. تسلسل تدمير العدو. يجب تدمير جيش الإمام الحسين عليه السلام كيف كان وبأي طريقة كانت دون تسلسل معين.

ج. ترتيب القتال. على شكل دائري بالعرض. وخماسياً بالأساس.

❖ الميمنة. بقيادة عمر بن الحجاج.

❖ الميسرة. بقيادة شمر بن ذي الجوش.

❖ الخيالة. بقيادة عروة بن قيس.

❖ اللواء البأس مع دريد مولى عمر بن سعد بن أبي وقاص.

٢. المهام القتالية للوحدات. سحق وإبادة كل من في جيش الإمام الحسين عليه السلام.

دون تخصيص ودون ترتيب.

٣. نظام التعاون: والتأمين لن تستغرق المعركة سوى سويقات فلا حاجة لذكر

مثل هذا رغم الاحتياطي الكبير. والتأمينات الهائلة للجيش الظالم.

٤. تنظيم القيادة. حسب ما ورد بتقسيم الجيش أعلاه. وهناك بعض التفاصيل ربما نوردها فيما بعد. والإتصال شفها أو كتابياً عن طريق الشخص بالذات أو المراسلين الدهاة.

وبعد تنظيم المعركة هناك فقرة مهمة هي. أمر القتال. وربما ورد بعض النقاط عنه في تنظيم المعركة من قبل الإمام الحسين عليه السلام ولاداعي لتكرارها هنا.

٧. أمر القتال: بالنسبة لابن سعد كان ليس بحاجة إلى إعطاء مثل هذا الأمر إلا أن يضع في قوسه سهماً ويرمي به جيش الإمام الحسين عليه السلام ويقول لهم: اشهدوا له عند الأمير أنه أول من رمى^(١).

وهي كانت إشارة أو أمر بدء الهجوم.

التحضير للمعركة (الهجومية).

ومن لحظة وصول عبيد اللآت بن زياد إلى الكوفة راح يحضر للمعركة ضد الإمام الحسين عليه السلام وبشكل جدّي وصارم ودون إستهتار. إلا أن التحضير كان لا بدّ من ثلاثة تحضيرات.

١. تحضير الأفراد.

ويتألف من.

أ. الإستكمال بالعناصر.

ب. تدريب العناصر لخلق الإنسجام بينهم.

ج. تدريب الكوادر القيادية للقوات.

٢. تحضير السلاح والعناد الحربي.

٣. تحضير منطقة الإنطلاق وساحة المعركة.

وستتناول بعض النقاط المهمة في هذه التحضيرات الخبيثة من قبل ابن زياد،

وابن سعد وبعض التجهيزات الوارد ذكرها في كتب التاريخ.

(١) الأسرار الحسينية : ص ٣٨٨.

١. تحضير الأفراد. وهذا كان أكبر الهم. لأن العدد هو العامل الحاسم في المعركة قديماً. بالإضافة إلى الشجاعة والصبر والجلد عند المقاتلين.

٢. الإستكمال بالعناصر: يروي التاريخ أن عدد سكان الكوفة في ذلك العصر كان ما يقارب ٢ مليون نسمة وقرأت في بعض الكتب أنه كان زهاء ٤ مليون نسمة وإعلان التعبئة العامة كما هو معروف عند تعرض أي بلد للعدوان والخطر فهو يعلن حالة الطوارئ ويجند كل من يستطيع حمل السلاح وكذلك فعل عبيد اللات ابن زياد إعلان حالة النفير العام في الكوفة وكل من لم يخرج إلى حرب الإمام الحسين عليه السلام وهو قادر على حمل السلاح فقد خان الأمير. ويستحق العقاب الشديد ألا وهو السيف لأن مخالفة الأمير خيانة عظيمة، وخيانة الله ورسوله مسألة فيها نظر.

وكلما تجمع إليه عدد لا بأس به كان يضع عليه أحد قواده وممن يثق بهم أنهم لا يخونوا إلا الله ورسوله ﷺ ويبعث بهم إلى لقاء الامام الحسين عليه السلام فجمع ابن زياد الناس في مسجد الكوفة وخطبهم وحثهم على قتال الامام الحسين عليه السلام وخوفهم من جيش الشام. وأرهبهم وواعد المتخلف بالحسام. وزاد في عطاء المؤتمرين بأمره فراح الناس يسرعون خوفاً وطمعاً إلى حرب الإمام الحسين عليه السلام والعياذ بالله.

❖ فخرج الشمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف.

❖ ويزيد بن الركاب في ألفين.

❖ والحصين بن النمير التميمي في أربعة آلاف.

❖ وشبث بن ربعي في ألف.

❖ وكعب بن طلحة في ثلاثة آلاف.

❖ وحجار بن إبحر في ألف.

❖ ومضامر بن رهينة المازني في ثلاثة آلاف.

❖ ونصر بن خشة في ألفين.

فتكامل عند ابن سعد في السادس من المحرم

أكثر من عشرين ألف مقاتل بكامل سلاحه وعتاده
وعدته.

ولم يزل ابن زياد يجهز العساكر ويرسلها إلى ابن
سعد حتى زاد عنده في العاشر من المحرم على
ثلاثين ألف مقاتل مُدجج بالسلاح..

وهناك روايات تقول: بأن الجند الذين أعدهم عمر بن سعد ينوف على نصف
مليون مقاتل أرسل منهم حوالي مئة ألف إلى كربلاء وصل منهم وإشترك في
المعركة ما يزيد على ثلاثين ألف فقط لا غير.

ولهذا في العلم العسكري والتعبئة العسكرية وارد جداً. لأنه يقول لك:
بان ثلث عدد السكان يمكن تجنيده عند الأزمات
قديماً وحديثاً..

فإذا كان عدد سكان الكوفة ٢ مليون. فنصف مليون مقاتل قليل عند التعبئة.
أما إذا كان عددهم ٤ مليون. فنصف مليون أقل من القليل بحيث لا تشكل
أكثر من الثمن من عدد السكان. بل يجب أن يجند أقل شيء مليون وربع المليون
من المقاتلين. هذا قديماً. أما في الوقت الراهن فإنه يمكن تجنيد أكثر من نصف
أو ثلثي عدد السكان عند التعبئة العامة لأن النساء والشباب والشيوخ يمكن أن
يجندوا حالياً.

إذن استكمل ابن زياد كل ما يريد أن يجمعه من مقاتلي الكوفة وأرسلهم إلى
ساحة المعركة وفي مواجهة الإمام الحسين عليه السلام.

٢. تدريب المقاتلين. كان سمة العرب عامة التدريب على السلاح منذ نعومة
الأظافر وذلك لحاجتهم لذلك. فالجيش الأموي كان متدرّباً تدريباً عالياً.

٣. تدريب الكوادر القيادية. فقد اختارها ابن زياد لتكون على شاكلته بالحقارة
والدناءة وخبث المولد. فكانوا أحقر خلق الله وأشدّهم كفراً على وجه الأرض.

عمر بن سعد، شبث بن ربعي، وشمر بن ذي الجوشن، عمر بن الحجاج.
وغيرهم من هؤلاء الشلة الساقطين. إلا أنهم كانوا جفاة غلاظ. قساة فظاظ. لا يفقهون

قولاً، ولا يعرفون رباً، ولا نبياً، ولا إماماً. وبئس الرجال كانوا.

٢. تحضير الأسلحة والأعتدة. فقد كانت متواجدة في كل بيت وسلاح كل رجل كان عنده سيفه، ورمحه، وقوسه، ودرعه. أما الذين لا يملكون المركوب فكان يجندهم ويدفعهم سيراً على الأقدام.

٣. تحضير منطقة المعركة. لم يجر أي تعديلات أو تحسينات أو تحصينات على أرض المعركة. لأنه .. ابن سعد - لم يكن بحاجة لذلك أبداً. إلا أنه إتخذ بعض الإجراءات الضاغطة والساقطة من أجل الضغط على المعسكر الحسيني كمنعهم من الماء.

فهذه مجمل التحضيرات التي إتخذها عمر بن سعد وأميره ابن زياد من أجل محاربة الإمام الحسين عليه السلام على أرض كربلاء. وقتلهم بتلك الطريقة التي لم يحدث التاريخ أبشع وأشنع منها أبداً.

وفي صباح عاشوراء (تحضيرات ابن سعد).

وقف جيش جرار ملاً الخافقين. حتى تحسب أنه قد سدّ ما بين المشرقين. هدفه إبادة الإسلام. وغايته قتل الإمام الحسين عليه السلام - والعياذ بالله - ومن معه. نهض عمر بن سعد القائد الأعلى لجند الطغاة متثاقلاً متكاسلاً وربما مسّه الشيطان إلا أنه ما إن ذكر ولاية الرّي حتى ثار ورغى فصار كجمل حاقد صرخ بالجيش للنهوض وأمام الحسين عليه السلام أمرهم بالوقوف. وعبأهم على الشكل التالي.

❖ الميمنة: بقيادة عمر بن الحجاج أمام ميسرة جيش الامام الحسين عليه السلام بقيادة حبيب بن مظاهر (رضي الله عنه).

❖ الميسرة: بقيادة شمر بن ذي الجوشن أمام ميمنة جيش الامام الحسين عليه السلام بقيادة زهير بن القين (رضي الله عنه).

❖ القلب: بقيادته مباشرة عمر بن سعد أمام كتيبة القلب في جيش الامام بقيادته شخصياً عليه السلام

- ❖ وعلى الخيل: عروة بن قيس.
- ❖ وعلى الرجال: شيب بن ربعي.
- ❖ واللواء الخبيث: مع دريد مولى عمر بن سعد مقابل راية الإمام الحسين عليه السلام التي كانت مع أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام.
- ❖ وأوقف الإمام الحسين عليه السلام الزاحفين ونصحهم وذكرهم بالله وبرسول الله ﷺ بخطبتين رائعتين لم يحدث التاريخ عن مثلهما بمثل موقفهما العصيب.
- وأوقف عمر بن سعد بن أبي وقاص الزاحفين. لا لينصحهم. بل ليُشهدهم على أنه أول من يرمي سهماً إلى جند الله، وباتجاه ولي الله. فوضع سهماً في كبد قوسه ورماه باتجاه جيش الإمام الحسين عليه السلام قائلاً.
- إشهدوا لي عند الإمبر أني أول من رميت.
- تصوروا على ماذا يستشهد أكثر من ثلاثين ألف إنسان على مثل هذه الفعلة الشنيعة. ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].
- ورسول الله ﷺ يقول: إذا فعلتم المعاصي فاستتروا.
- وهذا الخبيث. يستشهد كل هؤلاء على فعلته التي هي من أكبر المعاصي وأعظم المخازي الذي تحدث عنها التاريخ القديم والحديث. ولكن إذا أعمى الله سبحانه بصيرة إنسان فلا شك أنه يفعل أكثر من هذا بكثير.
- فقتل الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه الكرام في ساحة المعركة أسهل بكثير من قتل أبيه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في المحراب من أجل بغي من البغايا. وكذلك قطع راس يحيى بن زكريا عليه السلام وإهدائه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. والعياذ بالله.
- لكن ولكن. واللعة على لكن التي لا يستغني عنها كلام. كما قيل.
- وهكذا. أول من رمى الحق والدين بسهم من سهام الباطل هو القائد الأعلى لقوات الغدر والخيانة. عمر بن سعد بن أبي وقاص. وكانت بعدها الحملة الأولى كما تسمى في التاريخ وهي تشبه الصدمة كما تسمى في الحروب الحديثة.

خاتمة الباب الأول

وهكذا وصلنا إلى نهاية الدبلوماسية: والتي
تعني الحرب بلغة الحوار والكلام والتفاوض.
وإلى بداية الحرب الحقيقية: والتي تعني فيما
تعنيه إشتباك الأسلحة، وضرب السيوف، وطعن
الرماح، ورمي السهام. إلى بقية الألفاظ المعتادة
في أساليب الحرب القديمة.

وصلنا إلى نقطة الفصل بين قوم عموا وصموا فهم كالأنعام بل هم أضلُّ
سبيلاً باعوا أنفسهم إلى الشيطان والسلطان وإلى الدنيا وإلى ابن زياد فما ربحت
تجارتهم.

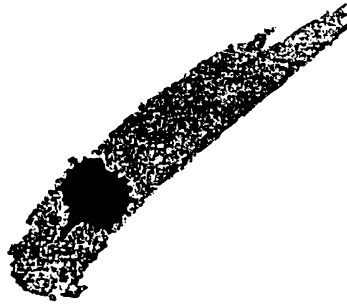
وقوم نفذت بصائرهم ورأوا أماكنهم في الجنة فراحوا يتسابقون إليها
ويتنافسون مَنْ تكون قتلته أشد وآلم له لتكون درجته أرفع من أخيه. فباعوا
أنفسهم، وأهليهم إلى الله فربحت تجارتهم وهم في الآخرة من المخلدين في
جنان النعيم.

وصلنا إلى نقطة إلتقاء الإمام الحسين عليه السلام والحق. كل الحق..

مع عمر بن سعد والباطل. كل الباطل..

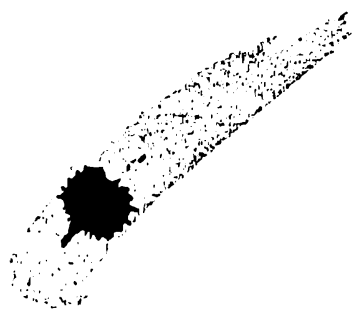
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

الباب الثاني: خوض المعركة



اوه...ما لنا ولآل أبي سفيان؟
ما لي ولآل حرب، حزب الشيطان،
وأولياء الكفر والطغيان،
صبراً يا ابا عبد الله، فقد
لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم..
الإمام علي عليه السلام

الفصل الأول: يوم عاشوراء الدامي



لا يوماً كيومك يا أبا عبد الله...

يهجم عليك ثلاثون ألفاً يدعون أنهم

من أمة جدنا وينتحلون دين الإسلام.

الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)

خوض المعركة على تراب كربلاء.

في صباح يوم العاشر من المحرم الحرام،
وعند طلوع الشمس الصيفية الحارقة لصحراء
كربلاء. ومع أشعتها الدافئة عند الطلوع راح
الإمام الحسين عليه السلام ينثر حكمه ونصائحه على
تلك الجموع التي تتسابق إلى هلاكها في الدنيا
والآخرة. وراح عمر بن سعد وقادته وجيشه ينفث
سمومه وشتائمهم على جند الإمام الحسين عليه السلام
أولئك الرجال الذي قل أن يجود الزمان بمثلهم
بالمناقبات والقيم الفاضلة.

وهذا ليس فيه غرو. فكل إناء بالذي فيه ينضح.
فالإمام الحسين عليه السلام هو ابن باب مدينة العلم الإلهي حيث قال عليه السلام: أنا
مدينة العلم وعلي بابها^(١). فهو لب الحكمة وأسها العميق في ذلك الزمن السحيق.
والتاريخ سطر بأحرف من نور كلمات الإمام الحسين عليه السلام الذي كتبها بأحرف
من دم على تراب كربلاء.

ومن هذه الكلمات النورانية. ومن هذه المواقف البطولية التي سطرها التاريخ.
أن الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الصباح وبعد الصلاة والدعاء وقف ونظر إلى
أعدائه وجموعهم وكأنه السيل رفع يديه إلى السماء بالدعاء قائلاً.

(١) الصواعق المحرقة الحديث التاسع فضائل الإمام علي عليه السلام.

اللهم أنت ثقتي في كل كرب. ورجائي في كل
شدة. وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة.
كم من همٍ يضعف فيه الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلة،
ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته
بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك،
فكشفته. وفرّجته. فأنت ولي كل نعمة ومنتهي كل
رغبة. ^(١)

ثم أراد عليه السلام أن يقيم الحجة - وهي قائمة بلا شك - على الجميع
فدعا براحلته (فرسه أو جملته) فركبها ووقف بين الصّفين ونادى بصوت عال
يسمعه جلّهم:

أيها الناس إسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم
بما هو حق لكم عليّ. وحتى أعتذر إليكم من
مقدمي عليكم. فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي،
وأعطيتموني النصف (الإنصاف) من أنفسكم
كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل. وإن لم
تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم
﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ
عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:
٧١] ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهَ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا فَجَعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ
وَزَوَالٍ مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَالْمَغْرُورُ
مَنْ غَرَّتْهُ وَالشَّقِيّ مَنْ فَتَنَتْهُ فَلَا تُغَرَّنَكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا

(١) الخامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٥ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٣٣ خطب الإمام عليه السلام ص ١٩٦ عن مقتل
المقرم ص ٢٧٧

فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا وَتُخَيِّبُ طَمَعَ
مَنْ طَمَعَ فِيهَا وَأَرَاكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرِ
قَدْ أَسْخَطْتُمُ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ
الْكَرِيمِ عَنْكُمْ وَأَحْلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ
فَنِعَمَ الرَّبُّ رَبُّنَا وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ أَقْرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ
وَأَمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى
ذُرِّيَّتِهِ وَعِثْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ
الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَتَبَّ لَكُمْ وَلِمَا
تُرِيدُونَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا
بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

فَقَالَ عُمَرُ وَيْلَكُمْ كَلَّمُوهُ فَإِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ وَاللَّهِ لَوْ وَقَفَ فِيكُمْ هَكَذَا يَوْمًا جَدِيدًا
لَمَا انْقَطَعَ وَلَمَّا حُصِرَ.
فَكَلَّمُوهُ فَتَقَدَّمَ شِمْرٌ لَعَنَهُ اللَّهُ فَقَالَ يَا حُسَيْنُ مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ أَفْهَمْنَا حَتَّى
نَفْهَمَ؟

فَقَالَ: أَقُولُ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَلَا تَقْتُلُونِي فَإِنَّهُ لَا
يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَلَا انْتِهَاكُ حُرْمَتِي فَإِنِّي ابْنُ بِنْتِ
نَبِيِّكُمْ وَجَدَّتِي خَدِيجَةُ زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ وَلَعَلَّهُ قَدْ
بَلَغَكُمْ قَوْلُ نَبِيِّكُمُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَا شَبَابِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ^(١).

ثم قال الإمام عليه السلام:

أيها الناس إنسبوني مَنْ أنا. ثم إرجعوا الى أنفسكم وعاتبوها وإنظروا هل يحلُّ لكم قتلي وإنتهاك حرمتي؟

ألست ابن بنت نبيكم؟ وابن وصيه وابن عمه، وابن أول المؤمنين بالله والمصدق لرسول الله ﷺ وبما جاء به من عنده؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟

أو ليس جعفر الطيار عمي؟ أولم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة.

فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق فوالله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضربه من إخلقه. وإن كذبتُموني فإن فيكم مَنْ إن سألتُموه عن ذلك أخبركم.. سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري وسهيل بن سعد الساعدي والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك.

يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي.

أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ ثم قال الإمام الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكُّون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم.

ويحكم إيتطلبوني بقتل فيكم قتلته. أو بمال لكم
إستهلكته. أو بقصاص من جراحة؟
فلم يكلموه أبداً وكان على رؤوسهم الطير.
ثم نادى. يا شبيب بن ربعي، ويا حجار بن أبجر،
ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث. ألم
تكتبوا إلي أن أقدم فقد أينعت الثمار وإخضر
الجناب وإنما تقد على جند لك مجندة؟
فقالوا: لم نفعل.

قال ﷺ: سبحان الله. بلى والله لقد فعلتم.
ثم قال ﷺ: أيها الناس إذا كرهتموني أنصرف
عنكم إلى ما أمني من الأرض.
فقال له قيس بن الأشعث: ما ندرى ما تقول. ولكن
إنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يروك إلا ما
تحب ولن يصل إليك منهم مكروه.
فقال له الإمام الحسين ﷺ: أنت أخو أخيك.
أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن
عقيل؟ لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل
ولا أفرار العبيد.

أو «أقر إقرار العبيد» ثم نادى ﷺ ﴿وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠]
(أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب).^(١)

وبعد هذا البيان الواضح والرائع من الإمام
الحسين ﷺ الذي لا يبقى على حجة لأي

كان.. فقال له شمر بن ذي الجوش (لعنه الله): «يا حسين بن علي عليه السلام أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ما تقول.» مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]

الله. الله. قائد المسيرة في كربلاء. وقائد لأربعة آلاف عند الخروج من الكوفة والمرشح للقيادة العامة عوضاً عن ابن سعد. لا يفهم كلام الإمام الحسين عليه السلام على وضوحه وحجته. إنظر. وإقرأ، وأسمع وما أراك الدهر عجباً. ألم أقل بأنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولا يفقهون حديثاً.

الله. الله. مثل هذا الأبله البليد يقاتل ويناجز ويقتل الإمام الحسين عليه السلام إلا أن سماحة وخلق الإمام الحسين عليه السلام جعلته يسكت عن هذا لأنه قائد من قادتهم وهذا شأنه فكيف هي حالة جنده؟ فقال له حبيب بن مظاهر (رضي الله عنه):

يا عدو الله وعدو رسوله. إني لأظنك تعبد الله على سبعين حرفاً (أي تائهاً في طرق الضلال ولا يهتدي إلى الحق سبيلاً). وأنا أشهد أنك لا تدري ما يقول فإن الله تبارك وتعالى قد طبع على قلبك.

فقال الإمام الحسين عليه السلام لحبيب بن مظاهر:

حسبك كفاك يا أخا بني أسد فقد قضى القضاء وجف القلم والله بالغ أمره. والله إني لأشوق إلى جدي، وأبي، وأمي، وأخي، وأسلافي من يعقوب إلى يوسف وأخيه ولي مصرع أنا لاقيه.

وعندئذ خرج إلى بين الصّفين البطل الكبير زهير بن القين على فرسه وهو لابس لامة حربيه ومتهيئاً للقتال فقال:

يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله. إن حقا

على المسلم نصيحة أخيه المسلم. ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف. وأنتم للنصيحة منا أهل فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة.

إن الله إبتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون.. إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية وعبيد الله بن زياد فإنكم لا تدرون منهما إلا سوء عمر سلطانهما ليسلمان أعينكم، ويقطعان أيديكم، وأرجلكم، ويمثلان بكم ويرفعانكم

على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقرائكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانيء بن عروة وأشباهه.

عندئذ سبوه - لزهير وهو ينصحهم - وأنثوا على ابن النابغة عبيد اللات بن زياد ودعوا له وقالوا له لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد اللات بن زياد سلماً.

فقال زهير (رضي): عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من بن سمية فإن لم تنصروهم فأعيزكم بالله أن تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد فلمعمرى إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام.

عند ذلك أخرج الشمر اللعين سهماً من كنانته ورمى به زهير العظيم وقال له: إسكت إسكت الله نأمتك (أي صوتك) أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال له زهير: بابن البوال على عقبه ما إياك
أخاطب إنما أنت بهيمة. واللّه ما أظنك تحكم
من كتاب اللّه آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة
والعذاب الأليم.

فقال له الشمر اللعين: إن اللّه قاتلك وصاحبك
عن ساعة.

فقال له زهير (رضي اللّه عنه) أقبال موت تخوفني.
واللّه للموت معه أحبّ إلى من الخلد معكم.
وأقبل على أهل الكوفة رافعاً صوته قائلاً: عباد
اللّه لا يفرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي
وأشباهه فواللّه لا تنال شفاعته محمد ﷺ قوماً
أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم
وذبح عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه أن أبا عبد اللّه
الحسين عليه السلام يقول لك: أقبل فلعمري لئن كان
مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء فلقد
نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ.

فعاد زهير بن القين البطل إلى معسكر الإمام
الحسين عليه السلام فأشار عليه السلام إلى بربر وقال له:
كلم القوم يا بربر وإنصحهم. وبربر كان من القراء
الكرام لكتاب اللّه العظيم.

فتقدم بربر حتى وقف قريباً من القوم، والقوم قد
زحفوا إليه عن بكرة أبيهم.

ونادى: يا معشر الناس إن اللّه بعث محمد ﷺ
بشيراً ونذيراً إلى اللّه وسراجاً منيراً. وهذا ما

الفرات تقع فيه خنازير السَّوَادِ وكلابه وقد حيل
بينه وبين ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)
وآله، أفجزاء محمد هذا؟؟؟

فقالوا: يا برير قد أكثرت الكلام فكف عنا
فوالله ليعطش الحسين عليه السلام كما عطش من
كان قبله.

فقال لهم برير: يا هؤلاء اتقوا الله فان ثقل
محمد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين أظهركم هؤلاء ذريته،
وعترته، وبناته، وحرمة فهاتوا ما عندكم ومالذي
تريدون أن تصنعوا بهم؟

فقالوا: نريد أن نمكّن منهم الأمير عبيد الآت بن
زياد فيري رأيه فيهم.

فقال برير (رضي الله عنه): أفلا ترضون منهم أن
يرجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه؟

ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم إليه عهودكم
التي أعطيتموها من أنفسكم وأشهدتم الله عليها
وكفى بالله شهيدا. ويلكم دعوتهم أهل بيت نبيكم
وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم من دونهم حتى
إذا أتوكم أسلمتموهم لعبيد الآت وحلائموهم
(أي طردتموهم ومنعتموهم) عن ماء الفرات
الجاري وهو مبذول يشرب منه اليهود والنصارى
والمجوس وترده الكلاب والخنازير بشما خلفتم
محمد صلى الله عليه وآله في ذريته مالكم لا سقاكم الله يوم
القيامة فبئس القوم أنتم؟؟؟

فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندري ما تقول.

فقال برير: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة.
اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء القوم. اللهم
ألقي بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم
غضبان.

ورأى حوايرمونه بالسهم وهم يتقدمون وهو يتراجع
إلى معسكر الإمام عليه السلام وعند ذلك تقدم الإمام
الحسين عليه السلام على فرسه أو بعيره. فاستنصتهم
فأبوا أن ينصتوا حتى قال لهم: ويلكم ما عليكم أن
تنصتوا لي فتسمعوا قولي وإنما أدعوكم إلى سبيل
الرّشاد فمن أطاعني كان من المرشدين ومن
عصاني كان من المهلكين. وكلم عاص لأمري
غير قولي فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع
على قلوبكم. ويلكم ألا تنصتون ألا تسمعون.
فتلاوم القوم (أصحاب عمر بن سعد) فيما بينهم
فقالوا: أنصتوا له.

فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو له وصلى
على محمد صلوات الله عليه وعلى الملائكة والأنبياء
والرسل وأبلغ في المقال ثم قال عليه السلام.

تباً لكم أيها الجماعة وترحاً. أحين إستصرختمونا
والهين متحيرين فأصرخناكم موجفين مؤدين
مستعدين سللتم علينا سيفاً في رقبتنا لنا في
أيمانكم. وحششتهم علينا ناراً أججناها على
عدوكم وعدونا فأصبحتم إلّبا على أوليائكم ويداً
عليهم لأعدائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل
أصبح لكم فيهم إلّا الحرام من الدنيا أنالوكم

وخسيس عيش طمعتم فيه من غير حدث كان منّا
ولا رأي تفيل لنا.

فهلا لكم الويلات. إذ كرهتمونا. وتركتمونا.
تجهزتموها والسيف مشيم (لم يشهر) والجأش
طامن، والرأي لَمَّا يستحصف ولكن أسرعتم
إليها كطيرة الدُّبَا وتداعيتم إليها كتداعي الفراش.
فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب،
ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام،
ومحرّفي الكتاب ومطفئ السنن، وقتلة أولاد
الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء، وملحقين
العُهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصُراخ أئمة
المستهزئين الذين جعلوا القرآن عِضِينَ ولبئس ما
قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون.

وأنتم وابن حرب وأشياعه تعضدون وعناً
تخاذلون - أجل واللّه - الخذل فيكم معروف،
والغدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم،
وتآزرت عليه فروعكم، وثبتت عليه قلوبكم،
وغشيت صدوركم فكنتم أخبث ثمر شجاً
لِلناظر، وأكلة للغاصب ألا لعنة اللّه على
الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد
جعلتم اللّه عليكم كفيلاً فأنتم واللّه هم.
ألا وإن الدّعي بن الدّعي قد ركز بين اثنين السّلة
أو الدّلة.

وهيهات منّا الذلة يا بئى اللّه لنا ذلك ورسوله،
والؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت

وأنوف حميَّة، ونفوس أبيَّة لا تؤثر طاعة اللّثام
على مصارع الكرام. ألا قد أعذرت وأنذرت.
ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد والعتاد،
وكثرة العدو، وخذلان الناصر.

وتمثل بأبيات فروة بن مُسيك المرادي. وهي.

فإن نهزم فهزامون قدما
وإن نغلب فغير مغلبينا
وما أن طُبُّنا جبن ولكن
منايانا ودولة آخرينا
إذ مالموت رَفَع عن أناس
كلاكله أناخ بآخرينا
فافنى ذلكم سروات قومي
كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا
ولو بقي الكرام إذا بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا.

ثم قال عليه السلام أما واللّه لا تلبثون بعدها إلا كريث
ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرّحى
وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إلي أبي عن
جدي.

«فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم

عليهم غمة ثم افضوا الي ولا تنظرون.»

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا
هُوَ أَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[هود: ٥٦].

ورفع يديه (روحي هي فداه) داعياً إلى الله عليهم.
اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم
سنين كسني يوسف عليه السلام وسلط عليهم غلام
ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة ولا يدع فيهم أحداً إلا
قتله.

قتلة بقتلة. وضربة بضربة. ينتقم لي، ولأوليائي،
وأهل بيتي، وأشياعي منهم. فانهم غرؤونا وكذبونا
وأنت ربنا. «عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك
المصير»^(١)

وبهذا الدعاء المبارك أعلن الإمام الحسين عليه السلام نهاية المطاف بالنصح
والأرشاد لتلك الخُشب المسندة فعاد إلى جنده وأهله وقد أعلن قرارة بالحرب
والاستشهاد.

١. الصدمة

فعاد الإمام الحسين عليه السلام إلى المعسكر ليقود معركته الدفاعية - والدفاع
هو مسألة مشروعة وواجبة كما قدّمنا من عدّة إتجاهات - وهو من أنواع المعركة
والقتال، وحالة إضطرارية يهدف إلى صد هجوم معادي ظالم ومتفوق بالعدد
والعدّة ومحاولة تكبيده أفدح الخسائر، وقتل أكبر عدد من جنده، ومنعه من
التقدم بإتجاه المعسكر مادام هناك رجل أو فتى يلفظ أنفاسه الشريفة وهذا الذي
كان فعلاً.

وهجمت تلك الجموع الغبية الآثمة.

والهجوم: هو الشكل الأساسي للمعركة يهدف إلى سحق الطرف المقابل
خلال وقت قصير، والإستيلاء على أغراضه ومواقعه. وجوهر الهجوم قالوا: أنه

(١) الأسرار الحسينية ص ٣٧٩، وفي جميع كتب المقاتل ترى هذه الخطبة وما قبلها.

يتمثل في

١. التأثير الفعّال على تجمعات العدو بكافة أنواع الأسلحة.

٢. التقدم المندفع باتجاه العدو ونقتيله.

٣. الإستيلاء على الأغراض والثقل المرافق.

أما حديثاً فقالوا: أن الهجوم هو النوع الرئيسي للمعركة ولا يتحقق سحق العدو بشكل كامل إلا بالهجوم الحاسم والمنفذ بوتيرة عالية وسرعة كبيرة.

وهذا الذي كان من قبل جيش عمر بن سعد فقد

هجموا هجمة الجمل الحاقداً، أو الشور الهائج،

أو البغل الشامس، أو الكلب الكالب، أو الضبع

الجائع، أو اللثيم الحاسد الحاقداً الغادر. أو الجبان

المتمكن، أو الرّعد إذا إتكا على ركن شديد.

ومثل هذه الهجمة تسمى حديثاً (بالصدمة) والتي تعني:

أنها التقدم المندفع للقوات المهاجمة بغية سحق

العدو بشكل كامل أو أسره وإحتلال أغراضه.

وراحوا يرمون معسكر الإمام الحسين عليه السلام بسهام كالمطر فمات من رجل

منهم عليه السلام.

وإلا وأصابه سهم، أو أكثر وهجم القوم يضربون بالسيوف، ويطعنون

بالرماح، وجند الإمام البواسل يصدون، ويقتلون منهم الكثير ويدافعون دفاع

الأبطال الذي قل نظيرهم في التاريخ وهكذا ساعة من الزمن.

ورجع القوم إلى أماكنهم وهذا ما يسمونه في التاريخ (بالحملة الأولى)

ولم تنته إلا وقد قضت على ما ينوف على الخمسين رجلاً شهيداً من أصحاب

الإمام عليه السلام.

نعم لقد كان تأثير هذه الحملة (الصدمة) كبيرة جداً على جيش الإمام عليه السلام

فقد أفقدته أكثر من نصفه تقريباً والأسماء ستجدها في الملاحق والجداول.

٢. البراز والمبارزة

وهنا تبين الأبطال، وفي مثل هذه الظروف تتوضح المناقب والقيم، وتبرز الشجاعة ورباطة الجأش، وثبات الجنان.

فالشجاعة لا تتوضح إلا في ساحة الحرب، ولكنها تتوضح أكثر وأكثر في البراز الفردي فرجل لرجل، أو رجل لرجال. وفي هذه المعركة توضحت عيّنات قلّ نظيرها في التواريخ بالشجاعة، والبطولة، والسخاء بالدماء في سبيل العقيدة والمبدأ.

فبعد انحسار الحملة الأولى عن عسكر الإمام الحسين عليه السلام راح يتبارز القوم زرافات ووحدانا، ويقتلون ويقتلون حتى لم يبق أحد من جيش الإمام الحسين عليه السلام إلا أن الأصحاب الكرام أعطوا عهداً على أنفسهم ألا يبرز أحد من الهاشميين وواحداً منهم حيّ يرزق أبداً.

استشهاد الأصحاب.

ولما نظر من بقي من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كثرة من قتل منهم أخذوا يتنافسون في الشهادة بين يديه المباركتين فأخذ الرجالان، والثلاثة، والأربعة يستأذنون الإمام الحسين عليه السلام في الذبّ عنه والدفاع عن حرمة وكانوا يحمون بعضهم البعض من كيد العدو ويقاتلون حتى يذهبوا إلى الجنان ورضى الرحمن.

١. واول ثنائي برز إلى ساحة المعركة هما: الأخوان البطلان (سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد بن سريع) أخوان لأم برزا وهما يبيكان ووقفا أمام الإمام الحسين عليه السلام للإذن بذلك فقال لهما عليه السلام:

ما يبيكما أني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري

العين.

قالا: جعلنا الله فداك ما على أنفسنا نبكي، ولكن نبكي عليك نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن ننفعك.

فجزاهما الإمام الحسين عليه السلام خير.

فبرزوا وقاتلا قتال الأبطال قريباً من الإمام الحسين عليه السلام حتى استشهدا عليهما الرحمة والرضوان من الرب المَنَّان

٢. وجاء بعد استشهاد ابنا سريع إلى الإمام الحسين عليه السلام كل من (عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريان) فأستاذنا من الإمام بالبراز والقتال وراح كل منهما ليحمي أخيه إلى أن قتلا أمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام فعليهما الرحمة والرضوان من الرب الحنان.

٣. ومن ثم خرج للإذن بالقتال البطل المغوار مسلم بن عوسجة فأذن له من قبل الإمام الحسين عليه السلام ثم تابعه البطل (نافع بن هلال الجملي) وراحا يصولان ويجولان على ميمنة عسكر ابن سعد ويقتلان. فاكثرا القتل فيهم. فصاح قائد الميمنة الخبيثة وهو عمر بن الحجاج: ويلكم يا حمقاء مهلاً. أتدرون من تقاتلون؟

انما تقاتلون أهل المصر، وأهل البصائر وقوماً مستميتين لا يبرزن منكم أحد إلا قتلوه. والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. ثم دنا عمر بن الحجاج (لعنة الله عليه) من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ثم صاح بقواته.

يا أهل الكوفة إلزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف إمام المسلمين.

فقال له الأمام الحسين عليه السلام:

يا بن الحجاج أعليّ تحرّض الناس أنحن مرقنا من الدين. وأنتم ثبتم عليه؟ والله لتعلمن أيّنا المارق من الدين، ومن هو أولى بصلي النار.

ثم حملت الميمنة الأموية من جهة الفرات العلقمي وتجالد القوم بالسيوف

وثارت الغبار وما أن انجلت الغبرة الا و (مسلم بن عوسجة) صريعاً وبه رمق.
فمشى إليه الإمام الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر الأسدي فقال له
الإمام الحسين عليه السلام: رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

وأوصى بوصيته الشهيرة لحبيب بن مظاهر واستشهد مباشرة رضوان الله
عليه وعلى أصحابه المؤمنين.

٤. وهكذا استمرّ البراز والقتال فكان يأتي الرجل بعد الرجل إلى الإمام
الحسين عليه السلام ويودعه قائلاً: السلام عليك يا ابن رسول الله ﷺ فإن أجابه
الإمام الحسين عليه السلام وعليك السلام، ونحن خلفك ويتلو (فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر). هذا يعني أيذا بالبراز والقتال.

فيحمل على القوم فيقتل ويجرح حتى يقتل.
وهكذا كان دأبهم حتى أتى على آخرهم. الأصحاب، والموالي، والخدم،
ولم يبق مع الإمام الحسين عليه السلام إلا أهل بيته الكرام.

فهكذا يكون المؤمن: يؤثر دينه على دنياه، وموته على حياته في سبيل الله.
ينصر الحق وإن قُتل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

ورزق الله واسع وشاسع وهو أكرم الأكرمين.
فقد كان الأصحاب كما شهد ذلك الخبيث المشاهد للمعركة حين سئل.

ويحك أقتلتم ذرية رسول الله ﷺ، فقال:
عضضت بالجدل (الصخر العظيم)

إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا. ثارت
علينا عصابة (جماعة الإمام الحسين عليه السلام)
أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية
تحطيم الفرسان يميناً وشمالاً.

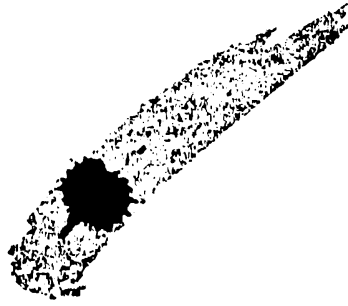
وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا

ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين
الورود على حياض المنية. أو الإستيلاء على
الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأنت على نفوس
العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين.^(١)

نعم. هكذا كانوا. وهكذا يجب أن يكون المؤمن أبداً.

(١) ترح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٧ عن الخطب الإمام الحسين عليه السلام على طريق الشهادة.
ص ٢٣٩

الفصل الثاني: استثناءات تفرضها المعركة



أما بعد...

فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً
من أصحابي ولا أعرف أهل بيت أبر،
ولا أزكى، ولا أطهر من أهل بيتي..
الإمام الحسين عليه السلام

استثناءات تفرضها المعركة

لا بدّ لكل معركة من استثناءات بناحيتي السلب والإيجاب، من قبل الصديق والعدو. فالحق له أبطاله الإستثنائيون، والباطل له ذلك كذلك.

وكربلاء كمعركة كلها استثنائية من كل نواحيها: فهي المعركة الوحيدة على مرّ التاريخ التي لم تخلف أسيراً واحداً والإمام علي زين العابدين عليه السلام لم يشارك في المعركة رغم انتصار جند ابن سعد إلا أن جند الإمام أبيدوا عن آخرهم وبمواقف مشرقة إلى الآن وإلى آخر الزمان يتحدث بها الرواة كرموز مفخرة ونضال.

فأصحاب الإمام الحسين عليه السلام الوحيدون الذين لا يوجد بينهم خائن أبداً.
ولا فرّ من الزحف منهم أحداً.
ولا استسلم إلى ابن سعد منهم رجلاً.
ولا لانت عزيمة الآخرين بل زادت شكيמתهم قوة
أولاً وآخرأ.

والإستثنائي - في أي شيء إستثنائي - يكون له وقع خاص، وطعم خاص، وسنكتفي بالاستثنائيات بخمسة محاور أساسية كعينات وقناديل مباركة للإجيال على طريق الحرية والعزة والكرامة.

١. الحر الرياحي. والتوبة النصوحة.

الحر بن يزيد الرياحي. نسب، وشرف، وشهرة.

شجاع صنديد من مشاهير الكوفة بالإقدام والفتوة، وضابط مجرب.

قائد لألف فارس من فرسان الجيش العراقي النسب الأموي الولاء.

قائد الطليعة في جيش عمر بن سعد وهو أول من واجه الإمام الحسين عليه السلام

في ذي حُسم وكان وجيشه في حالة يرثى لها من العطش والتعب.

وهو الذي جمع بركب الإمام الحسين عليه السلام وحبسه حتى نزل بأرض

كربلاء وحاصره حتى قدم عليه عمر بن سعد وتكاثر عليه الجيوش، وأحتوشته

من كل حذب وصوب. فكان يمكن أن يكون لعنة التاريخ في معركة عاشوراء لولا

أنه ثار في الوقت المناسب على ذاته كما قال السيد هادي المدرسي فما هي قصته

وقصة توبته.

الحر بن يزيد بن ناجية الرياحي التميمي العدناني من عرب الشمال من أهل

الكوفة، وفارس معروف، ومقاتل مجرّب - على ما يبدو من ثقة ابن زياد به،

وبقوته، وشجاعته. فكلّفه بقيادة الطليعة من قواته. ومثل هذا المنصب لا يكون إلا

للأشجع، والأشهر.

إستدعاه الأمير الجديد عبيد اللآت بن زياد مباشرة وجهّز له كتيبة معززة

وأنفذه للقاء الإمام الحسين عليه السلام فاستلم مهمته وخرج بقواته باتجاه طريق مكة.

والفصل صيف، والحرّ شديد، وجيشه لم يستعد للتوغل في الصحراء -

على ما يبدو - فبلغ بهم الجهد، والعطش مبلغه. وبينما هم على هذه الحالة

إذ يلوح لهم ركب الإمام الحسين عليه السلام الذي ترك الطريق وإلتجأ إلى ذي

حُسم بتعليمات الإمام الحسين عليه السلام تحسباً لمعركة قد تنشب. ولما وقف الحر

الرياحي أمام الإمام الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة وبدا عليهم التعب والعطش

فاشفق عليهم، وتعطف فأعطى أوامره الصائبة لإغاثة القوم:

«أن إسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشّفوا الخيل

ترشيها^(١).

ونفذت الأوامر بحذافيرها وإشترك الإمام الحسين عليه السلام بذلك فسقى القوم عن آخرهم، وخیولهم كذلك وأخبره الحر: أنه مكلف بمهمة محدّدة هي: أن يحبسهم عن الرجوع إلى المدينة، أو يقدم به الكوفة على ابن زياد. وعندما أذن المؤذن إلى الصلاة، قال الإمام الحسين عليه السلام: للحر: قم وصل بأصحابك.

فقال: لا بل نصلي جميعاً بصلاتك. فصلّى بهم الإمام الحسين عليه السلام جميعاً، وبعد أن فرغ من الصلاة عليه السلام أقبل عليهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال:

«أيها الناس: إنكم إن تتقوا الله، وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله. ونحن أهل بيت محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ماليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان. وإن أبيتم إلا الكراهية لنا، والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن على غير ما أتني كتبكم به إنصرفت عنكم؟

فقال الحر: ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها؟ فأمر الإمام الحسين عليه السلام عقبة بن سمعان فاخرج خرجين مملوئين كتباً.

قال الحر: إني لست من هؤلاء، وإنني أمرت أن لا أفارقك إذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: الموت أدنى إليك من ذلك. وأمر أصحابه بالركوب وركبت النساء

فحال الحر بينهم وبين الإنصراف إلى المدينة.

فقال الإمام الحسين عليه السلام للحر: ثكلتك أمك ما تريد منّا؟

فقال الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذا الحال ما تركت ذكر أمه بالشكل كائناً من كان، ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما أقدر عليه.

ولكن خذ طريقاً نصفاً بيننا لا يدخلك الكوفة، ولا يردك إلى المدينة. حتى أكتب إلى ابن زياد فلعل الله أن يرزقني العافية ولا يتليني بشيء من أمرك. ولكن إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: أقبال موت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ.

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً.
وواسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مشوراً وخالف مجرماً
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم
كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً
أقدم نفسي لا أريد بقاءها
لتلقى خميساً في الهياج عرماً^(١).

(١) الأسرار الحسينية: ص ٣١٤، البحار: ج ٤٥ ص ٢٣٨، مقتل الخوارزمي: ج ١ ص ٢٣٢.

فلما سمع الحر هذا منه عليه السلام تنحى عنه ناحية وكتب إلى ابن زياد بأمره.

وفي نينوى، وصل أمر بن زياد إلى الحر الرياحي يأمره بما يلي:

جعجع بالحسين عليه السلام حين تقرأ كتابي ولا تنزله

إلا بالعراء على غير ماء وغير حصن.

فقرأ الكتاب على الإمام الحسين عليه السلام فقال له:

دعنا ننزل نينوى، أو الغاضريات، أو شفيه. فقال

الحر: لا أستطيع فان الرجل عين (جاسوس)

علي. ^(١)

وسار مع الإمام الحسين عليه السلام حتى أرض كربلاء فنزل بها الإمام

الحسين عليه السلام وعسكر باصحابه. ونزل الحر ناحية وعسكر بجنده وراحت تتجمع القوات الأموية حتى بلغت أوجها.

وما زال الحر الرياحي قائداً من القواد، وفارساً ممن يشار إليهم بالبنان.

وحضر جميع المحاججات بين الإمام الحسين عليه السلام وعمر بن سعد وحثالته ممن يدعون القيادة. ومحاججات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وجند ابن سعد.

وراح يقارن بين الإمام الحسين عليه السلام وعبيد

اللات بن زياد أو حتى يزيد.

وبين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وجند عمر

بن سعد.

وبين منطلق وأخلاق، وقيم، وإيمان، وتقوى،

هؤلاء الكرام. وأولئك اللئام.

ويخير نفسه بين أن يكون لعنة التاريخ الأولى.

أو أن يكون بطلاً شهيداً رمزاً في الحياة وشهيداً

خالداً في الجنان بعد الممات. ويتذكر تلك

الهتافات التي كان يسمعا حين خروجه للقاء

الإمام الحسين عليه السلام: يا حر أبشر بالجنة.

يتذكر ويسأل نفسه. أية جنة تلك التي بُشِّرَتْ بها وأنا قادم إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام وهو ابن بنت رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟

أية جنة هذه وأنا الذي حبست هؤلاء الهاشميات الطاهرات في هذه الصحراء؟

أية جنة أريد وأشارك بقتل خير خلق الله طراً؟

أية جنة أبغي وأشارك بغي هذا الجيش العرمم على حرم رسول الله ﷺ؟ لا والله. إنها ليست الجنة. بل هي النار الموقدة. التي تطلع على الأفئدة. ويقيني لا يجاريه يقين أنه من يقاتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه مثواه النار خالداً مخلداً فيها أبداً.

وأنا الحر وأريد الجنة. وطريق الجنة أصبح واضحاً وضوح الشمس ذاك النهار الصيفي الحار.

طريق الجنة يمرُّ عبر الركب الحسيني. وتحت الواء الحسيني. ومباركة القيادة الحسينية للمعركة لا القيادة الأموية الغاشمة. وليس بين الجنة وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام سوى لحظات.

وهكذا وقف متسائلاً، متفكراً، متذكراً. فراح يرتعد، وترتعد فرائضه.

وذهب إلى ابن سعد القائد الأعلى للجيش الأموي قائلاً:

أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال اللعين: أي والله. قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي.

فقال الحر:

ما لكم فيما عرضه عليكم من خصال؟

فقال: لو كان الأمر إليّ لقبلت. ولكن أميرك أبي ذلك.

فتركه وعاد إلى مكانه. وكان إلى جانبه (قرّة بن قيس) فالتفت إليه قائلاً: هل

سقيت فرسك اليوم؟ فقال قرّة: لا. قال له الحر: هل تريد أن تسقيه؟

فظن قرّة أن الحر يريد الإعتزال عن القتال وكره أن يرى الناس منه ذلك فتركه وراح الحر يدنو من الإمام الحسين عليه السلام قليلاً فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟

أي تقاتل فسكت عن جوابه وأخذته الرعدة فإرتاب المهاجر من حاله وقال له:

ما بالك يا حر - واللّه لو سئلت عن أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فما هذا الذي أراه منك؟
فقال الحر:

إني أخير نفسي بين الجنة، والنار واللّه لا أختار
على الجنة شيء أبدا ولو قطعت أو أحرقت.
ثم ضرب جواده نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام منكساً رمحه، قالبا ترسه
(وهذه علامة الاستسلام وعدم القتال) وقد طأطأ رأسه حياءً من آل الرسول صلى الله عليه وآله
مما فعله بهم، وأنزلهم في هذا المكان على غير ماء، ولا ناصر رافعاً صوته.
اللهم إليك أنيب فتب عليّ فقد أربعت قلوب
أوليائك وأولاد نبيك.

يا أبا عبد الله عليه السلام:

إني تائب فهل لي من توبة.

فقال الإمام الحسين عليه السلام:

نعم يتوب الله عليك. فإستبشر خيراً وأيقن بالجنة
فأستاذن الإمام الحسين عليه السلام بنصيحة القوم
عسى أن يتوب منهم تائب فينعم برضى الله فإذن
له.

فنادى بأعلى صوته: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل
والعبر إذ دعوتموه، وأخذتم بكظمه أحطتم به
من كل جانب. فمنعتموه التوجه إلى بلاد الله

العربضة حتى يأمن وأهل بيته.

فأصبح كالأسير بين أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً
ولا ضراً وحلاً ثموه، ونساءه، وصبيته، وصحبه،
عن ماء الفرات الجاري الذي تشربه اليهود
والنصارى والمجوس وتمرح فيه خنازير السواد
وكلابه وهامهم قد صرعهم العطش بثسما خلفتم
محمد ﷺ في ذريته
لا سقاكم الله يوم الظما.

فأمطروا عليه نبالهم. فراجع حتى وقف أمام الإمام الحسين عليه السلام^(١).
وما أن انتهت الحملة الأولى (الصدمة) وقتل فيها الذي قتل من أصحاب
الإمام عليه السلام ولم يبق إلا الأبطال الكرام - والكل أبطال كرام - فكان أول من بادر
إلى المبارزة الفردية هذا العبد التائب الحر الرياحي.
فوقف أمام قائده وسيده الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: يا ابن رسول الله ﷺ
إذا كنت أول خارج عليك فإذن لي أن أكون أول
قتل بل بين يديك فلعلي أكون ممن بصافح جدك
محمد صلى الله عليه وآله غدا في القيامة.
فقال له الإمام الحسين عليه السلام: إن شئت فأنت ممن تاب إلى الله عليه وهو
التواب الرحيم^(٢).

فتقدم الحر على جواده وهو يرتجز شعراً حماسياً جميلاً.

إني أنا الحر وماوى الضيف
أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حل بأرض الخيف
أضربكم ولا أرى من حيف

(١) مقتل الإمام الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم ص ٢٣٧

(٢) الأسرار الحسينية: ص ٣٩٥ عن الفتوح ج ٥ ص ١١٣.

فتصاول هو وزهير بن القين مع القوم يحمي كل منها الآخر من الغدر فترة من الزمن قتلوا فيها عدداً من الفرسان، يقال: أن الحر قتل أكثر من ثمانين رجلاً لأنه كان يقاتل قتالاً قلّ نظيره وهو على هدى من ربه.

فقال الحصين ليزيد بن سفيان، هذا الحر الذي كنتَ تتمنى قتله. قال: نعم. وخرج إليه يطلب المبارزة فما أسرع أن قتله الحر فعمقوا فرسه فوثب عنه كأنه ليث وبيده السيف يقاتلهم راجلاً وهو يقول.

إن تعقرو بي فأنا ابن الحر

أشجع من ذي لبدة هزبر

ولست بالخوار عن الكر

لكنني الثابت عند الفر^(١)

وتكاثروا عليه، وأحاطوه من كل جانب - قاتلهم الله - فقتله أيوب بن شرح لعنة الله عليه.

وإحتملوه إلى فسطاط الإمام الحسين عليه السلام وبه رمق، وجراحات كثيرة فأخرج منديله عليه السلام وربط الجرح النازف من رأسه وراح عليه السلام يمسح الدماء عن وجه الحر ويقول:

أنت الحرُّ كما سمتك أمك حرفي الدنيا والآخرة^(٢)

ولنعم ما قيل بالحر الرياحي (وقيل إنه الإمام الحسين عليه السلام الذي قال):

لنعم الحر حربني رياح

صبور عند مشبك الرماح

ونعم الحر اذ واسى حسيناً

وجاد بنفسه عند الصباح بنفسه^(٣).

إنه الوسام الرفيع الذي قلده إياه القائد الأعلى لجيش الشهداء. ربطه على

(١) الأسرار الحسينية: ص ٣٩٦.

(٢) ن. م. ص ٣٩٦.

(٣) ن. م. ص ٣٩٧.

رأسه بالجرح، وعلّقه على صدر الزمن والتأريخ ليبقى شهادة على أن الحق لا يغيره شيء، ولا يبطله جور وكفر الباطل أبداً.

إنه لموقف من أروع مواقف الرجولة، والبطولة، والإيمان. الموقف الذي سجّله الحر الرياحي على تراب كربلاء فما ذكرته أو قرأته إلا وقفت أمامه مطأطئاً إحتراماً له، وتقديراً لموقفه الشجاع، ولكلمته الخالدة

«أختر نفسي بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة شيئاً أبداً ولو قطعت أو أحرقت».

كم هم نواذر مثل هذا الرجل المؤمن. إنهم أندر من الكبريت الأحمر؟

كم هم أقلاء الذين إذا خيروا بين الجنة والنار لا يختارون إلا الجنة؟

والحر ممن اختار الجنة، والدار الآخرة رغم كل ما يحيط به من مغربات الدنيا وزحرفها، وبها رجها من قيادة، وسيادة، وحسب، ونسب، ومال، وشرف.

فالإنسان ليكون حراً في دنياه يجب أن يكون عبداً لمولاه وسيده وخالقه.

والعبد حينئذ يكون حراً في أخراه.

وهذا الذي فعله - بعد أن وعاه - عبد الله الحر الرياحي.

وهذا استثناء عظيم معتبر عن صحوة الضمير وتيقظ الوجدان، وسلامة الفطرة.

وطهارة المولد.

وجودة الطينة التي جبل منها هذا الرجل الاستثنائي.

فعليه الرحمة والرضوان وطوبى له وحسن مآب.

٢. مسلم بن عوسجة. والوصية الخالدة.

للوصية إحترامها، وخاصة إذا كان الموصي على فراش الموت، والموصي له في بحبوحة من العيش. وللوصية بشكل عام أهميتها وقدسيتها حتى. والأعراف، والعادات، تقول: بأن يوصي الإنسان بأهله، وأولاده، وخاصة الصغار منهم، وأمواله وبأن تقضى عنه الصلوات، والعبادات الفائتة، أو يدفع عنه الأموال والزكوات الغير مدفوعة والديون وردّ المظالم وغيرها مما إعتادت عليه البشرية، ولا سيما هذه الأمة الإسلامية.

والميت يرجو ويطلب الحياة لوصيه من الأحياء، ويعلق الآمال على تنفيذ الوصية بحذافيرها لكي ترتاح روحه بعد انتقاله إلى الدار الآخرة ويرى أعماله الناقصة تترمم، وأوضاعه - من البرزخ - تتحسن فيعرف بأن الوصي كان نعم الرجل حقاً.

ووصايا كثيرة سجلها التاريخ وخلدتها في سجل الخالدين وخاصة وصايا الأنبياء

والرسل الكرام للأوصياء والخُلص من أصحابهم. ولا سيما وصايا رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام وأبو ذر. ووصايا أمير المؤمنين عليه السلام لأبنائه الكرام عليه السلام. وهكذا وكلها وصايا حياة لا موت.

أما وصايا رجال الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء فكانت استثنائية. كانت وصايا موت لا حياة. شهيد يوصي - في آخر لحظة من عمره الشريف، وجراحاته تنزف، وروحه تصعد إلى بارئها - أعز الناس عنده بأن يموت على الأثر وهو كله يقيناً بأنه سيفعل دون وصية إلا أنها أبت ألا أن تسجل تلك الوصية كوسام أبداً.

تلك النفس الجبارة التي كان يحتضنها جسد ذاك الصحابي الجليل المدعو

بمسلم بن عوسجة، فإنه كان شيخ كبير السن. شخصية أسدية كبرى وإحدى شخصيات الكوفة البارزة. كان يأخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام في الكوفة فعقد له مسلم بن عقيل عليه السلام على ريع مذحج وأسد حين بدأ تحركه قصير الأجل^(١). إلا أنه حين فشل (مسلم بن عقيل) وغدر به الكوفيون. خرج (مسلم بن عوسجة) وصديقه الوفي حبيب بن مظاهر الأسدي في جناح الظلام كل على حدة بأهله يريدان للحاق بركب الإمام الحسين عليه السلام هكذا فعلا.

وفي العاشر من المحرم. اليوم العصيب على الأعداء الرحيب على الشهداء. وبعد أن حمي الوطيس، وإشتبكت الأسنة، وقرعت السيوف، وراح الرجال يتساقط الواحد تلو الآخر مستبشرين جميعاً بالجنة والحدور العين.

وحمل عمر بن الحجاج وميسرته اللعينة على ميمنة الإمام الحسين عليه السلام فقاتلوا قتالاً شديداً وفيها كان البطل الكبير الصحابي الجليل (مسلم بن عوسجة) وما أن هدأت الغبرة إلا ومسلم على البطاح ممدداً فسار إليه الإمام الحسين عليه السلام ومعه صديق عمره (حبيب بن مظاهر الأسدي) وكان به رمق فوقف على رأسه الإمام الحسين عليه السلام وقال:

رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ودنا منه حبيبه حبيب قائلاً:

عزَّ عليَّ والله مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة.

فردَّ عليه بصوت ضعيف:

بشرَّك الله بخير يا أخي.

فقال حبيب:

لو لم أعلم أنني في الأثر لأحببت أن توصي إلي بكل ما أهمك، أو أهملت حتى أحفظك في ذلك لما أنت أهله في القرابة والدين.

(١) أنصار الحسين عليه السلام ص ٩٣ للشيخ شمس الدين

فقاله له مسلم:

بلى أوصيك بهذا وأشار إلى الإمام
الحسين عليه السلام أن تموت دونه.

ونزلت يده الضعيفة من تلقاء ذاتها لأن روحه الطاهرة قد فارقت ذاك الجسد
المقطع الفاني.

فقال حبيب بن مظاهر:

أفعل ورب الكعبة ولأنعمتك عينا يا مسلم.^(١)

فاضت روحه إلى الله تعالى راضية مرضية وبقيت الوصية كأنبل وأشجع
وصية عرفها التاريخ.^(٢)

لأنها وصية الموت الوحيدة عبر التاريخ للوصي والموصى له، ومثل هذه
الوصية لا توجد إلا في دفاتر وسجلات المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.^(٣)

أليس هذا من استثناءات التاريخ وهو من صنع كربلاء.

نصروه أحياء وعند مماتهم

يوصي بنصرته الشقيق شقدا

أوصى ابن عوسجة حبيبا قال

قاتل دونه حتى الحمام تذوقا.

٣. عبد الله بن عمير وزوجته.

في سنن المجتمعات الشرقية وأعرافه: أن المرأة تخاف على زوجها أكثر
شيء في الحياة حتى أكثر من أبنائها. لذلك تراها تحرص عليه حرصاً شديداً ولا
تدعه يغامر إذا أحسّت أن بمغامرته ربما فقدته.

(١) مقتل السيد عبد الرزاق المكرم ص ٢٤١

(٢) الشهيد والثورة للسيد هادي المدرسي ص ١٩٤

(٣) الشهيد والثورة للسيد هادي المدرسي ص ١٩٢

فتسعى إلى منعه من المغامرة مهما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.
بالبكاء والنحيب، أو بالرجاء والأسترحام، أو بأية طريقة تهتدي إليها
عاطفتها عند ذلك لمنعه من الخروج.

وكذلك الأم فهي أحرص شيء على الولد لأنه من حشاشة كبدها.
وقد يتعاونان - الأم والزوجة - في منع الرجل من المغامرة.
إلا أن مجتمع كربلاء استثنائي بكل ما تعني العبارة وتحتوي من معنويات.
الزوجة تحرّض زوجها على الخروج، وتخرج معه للموت الذي لا بدّ منه
وكذاك والدته وذلك هو المجاهد (عبد الله بن عمير الكلبي) وزوجته وأمه.
فقد تحدث التاريخ بأن عبد الله بن عمير هذا كان بالنخيلة فرأى القوم
يعرضون ليسرّحوا إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام.

فقال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك
حريصاً، وأني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين
يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه
أيادي في جهاد المشركين.

إذن المقياس عند المجاهدين هو تحصيل الثواب ولا أي شيء آخر والعمل
من أجل رضى الله والجنة لا المناصب ولا الأموال والإمتهيازات الدنيوية الزائلة.
ودخل الرجل إلى إمرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد.

فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك
إن فعل وأخرجني معك.

فخرج بها وبأمه وأتى الإمام الحسين عليه السلام وأقام معه حتى صباح العاشر
من المحرم الحرام وحين حمل شمر بن ذي الجوش اللعين في جماعته على
ميسرة الإمام الحسين عليه السلام ثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن
عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً.

وإثني عشر راجلاً وشد عليه (هاني بن ثبيت الحضرمي) فقطع يده اليمنى،
وضربه (بكر بن حي التميمي) على ساقه فقطعها كذلك، وسقط الرجل كالطود

الشامخ.

وكانت زوجته أم وهب من خلفه تحرّضه وتحثّه على القتال قائلة:

فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية

محمد ﷺ قاتل يا أبا وهب.

ولما سقط على الأرض بادرت إليه وأخذت راسه تمسح الدم عنه وتقول:

هنيئاً لك الجنة أسأل الله الذي رزقك الجنة أن

يصحبني بك.

فقال الشمر اللعين لرستم: أضرب رأسها بالعمود. فشدها ووقعت فوق

زوجها شهيدة سعيدة فكانت أول شهيدة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهذا

وسام رفيع سجّل باسمها.

وقطع رأس عبد الله بن عمير ورمي به إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام

فأخذته أمه ومسحت الدم عنه ثم اخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء.

فردّها الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

أرجعي - رحمك الله - فقد وضع عنك

الجهاد.

فرجعت وهي تقول: اللهم لا تقطع رجائي.

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام:

لا يقطع الله رجاءك^(١).

هل سمعت بمثل هذه العائلة المباركة؟

هل قرأت مثل هذا الفداء العجيب لأهل بيت

النبوة والرسالة عليه السلام؟

هل وجدت مثل هذا الإخلاص للعقيدة والمبدأ

والرسالة الإسلامية الخالدة؟

نعم إنها مدرسة كربلاء ومناقبيات الشهداء، وقيم

(١) مقتل السيد المكرم ص ٢٤٢ والخطب الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٤١

السعداء، ألم أقل إنها عبر الزمان استثناء؟
 وقصة وهب النصراني، وزوجته، وأمه كذلك ربما عرّجنا إلى أفيائها نستمد
 الثبات وقيم الاستشهاد بإذن الله.

٤. أبو ثمامة والصلاة الأخيرة تحت وقع الأسنة

إن الصلاة هي عمود الدين. وهي ملاذ المؤمنين عند الضيق للوقوف بين يدي
 رب العالمين. وهي معراج كل تقي.

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً.
 والإمام الصادق عليه السلام يقول: إمتحنوا شيعتنا في
 أوقات الصلاة. والصلاة هي صلة مستعجلة بين
 العبد وخالقه. ولكن الصلاة تحت وقع الأسنة لها
 طعم آخر.

ولها ثواب عظيم. وثمان غالي. وفعلها في كربلاء إستثناء لم يسجله التاريخ
 إلا في صفين باسم أمير المؤمنين أبو الحسين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
 وعندما سأله أحد أصحابه عن الصلاة في ذلك الموقف الحرج (ليلة الهرير).
 قال له: إذن على ماذا نقاتل القوم؟

أما صلاة الإمام الحسين عليه السلام فهي تختلف من حيث الموقف، لأن ثلاثين
 ألف رجل يحيطون به وكل يريد التقرب إلى السلطان وكسب غضب الرحمن
 بقتل ابن بنت رسول الله ﷺ ولم يبق من أصحابه إلا النذر القليل فكيف
 الطريق إلى الصلاة؟

بينما المعركة على أشدها إلتفت أبو ثمامة الصائدي - الأصيل - إلى
 الشمس وقد زالت. فقال للإمام الحسين عليه السلام:

نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد إقربوا منك.
 ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك. إلا أنني أحب
 أن ألقى الله وقد وصلت هذه الصلاة التي دني

وقتها معك.

فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال:

ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين

ـ وهذا وسامة الذي يستحق من قائده ـ نعم هذا

أول وقتها. سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي.^(١)

فلم يكفوا عن الإمام من أجل الصلاة. إذ هم على ماذا يقاتلون. أليس لمنع

الصلاة؟ وذاك الحمار كما سماه حبيب بن مظاهر ـ الحصين بن تميم يقول: إنها

لا تقبل...!!

ورغم ذلك. قام الإمام الحسين عليه السلام إلى الصلاة. فقليل أنه صلى بمن بقي من

أصحابه صلاة الخوف^(٢). وتقدم أمامه زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي

في نصف أصحابه. وقيل أنه صلى وأصحابه فرادى بالإيماء^(٣).

إلا أن سعيد بن عبد الله الحنفي هو الذي كان واقفاً أمام الإمام

الحسين عليه السلام وهو يصلي. فكان يتلقى السهام بجسده الطاهر ويحمي إمامه

وقائده. ولما أثنى بالجراح سقط إلى الأرض وهو يقول:

اللهم إلعنهم لعن عاد وثمود. وأبلغ نبيك عني

السلام. وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح. فإني

أردت بذلك ثوابك في نصرة ذريتك. وإلتفت إلى

الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: أوفيت يا ابن رسول

الله ﷺ؟؟

قال الإمام عليه السلام:

نعم. أنت أمامي في الجنة. وهذا وسامه المبارك

وقضى من لحظته عليه الرحمة والرضوان.

(١) مقتل السيد المكرم ص ٢٤٤

(٢) الأسرار الحسينية: ص ٤٠١.

(٣) ن. م. ص ٤٠١.

ونَهَضَ الإمام الحسين عليه السلام بعد الصلاة وصاح بأصحابه الكرام:

هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها
وأينعت ثمارها وزينت قصورها وتولفت ولدانها
وحورها. وهذا رسول الله ﷺ والشهداء
الذين قتلوا معه. وأبي ، وأمي يتوقعون مقدمكم
عليهم. يتباشرون بكم وهم مشتاقون إليكم.
فحاموا عن دينكم. وذُتُّوا عن حرم رسول
الله ﷺ، وعن إمامكم وابن بنت نبيكم. فقد
إمتحنكم الله تعالى بنا. فأنتم في جوار جدنا،
والكرام علينا، وأهل مودتنا. فدافعوا بارك الله
فيكم عنا.

فلما سمعوا كلامه ضُجُّوا بالبكاء والنحيب وقالوا:

نفوسنا دون أنفسكم. ودمائنا دون دماءكم.
وأرواحنا لكم الفداء. والله لا يصل إليكم مكروه
وفينا الحياة. وقد وهبنا للسيوف نفوسنا، وللطير
أبداننا، فلعلنا نقيكم زحف الصفوف، ونشرب
دونكم الحتوف، فقد فاز مَنْ كسب اليوم خيراً،
وكان لكم من المنون مجيراً.

وهذا إستثناء عجيب من بركات كربلاء. فهو كلام القائد الأعلى في الدين
والدنيا وهو زعيم بما يقول، وصادق كل الصدق بهذه الكلمات النورانية. ويقال
أنهم تطلَّعوا فرأوا ما قال الإمام الحسين عليه السلام شاخصاً أمام أعينهم فكانت
بصائرهم نافذة وكل واحد منهم رأى مكانه في الجنة. لذلك كنت تراهم يتسابقون
إلى الجنان. لأنهم على يقين وهدى من أمرهم. وفرحين ببشارة إمامهم وقائدهم
لهم.

نعم. إنها صلاة إستثنائية في موقع حرج وفي وقت حرج. وأمام أناس ظالمون

قد خرجوا من الدّين تماماً. وربما لم يدخلوه أصلاً إلا خوفاً أو نفاقاً أو رياءً أو ما أشبه ذلك.

الويل لهم. بدلاً من أن يصلّوا خلف الإمام الحسين عليه السلام عسى الله أن يتقبل منهم ولو صلاة واحدة تنفعهم في آخرهم. يمنعوه من الصلاة ولا يصلّون أبداً. إنه لعجب عجاب. إلى أي درك يمكن أن تسقط إنسانية الإنسان إذا ركبه الشيطان ، ألجمه وأحكم من قياده. وربما يتحول إلى أرذل من الشيطان. ويعلم الشيطان دروساً بالكفر ، والنفاق ، والحجود.

لعنة الله على الشيطان اللعين الرجيم. ولعنة الله أكثر على الشياطين من الإنس والجن الذين فعلوا أفعالاً لا يستطيع أن يفعلها الشيطان اللعين. وتبقى دروس كربلاء للمجاهدين وللمؤمنين مدرسة الاستثناءات والصدق في الولاءات.

٥. صلاة أهل البيت عليهم السلام.

أهل البيت عليهم السلام بالحقيقة لا يعرف حقيقتهم إلا خالقهم. يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا. ولا يعرفني إلا الله وأنت. ويعرفون خالقهم حق المعرفة. إلا أنهم يعرفون بعضهم البعض. ويقدرّون فيما بينهم هذه المعرفة. وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام في يوم كربلاء نالوا شيئاً من المعرفة وحظاً وافراً كان لهم. وذلك حين استضاءوا بنور الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

فرفضوا أن يشترك في المعركة أحد من أهل البيت ما دام فيهم من يلفظ الأنفاس وعلى هذا تعاقدوا وتعاهدوا ووفوا بعهودهم لأنهم مؤمنون. وبعد الأصحاب ميمنة زهير بن القين. وميسرة حبيب بن مظاهر. لم يبق منهم

أحداً. ولكن بقي القلب. والقائد هو الفؤاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام.
ومن يقدم للموت أولاً. والكل ميتون لا شك.

الإبن. الأخ. ابن الأخ. ابن. الأخت. ابن العم. من؟

ولكن علي الأكبر شبيه الرسول ﷺ فهم المعادلة. وإشتاق إلى جده أمير
النحل علي عليه السلام ونطلع في عيني والده العظيم والدمع تفرق في الجفان.
وتودعا وتواعدا عند الرسول ﷺ

وبعده جاء الفتى الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام وهو فتى في مقتبل
العمر إلا أنه ابن السبط الزكي. وعانق العم شبل أخيه طويلاً وتودعا وتواعدا عند
الإمام المجتبي عليه السلام

وتلاه الشهيد بن الشهيد عبد الله بن مسلم بن عقيل عليه السلام.

وعند ذلك حملت الأسود الضواري من أشبال أبي طالب عليه السلام على
الجيش الأموي اللعين وراحوا يقتلوا بهم والفرسان تفر من بين أيديهم. والإمام
الحسين عليه السلام يصيح قائلاً:

صبراً على الموت يا بني عمومي. والله لا رأيتم
هواناً بعد هذا اليوم أبداً.

وإستشهدوا تبعاً جعفر، وعبد الرحمن ابنا عقيل بن أبي طالب عليه السلام،
ومسلم، وتبعهم محمد وعون ابنا عبد الله بن جعفر أبناء السيدة زينب
العقيلة عليها السلام وتساقطت البدور ولم يبق إلا النذر اليسر منها.

وبقي الأخوة الكرام. أبناء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكانوا ثمانية أو
تسعة أو عشرة حسب إختلاف الروايات وأقلها سبعة.

فقدّم العباس أبو الفضل عليه السلام إخوته إلى ساحة الشهادة وهم جعفر وعبد
الله وعثمان وفعلوا الأفاعيل وذكروا أهل العراق بكرات أمير المؤمنين عليه السلام
وهجماته وحروبه.

في الجمل، وصفين، والنهروان. وهكذا تتابع أبناء الإمام علي عليه السلام أمام
أخيهم يذبحون، وفي طريقه يتساقطون. طريق الحق ونهج الإسلام.

ولم يبق في سماء المعركة إلى الشمس المنيرة وقائد العشيرة. الإمام الحسين عليه السلام وأخوه وسنده وحامل لوائه القمر المضيء. قمر بني هاشم، أبو الفضل العباس عليه السلام.

فقد ضاق صدره وأراد أن يأخذ بثأره من المنافقين. وأمره الإمام الحسين بأن يستقي للعيال. وأخذ قربته وذهب ولم يعد. وهروا إليه الإمام الحسين عليه السلام فوجده متقطعاً فاحتوشه وصاح عليه السلام الآن إنكسر ظهري وقلت حيلتي.

وعادت الشمس إلى كبد المعركة وألوف، مألوفة تحرق به. وقتل الأبناء والأخوة. والأصدقاء. وبقي الأطفال والبنات والنساء. فما الحيلة؟

والجوع. والعطش. وكثرة الجراح. أخذت منه -
روحي فداه - كل مأخذ. فأعطى كل ما يملك.
وكل ما يستطيع لربه ولرسالته وذاك العطاء وزكاة
وصلاة...

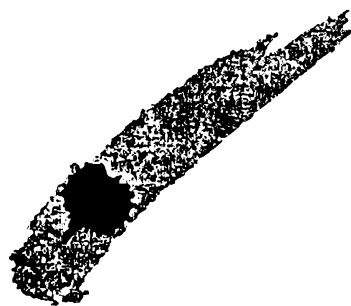
وبالتالي أعطى روحه الزكية. وأصبح رمزاً
للإنسانية.

وشعاراً للثأر والحرية.

واستمراراً وبقاءً للرسالة الإسلامية.

نعم. كانوا إستثناء في تاريخ البشرية. قمماً في الفضائل والشمائل العلية. وأنى
يجود الزمان بمثلهم؟؟

الفصل الثالث: بطولات خيالية



لله درك يا حبيب بن مظاهر، لقد كنت

فاضلاً تختتم القرآن في ليلة واحدة..

الإمام الحسين (عليه السلام)

بطولات خيالية

أن تكون بطلاً يعني ان تملك مقومات البطولة من
شجاعة وإقدام وإباء.

وبقية الصفات البطولية. أي التي تميّز الأبطال عن
غيرهم من البشر.

وكذلك عليك أن تكون مستعداً لدفع الثمن.
فللبطولة ثمن وثمرتها غالٍ جداً.

لا يقل عن الروح والتي هي قوام البدن. أي الثمن
الموت.

والموت في سبيل الله. دفاعاً عن العقيدة والمبدأ
والدين. هذا موت رسالي واعٍ يسميه الإسلام
العزيم «الشهادة». والذي يمضي في هذا الطريق
يسميه «شهيداً». والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.
بشهادة القرآن الكريم.

«وفوق كل ذي بربر. حتى يُقتل الرجل في سبيل الله. فليس فوق هذا البربر.»^(١) يقول
الرسول العظيم محمد بن عبد الله ﷺ.

فالشهيد هو إنسان قتل مع شرط أساسي: في سبيل رسالة وبدون هذا الشرط
لن يكون (شهيداً). بل إنسان مات قتلاً.

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٢٢.

من جسد الشهيد. من ذكره، يرتفع رمزاً. يحوله من قتيل إلى ضمير. ضمير أمة، أو جماعة بأكملها. تجد فيه تعبيراً عن آمالها. فتكرّم ذكره، لكي يبقى الشهيد حياً في النفوس يذكي الآمال.

وهاهنا الفرق: الشهيد حي بما يمثل من آمال. أما القتل فميت^(١) ولا أمل فيه.

وساحة كربلاء مدرسة للبطولات تعلم الأجيال

دروس العزة والفخر.

ودروس الإيثار والإقدام. دروس البطولة والفداء.

وأعظم الدروس وأبلغ الكلمات تلك التي تكتب

بالدم. والدم في كربلاء سار غزيراً ملأ الأرض.

ولطخ السماء. وراحت الأجيال تقرأ عن مآثر

كربلاء.

وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام هم أصحاب البصائر. وفرسان الأمصار. وليس

فيهم أحد إلا البطل. الشيخ، الرجل، الشباب، الأطفال، النساء، حتى العبيد

والإماء سيطروا أروع آيات البطولة والفداء. وربما نكتفي بأخذ عيّنات من أولئك

الصحب الكرام.

١. بُرير بن خضير (قارئ الكوفة)

كل من ذكر كربلاء مرّ بهذا الاسم المبارك. لأنه لامع في سماء الدين والدنيا.

فهو قارئ أهل الكوفة ومعلمهم قراءة القرآن في المسجد الأعظم. فقد كان

من عباد الله الصالحين. وكان زاهداً عابداً وأقرأ أهل زمانه للقرآن لذلك عرف

«بسيد القراء». وهو من أصحاب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وبعده من شهداء

كربلاء.

أما مكانته الدنيوية فهو من رجالات الهمدانيين الكبار. من وجوه أهل الكوفة

لأنه كان ذو مكانة وشرف في المجتمع ككل. ولهذا ما يقرأ من تاريخه المشرق.

(١) الخطب ص ٢٦١ عن مجلة الإسلام في معارفه وفنونه

ومواقفه الخالدة.^(١)

أما بطولته وعلمه فقد بان ووضح في ساحة الطف وعلى تراب كربلاء المقدس الذي سقاه بدمه الزكي. وكان من قصته العجب.

فقد قاتل قتلاً شديداً وجعل ينادي فيهم:

إقتربوا مني يا قتلة المؤمنين. إقتربوا مني يا قتلة

أولاد البدرين. إقتربوا مني يا قتلة عترة خير

المرسلين ﷺ.

فبرز إليه يزيد بن معقل قائلاً: يا برير كيف ترى صنع الله بك؟

فقال برير: صنع الله بي خيراً، وصنع بك شراً.

فقال يزيد: كذبت. وقبل اليوم ما كانت كاذباً (شهادة حق أنه صادق). أتذكر يوم

كنت أماشيكَ في بني لوزان وأنت تقول: كان معاوية ضالاً، وأن إمام الهدى علي

بن أبي طالب عَلِيٌّ سَلَامٌ؟

فقال برير: بلى أشهد أن هذا رأيي.

فقال يزيد: وأنا أشهد أنك من الضالين. فدعاه برير إلى المباهلة. فرفعا أيديهما

إلى الله سبحانه يدعوانه أن يلعن الكاذب ويقتله. ثم تضاربا، فضربه برير على

راسه ضربة فقد المغفر والدماغ. فخر اللعين كأنما سقط من شاهق وسيف برير

ثابت في رأسه.

وبينما هو يريد أن يخرجهُ إذ حمل عليه (رضي بن منقذ العبدى) وإعتنقا

وإعتركا، فصرعه برير وجلس على صدره، فإستغاث رضي العبدى بأصحابه.

فأغاثة كعب بن جابر الأزدي ليحمل على برير فصاح به زهير بن أبي

الأخنس:

هذا برير بن خضير الذي كان يقرئنا القرآن في جامع الكوفة. فلم يلتفت إليه

وطعن بريراً في ظهره.

(١) أنصار الحسين ﷺ للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص ٦١.

- فبرك برير على رضي العبدى وعَضَّ وجهه وقطع طرف أنفه. وعاد إليه كعب وألقاه برمحه عنه وضربه بسيفه فقتله. رضوان الله عليه. ولعنة الله على قاتله.
- إنظر إلى هذا التابعي الجليل كيف دافع عن الحق، وناصر الإمام الحسين عليه السلام وذلك بعدة نقاط وأمام جميع من حضر المعركة.
١. بيان أن أصل الحكم الأموي باطل لأن معاوية هو الضال وإبنة أضل سبيلاً.
 ٢. والشهادة للإمام علي عليه السلام بالأحقية وأنه إمام الهدى. وإبنة الإمام الحسين عليه السلام كذلك.
 ٣. المباهلة لمعرفة الكاذب وذُكرت الناس - لو كانوا يتذكرون - مباهلة الرسول الأعظم ﷺ لأهل نجران من القساوسة والنصارى. وبأن الحق يقتل الكاذب.
 ٤. نصر الإمام الحسين عليه السلام بدون سيف بل بالعراك والضرب بالأيدي.
 ٥. نصر الإمام الحسين عليه السلام حتى وهو مطعون بالعَضَّ في أسنانه على أنف ذاك اللعين حتى قطعه له. ومثل هذا الموقف قلَّ نظره في التاريخ.
- فهذا من الذين باعوا أنفسهم لله ونصروا الإمام الحسين عليه السلام على تراب الطف الطاهر.
- واولئك عينات من جند بني أمية وقادتهم. لأنه كان معلمهم للقرآن في مسجد الكوفة العامر.
- إلا أن الأنبياء عميت عليهم. ولا يغير النصح من أضلَّ الله. فهو في الآخرة لمن الخاسرين ومأواه جهنم وبئس المصير.

٢. وهب بن حباب الكلبي (الشهيد المسيحي)

يقال أن هذا الفتى البطل نصراني الدين إلى قبل الالتقاء بالإمام الحسين عليه السلام فآمن هو وأمه وزوجته. وكان من قصة هذا الرجل كما يروي بعض أصحاب المقاتل أنه رأى السيد المسيح في منامه فسلم عليه وقبل الأرض أمامه. وإذا يرى كوكبة من الأنوار الدرية عنده فيقول له: سيدي من هؤلاء؟

فيقول السيد المسيح ﷺ:

هَذَا النَّبِيُّ الْخَاتَمُ الَّذِي بَشَّرْتُمْ بِهِ وَأَنْكَرْتُمُوهُ.
وَهَذَا وَصِيهِ عَلِيٌّ وَهَذَانِ وَلَدَاهُ. وَإِذَا أَرَدْتَ لِقَائِي
وَالْجَنَّةَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَّبِعَ هَذَا الْفَتَى وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى
الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

فصحي وهب وقص قصته على أمه فبشرته خيراً.
وعندما مر ركب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ورآه فقال لأمه وهو يبكي:
هَذَا الَّذِي أَمَرَنِي سَيِّدِي الْمَسِيحُ بِاتِّبَاعِهِ.

فرافق الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى كَرْبَلَاءَ وَفِي كَرْبَلَاءَ وَبَعْدَ الصَّدْمَةِ (الْحِمَّةِ
الْأُولَى) وَقَتْلَ الَّذِي قَتَلَ وَرَاحَتِ الْمُبَارَزَاتِ تُظَرُّ مَعَادِنُ الرِّجَالِ. فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: قُمْ
يَا بَنِي فَانْصِرْ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَفْعَلُ يَا أُمَاهُ وَلَا أَقْصُرُ. وَبَرَزَ وَهُوَ
يَرْتَجِزُ شَعْرًا مَمَاسِيًّا. فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْقَوْمِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى زَوْجَتِهِ وَأُمِّهِ
وَقَالَ: يَا أُمَاهُ أَرْضَيْتِ؟

فَقَالَتْ: مَا رَضَيْتِ حَتَّى تَقْتُلَ بَيْنَ يَدَيِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ لَا تَفْجَعْنِي بِنَفْسِكَ.

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا بَنِي أَعْزَبَ عَنْ قَوْلِهَا وَإِرْجَعْ فَقَاتَلَ بَيْنَ يَدَيِ بِنْتِ نَبِيِّكَ تَنْلِ
شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَرَجَعَ وَلَمْ يَزَلْ مُقَاتِلًا حَتَّى قَطَعَتْ يَدَاهُ. فَأَخَذَتْ زَوْجَتُهُ عَمُودًا وَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ
وَهِيَ تَقُولُ:

فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي قَاتَلَ دُونَ الطَّيِّبِينَ حَرَمَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ

فَأَقْبَلَ كَيْ يَرُدَّهَا إِلَى النِّسَاءِ فَأَخَذَتْ بِجَانِبِ ثَوْبِهِ وَقَالَتْ: لَنْ أَعُودَ دُونَ أَنْ
أَمُوتَ مَعَكَ. فَقَالَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

جَزَيْتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ خَيْرًا. إِرْجِعِي إِلَى النِّسَاءِ
رَحِمَكَ اللَّهُ.

وَمَا زَالَ وَهَبَ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ.

اللَّهُ.اللَّهُ.عندما يفتح الله البصائر الى الحق فإن الإنسان يفعل العجائب.وإذا أغمض الإنسان بصره عن النور فإنه يفعل بنفسه العجائب والغرائب. وربما موقفاً رفعت صاحبها درجات.وربما لحظة تفكير حر جعلت الرجل في عليين.ومن أقرب المقربين من الإمام الحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة. ومجتمع كمجتمع الكوفة التي تربي على أيدي الإمام علي عليه السلام وابناه الحسن والحسين عليه السلام يفعل هذه الأفاعيل: يقتل أمير المؤمنين عليه السلام. ويخذل الإمام الحسن عليه السلام ويحاول قتله وبالتالي يقتلوه بالسُّم.ويتآمر على الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه ويراسلوه ويبايعوا ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام.

وعندما يصير منهم كقاب قوسين أو أدنى في كربلاء يجيئوا كل هذا الجيش الذي وصل منه إلى كربلاء حوالي الثلاثين ألف.ويقتلوه هذه القتلة المفجعة للسموات والأرض. ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧].

وكم الفرق بين (أم وهب.وفيما بعد زوجته) من مجتمع الكوفة أمهات وزوجات وأخوات حيث كانت كل واحدة تذهب إلى رجلها وتقول له مالنا والدخول بين السلاطين فالناس يكفوك^(١) حتى لم يبق مع مسلم بن عقيل أحداً.إلا نفسه الأبية.وبالتالي كانت طوعة أعظم من الكوفة كلها بالدفاع عنه وحمايته.

فرحمة الله على وهب وعلى أمه.وعلى زوجته.فإنهم كانوا نعم المؤمنين. واللعنة الدائمة على قاتليه إلى قيام يوم الدين.

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٧ ، مقتل أبي مخنف ص ٤٥ .

٣. حبيب بن مظاهر الأسدي (فاضل يختم القرآن بليلة)

شيخ كبير من شيوخ بني أسد يبلغ عمره الثمانين وقيل أنه صحابياً لأنه رأى رسول الله ﷺ. وكان من سكان الكوفة وصحب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وشهد معه جميع حروبه. وكان من الخواص والمقربين لديه فأعطاه علم البلياء والمنايا فكان على هدى من ربه.

وكتب الإمام الحسين عليه السلام ووفى له وذلك أنه أخذ البيعة من أهل الكوفة مع مسلم بن عقيل. وعندما نكث أهل الكوفة إختفى وخرج للقاء الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء والقتال بين يديه.

وكان قائد الميسرة لجند الإمام الحسين عليه السلام وعند صلاة الظهر وبعد أن لم يسمحوا بوقف القتال حتى أداء الصلاة راح حبيب بن مظاهر بالدفاع عن الإمام والمصلين فقتل على كبر سنه إثنين وستين رجلاً.

وحمل عليه بديل بن حريم فضربه بسيفه. وطعنه آخر من تميم برمح. فسقط إلى الأرض أي سقطت ميسرة الإمام الحسين عليه السلام وحاول أن يقوم وإذا بالحصين بن تميم يضربه بالسيف على رأسه فسقط على وجهه الشريف. ونزل إليه فاحتز رأسه الشريف.

وعند ذلك. إسترجع الإمام الحسين عليه السلام كثيراً كثيراً. وقال:

عند الله أحتسب نفسي وحماء أصحابي.

وقال أصحاب التواريخ والمقاتل بأن مقتل حبيب بن مظاهر. هدد بمقتله الإمام الحسين عليه السلام لأنه كان ممن يعتمد عليه في المكارة واللقاء. فبان الإنكسار على وجهه الشريف وقال:

لله أدرك يا حبيب لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في

ليلة واحدة^(١).

وسام من الإمام الحسين عليه السلام يعلق على صدر هذا الشيخ الجليل. فلله دره. وكان فاضلاً. ويختم القرآن في ليلة واحدة. فهكذا كان أصحاب الإمام

(١) الأسرار الحسينية: ص ٤٠٣.

الحسين عليه السلام وهؤلاء هم يختمون القرآن في ليلة واحدة. ولو اجتمع كل جند ابن زياد لم يختموا القرآن في ليلة واحدة. وإن ختموه فإنه يلعنهم. و يترحم ويشيد بحبيب بن مظاهر.

لأن القرآن الناطق زكاه. رشده له بالفضل. ولعن أولئك ودعى عليهم بالخذلان والقتل وسوء العاقبة. وتسليط الحكام والجبابرة عليهم ليذيقوهم حرّ الحديد والنار.

والقرآن واضح. والخير والصلاح لائح. ولا قياس بين النور والظلمة. ولا بين الحق والباطل. ولا بين اصحاب الإمام الحسين عليه السلام وغيرهم على الإطلاق.

فرحم الله حبيب بن مظاهر ورضي عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه. ولعنة الله على قاتليه وجعلهم في الدرك الأسفل من النار. ما أقساهم، وأجفاهم، وأغلظهم.

٤. زهير بن القين البجلي (السني الحسيني)

رجل كبير. ومقدام مشهور في الكوفة وهو عربي أصيل يرجع بنسبه إلى يشجب بن يعرب بن قحطان - كما في جمهرة الأنساب - فمنسوب ومعرّوف ومبجل بين أهله وعشيرته. وكان قادماً من الحج ويعلم بخروج الإمام الحسين عليه السلام يوم التروية متوجهاً إلى العراق رافضاً البيعة ليزيد.

وخلال الطريق كان يكره اللقاء مع الإمام الحسين عليه السلام لأنه لم يكن يتشيع له بعد وحين وصل الركب إلى منطقة زرود الواقعة على طريق الحج من الكوفة وفيها بركة وحوض ماء. فجمعتهم الماء ولكن كل ركب في ناحية.

وبينما زهير وجماعته على الطعام إذا أتى إليه رسول الإمام الحسين عليه السلام يدعو فأبطأ عن الأجابة غير أن إمراته (دلهن بنت عمرو) حثته على المسير إليه قائلة: ويلك يا زهير يدعوك ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولا تجبه.

فمشى زهير إلى الإمام الحسين عليه السلام وما أن رآه الإمام عليه السلام حتى ذكره

يوم كان مع سلمان الفارسي حين فتح بلنجر وأصابوا غنائم كثيرة وفرحوا بها.
فقال لهم سلمان:

إذا أدركتم سيد شباب آل محمد ﷺ فكونوا
أشدَّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من الغنائم.
وما أسرع أن عاد إلى أصحابه فرحاً قد أسفر وجهه وأمر بفسطاطه وثقله
فحوّل إلى جهة سيد شباب أهل الجنة. وأبان زوجته وطلّقها وقال لها:
الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسبيي إلا
خير.

ثم أعطاهما مالاً وسلّمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها.
فقامت إليه، وبكت وودّعته وقالت:
خار الله لك. أسألك أن تذكرني في القيامة عند
جد الحسين عليّ السلام.

والتفت إلى أصحابه وقال لهم:
من أحب منكم أن ينصر ابن الرسول ﷺ وإلا
فهو آخر العهد. فإني عزمّت على صحبة الإمام
الحسين عليّ السلام لأفديه بروحي وأقيه بنفسي.
واتجه إلى الإمام الحسين عليّ السلام من لحظته.
فكان من ساعتها المرافق والمواسي للإمام الحسين عليّ السلام وهو الذي نصح
الإمام عليّ السلام بقتال الحر الرياحي وجنده قبل إلّام بقية الجيش عليهم.
وهو الذي قال للإمام الحسين عليّ السلام بعد خطبة له عند نزولهم في كربلاء:
سمعنا يا ابن رسول الله ﷺ مقالتك ولو كانت
الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلصين، لآثرنا النهوض
معك على الإقامة فيها.

وهو الذي قال للإمام الحسين عليّ السلام بعد خطبة الإمتحان ليلة عاشوراء:
والله يا ابن رسول الله ﷺ لوددت أني قتلت

فيك ثم نشرت حتى أقتل قبلك ألف مرة وأن
الله قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من
إخوتك وولدك وأهل بيتك.

وهو قائد الميمنة في جيش الإمام الحسين عليه السلام الذي خرج على فرس
ذئوب ونصح جيش بن سعد. قائلاً:

يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله. إن حقا
على المسلم نصيحة أخيه المسلم. ونحن حتى
الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم
السيف. وأنتم للنصيحة منا أهل ، فإذا وقع السيف
إنقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة.

وبعد جدال مع القوم صاح له أحد أصحابه أن الإمام أبا عبد الله يقول لك:
أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه
وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت ،
لو نفع النصح والأبلاغ.

ووقف أمام الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كالطود الشامخ رافع الرأس ،
عالي الجبين وذلك حين إستشهاد حبيب بن مظاهر (رض) وبان الإنكسار على
الإمام القائد عليه السلام فقال له زهير:

بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما هذا الإنكسار
الذي أراه في وجهك ألسنت تعلم أنا على الحق؟^(١)

قال الإمام عليه السلام:

بلى وإله الحق. إني لأعلم علماً يقيناً أنني وإياك
على الحق والهدى.

فقال المقاتل زهير:

إذن لا نبالي ونحن نصير إلى الجنة ونعيمها. وتقدم

(١) الأسرار الحسينية : ص ٤٠٤ عن ينابيع المودة ص ٤١١ .

أمامه قائلاً يا مولاي أتأذن لي بالبراز؟

فقال الإمام عليه السلام: ابرز.

فبرز وقاتل حتى قتل خمسين فارساً وعاد إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال:

يا مولاي خشيت أن تفوتني الصلاة فصلّ بنا.

وبعد الصلاة وقف زهير البطل أمام قائده واضعاً كفه على كتفيه وهو يقول:

أقدم حسين هادياً مهدياً

اليوم ألقى جدك النبيا

وحسناً والمرضى علياً

وذا الجناحين الفتى الكمياً

وأسد الله الشهيد الحياً

فقال له الإمام الحسين عليه السلام:

وأنا ألقاهم على أترك.

فبرز وقاتل قتال الأشداء. وشدّ عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن

أوس التميمي فقتلاه.

فقال الإمام القائد عليه السلام:

لا يبعدنك الله يا زهير. ولعن الله قاتلك لعن

الذي مسخهم قرّة وخنازير.

وذهب إلى ربه مكللاً بدمه يشكوا إليه وإلى رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله ووليه

المرتضى عليه السلام مالقيه من هؤلاء الطغام الأندال.

والملاحظ أن زهير بن القين لم يكن يتشيع للإمام علي عليه السلام بل على

العكس من ذلك بل كان عثمانياً كما كانوا يسمونهم في ذاك العصر. إلا

أن الإمام الحسين عليه السلام كان فوق المذهبيات والطائفيات والقبليات. بل أثبت أنه

إمام المسلمين طراً.

وموقف زهير من زوجته كان موقفاً مثالياً وشهماً يلفت إلى العرب وموافقهم

وهو لا يريد لها أن تصاب بالسبي أو أن تتحمل مشاق الأسر والتعذيب لعطفه

عليها وحبها لها. فسرحتها وأرسلها إلى أهلها سالمة غانمة كما يقال.
 أما لماذا لم يصحبها وليصحبها ما أصاب ركب وثقل الإمام الحسين عليه السلام
 أعتقد أنه لم يفكر أو يخطر على باله بأن الأمة سوف تفعل بأبناء وبنات رسول
 الله صلى الله عليه وآله ما فعلته. ولو عرف أن السيدة زينب عليها السلام وبقية الهاشميات متواجدات
 وأنهن سوف يؤسرن ويساق بهن في البلاد لما طلقها. بل لأتى بها تخدم السيدة
 زينب عليها السلام كما كان هو في خدمة الإمام الحسين عليه السلام في الطريق وفي كربلاء
 العاصفة.

٥. عابس بن شبيب المجنون بحب الحسين عليه السلام.

كان عابس بن شبيب رئيساً من رؤساء همدان، وخطيباً، وناسكاً، ومجتهداً.
 وكان من رجال الشيعة المعروفين. وهذا ديدن بني شاكر كلهم كانوا مخلصين
 بولائهم لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام وقال فيهم في صفين.
 «لومت عدتهم ألف لعبد الله حق عبادته»^(١)
 وكانوا من شجعان العرب وحماتهم. لذلك لقبوا «بفتيان الصباح»^(٢).
 وعابس كان من رجالاتهم الكبار. وما أن قدم الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام
 إلى الكوفة إلا وبايعه وراح يساعده في جميع أموره. وهكذا حتى خيل لمسلم
 إستتباب أمر البيعة والناس راغبون بالإمام الحسين عليه السلام قائداً أعلى.
 فكتب له رسالة بذلك يخبره بها بحقيقة الوضع الذي آل إليه مع الكوفيين
 وذلك مع عابس بن شبيب وخادمه «شوذب». الذي قدمه للشهادة قبله في كربلاء
 قائلاً:

لكي أحسبك فتقدم بين يدي أبا عبد الله وإطلب

الإذن بالبراز فاللقاء في الحساب.

وودع سيده ونزل إلى ساحة الموت وقاتل حتى قتل.

(١) مقتل أبي مخنف ص ١٥٤ بالهامش عن إِبصار العين ص ٧٤.

(٢) ق. م.

وتقدم عابس البطل إلى قائده وسيده ومولاه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

يا أبا عبد الله. أما والله ما أمسى على ظهر
الأرض، قريب ولا بعيد، أعز علي ولا أحب
منك. ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل
بشيء أعز علي بنفسي ودمي لفعلت. السلام
عليك يا أبا عبد الله. إشهد إنني على هداك وهدى
أبيك.

ومشى بالسيف نحو القوم.

قال ربيع بن تميم: فلما رأيته مقبلاً عرفته. وقد كنت شاهدته في المغازي
فكان أشجع الناس. فقلت للقوم: أيها الناس. هذا أسد الأسود. هذا ابن شبيب.
لا يخرجن إليه أحد منكم.

فأخذ ينادي: ألا رجل؟ ألا رجلاً لرجل؟

فتحاماه الناس لشجاعته. فقال لهم عمر بن سعد اللعين وكان قريباً منهم:

ويلكم إرضخوه بالحجارة (إضربوه بها)

فرموه بالحجارة من كل جانب. فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وشدَّ على
الناس. فصاح به أحد أصحابه.

ما بالك يا عابس هل جنت؟

فقال البطل المغوار:

نعم. جنت. فحب الحسين أجني.

فهزمهم بين يديه كأسد باسل بين نعاج شاتية خائفة.

والراوي يقول:

والله رأيته يطرد أكثر من مائتين من الرجال.
ثم أحاطوا به من كل جانب فقتلوه وقطعوه إرباً.
وعندما قطعوا رأسه «الشريف» رأيت رأسه بين
أيدي الرجال وكل يقول: أنا قتلت.

يا ويلهم. يتسابقون مَنْ قتل عابس بن شبيب
العابد.

يتسابقون إلى الجحيم على مَنْ عَجَّلَ ابن شبيب
إلى الجنان.

تباً لكم من قوم. ومن أمة. تقتل ابن بنت نبيها
وأبنائه وإخوته وأصحابه. وتأسر عيالات الرسول
الذي بعث للناس كافة ورحمة للعالمين.

ورحمك الله يا عابس. ولعن قاتلك كائناً مَنْ كان. فمثواهم جهنم وبئس
المصير. وأنت في عليين بإذن رب العالمين.

٦. جون مولى أبو ذر الغفاري (أبيض الوجه ، طيب الريح)

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي التجسيد الحي للإسلام الحنيف وثورته
التغييرية على وجه الأرض هذه وثورة الإسلام لا طبقية ولا عنصرية والمبادئ
والقيم هي التي ترفع الأفراد أو تحط بهم إلى أسفل سافلين.

فلا فرق في ثورة الإمام الحسين عليه السلام بين الابن والأخ وأقمار بني هاشم
وبين العبد الأسود أو الأحمر أو غيره ولا تمايز للعربي عن التركي والرومي
والحبشي ولا أي أمر آخر بل قيمة الفرد فيما يعطيه. وفيما هو مستمر عليه في
عطائه الغير محدود للمبدأ والعقيدة الذي يؤمن بها والتقوى الناتجة عن تلك
العقيدة.

فليس اللون والمنظر أو النسب والحسب أو الأصل والفصل. بذات أهمية
بالنسبة لتلك وأبدع عبید في ثورة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

وخلدتهم في التاريخ أعمالهم في يوم عاشوراء.

كما خلّدت كلماتهم وأوسمتهم التي قلدهم إياها القائد العام الإمام
الحسين عليه السلام ومن أشهر الأمثلة على تلك الجماعة من العبيد الذين حضروا مع
الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء هو (جون بن حوي) مولى أبي ذر الغفاري (رض)

وهو عبد أسود اللون حبشي نوّبي وهو شيخ كبير في السنن يوم عاشوراء.
 وكان المرافق للصحابي الجليل الذي ملئ
 إيماناً من أعلاه إلى أسفله ولا أظلت الخضراء
 ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه وهو المظلوم
 المنفي، شهيد الغربة في الرُبذة، جندب بن
 جنادة، المعروف بأبي ذر الغفاري رضوان الله
 عليه.

وكان نعم المرافق والمواسي له وبكاه في الرُبذة بكاءً سخياً وساخناً وحين
 بلغه مسير الإمام الحسين عليه السلام رافضاً البيعة ليزيد تجددت في نفسه الذكريات
 المؤلمة التي عاناها سيده الجليل أبو ذر الغفاري وكيف تعامل معه البيت الأموي
 الحاقداً على الإسلام والمسلمين فبادر إلى نصرة الحق الإلهي المتمثل في الإمام
 الحسين عليه السلام ومن معه. وفي يوم عاشوراء العاصف جاء هذا الشيخ الجليل إلى
 الإمام الحسين عليه السلام ووقف أمامه وعيناه تفيضان بالدموع قائلاً: أأذن لي بالقتال يا
 سيدي

فقال الإمام القائد عليه السلام:

يا جون إنما تبعتنا طلباً للعافية، فأنت في إذن مني
 فلا تبتل بطريقتنا.

فوقع على قدمي الإمام الحسين عليه السلام يقبلهما، ويقول: أنا في الرّخاء ألخس
 قصاعكم، وفي الشدة أخلدكم. والله إن ريحي لتتن وحسبي للثيم، ولوني لأسود. فتنفس
 عليّ بالجنة ليطيب ريحي، ويشرف حسبي ويبيض وجهي. لا والله لا أفارقكم حتى يختلط
 هذا الدم الأسود مع دماءكم الزكية.

فأذن له الإمام الحسين عليه السلام بالقتال. فقاتل قتالاً شديداً وهو يرتجز قائلاً:

كيف يرى الفجار ضرب

الأسود بالمشرفي القاطع المهند

أحمي الخيار من بني محمد
أذُبْ عنهم باللسان واليد
أرجو بذلك الفوز يوم المورد
من إلهي الواحد الأحد

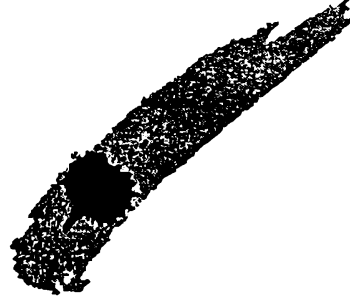
فقتل حسب رواية أبو مخنف سبعين رجلاً إلى أن وقعت ضربة في محاجر
عينه، وكبا به الجواد فسقط على الأرض على أُمِّ رأسه وهو شيخ كبير، وأحاطوا
به من كل جانب ولم يرحموا كبر سنه، ولا ضعف جسده ولم يتركوه حتى قتلوه.
عند ذلك جاء إليه قائده الإمام الحسين عليه السلام ووقف على رأسه وقال:

اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، واحشره مع
محمد صلى الله عليه وآله وعرف بينه وبين آل محمد صلى الله عليه وآله في
الجنة

وبالفعل فكل من كان يمرُّ به يشمُّ منه رائحة أطيب
من رائحة المسك أو العنبر. فإظهار للأمة كيف
يكون البلاء، والإباء، والشَّمم، والإيمان بالمبدأ.
وأنه ليس هناك إلا النفس الكريمة تسيل على حد
السيوف في مثل لمح البصر فتروي نبتة الحق
والحقيقة وتفوز بالخلود في الفردوس الأعلى
مع الأنبياء، والصدِّيقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا.

فعندما تعبد الله حق عبادته، وتخضع له كل الخضوع فلا شك أنك ستكون
حراً حقيقياً ويخضع أمامك ولك الكون كله. فكن لله عبداً ولا تبالي أحداً.

خاتمة الباب الثاني



إن كان دين محمد لم يستقم

إلا بقتلي فيا سيوف خذيني

لسان حال الإمام الحسين (عليه السلام)

الاستراتيجية والتكتيك في كربلاء

بعد أن تناولنا، وبهذا الاختصار، معركة كربلاء وأبرزنا فيها بعض النماذج الجماعية والفردية للبطولات الاستثنائية التي ظهرت في تلك المعركة الرهيبة والفظيعة، التي ما شهد تاريخ الحرب، القديم والحديث، أبشع منها وأجل وأعظم كذلك.

فأين الاستراتيجية. وأين التكتيك. عند كلا الطرفين؟!

الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام مدافعاً. فاستراتيجيته حفظ الإسلام، وإحيائه بأي وسيلة وبأعلى الأثمان.

وتكتيكه: كان الدفاع عن النفس، والمال، والأهل، والعرض حتى آخر لحظة، وآخر نفس من أنفاسه الطاهرة.. وتسليم الأمر بعد ذلك لله يفعل ما يريد..

عمر بن سعد بن أبي وقاص

ابن زياد وعمر بن سعد كان مهاجماً.. واستراتيجيتها هي سحق الإسلام كدين ومحوه عن الوجود، وحتى لا يبقى رجل واحد يشهد لله بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة، كما كان يخطط لذلك مؤسس الدولة الأموية معاوية بن

أبي سفيان، لا والله إلا دفناً دفناً..

وتكتيكهم: إبادة هذه العصابة المباركة التي قادها الإمام الحسين عليه السلام بأبشع أنواع الحرب، وأنتس أساليب القتل والسبي والنهب، وحمل الرؤوس إلى أميرهم يزيد بن معاوية مع النساء والأطفال والقدم عليه مستبشرين وبأقدام الفاتحين..

عدد جنود الإمام الحسين عليه السلام كان قليلاً جداً.. وهذه عادة الرسايلين وأصحاب المبادئ ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود : ٤٠] ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة : ٢٥] و ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٣]..

بحيث كان لا يتجاوز عددهم ١٥٠ رجل بطل حسب أكبر الروايات وبالواقع إن يمثل هذا العدد لا تقوم ثورة وتهاجم دولة كدولة بني أمية الظالمة..

فاستراتيجية الإمام الحسين عليه السلام من هذه الناحية: أن يجند الأمة ضد الظلم والطغيان الأموي، ومحاربة الظالمين على مدى الأيام.

وبالتكتيك. يريد تجنيد الكوفة وما حولها من أجل إنطلاقة الثورة المباركة لإصلاح الأمة بإذن الله..

أما عدد جند عمر بن سعد بن أبي وقاص فقد كان كثيراً جداً، ولهذا ديدن الغوغائيين والهمجيين فأصحابهم كثير كغشاء السيل وبلا فائدة، تذكر فقد بلغ عددهم في كربلاء (٣٠ ألف) ثلاثون ألف مقاتل على أقل التقادير وما وصلت به التقادير التاريخية.

فاستراتيجية ابن زياد كان تجنيد كل من يستطيع أن يحمل السلاح في الكوفة لكي يضمن عدم ثورتهم عليه وعلى سيده يزيد. لأنه بذلك لا يدع بيتاً إلا ويكون فيه من شارك في قتال، وقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. ونجح في هذا إلى حد ما كما تصور فلم يسلم بيت من الكوفة إلا وشارك فيه أناس ورجل أو أكثر في المعركة ولكن انقلبت الآية. وهذا لم يكن يحسب حسابه أبداً.

لذلك جند نصف مليون مقاتل أو أكثر.

وتكتيكه تمثل في إرسال من حضر لديه وتجمع في حماه جاهزاً للمسير إلى

لقاء الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

أما بالنسبة للأهداف المعلنة والخفية من كلا الطرفين.

❖ الإمام الحسين عليه السلام هدفه الإستراتيجي: طلب الإصلاح في الأمة الإسلامية وإحياء الإسلام كدين. والتكتيكي: الوصول إلى حكم الكوفة والعراقيين لمناجزة يزيد على حكومة دولة الإسلام.

❖ ويزيد وابن زياد فهدفه الإستراتيجي: محو إسم الإسلام من الوجود والتكتيكي: هو قتل ذرية رسول الله ﷺ. لأنهم أئمة الدين وعنهم يؤخذ التشريع باعتبارهم حملة الرسالة.

❖ والغاية الإستراتيجية للإمام الحسين عليه السلام: هي الدين الإسلامي. والله سبحانه.

❖ والغاية الإستراتيجية ليزيد (لعنة الله عليه): هو الحكم والكرسي والدنيا. والشيطان.

❖ أما المعركة: وهي بيت القصيد في هذا التحليل السريع لكربلاء.

فإستراتيجية الإمام الحسين عليه السلام: «الإسلام» وأضحة. وتكتيكة دفاعي محض،

ولكن هل خسر الإمام الحسين عليه السلام المعركة إستراتيجياً أو تكتيكياً؟

وكذلك السؤال يسأل عن الطرف المقابل يزيد وابن زياد. هل ربخوا المعركة

تكتيكياً وإستراتيجياً؟

وللجواب أقول وبالله الإستعانة: إن الناظر إلى المعركة التي دامت قرابة

ثلاثي نهار فقط، على تراب كربلاء أسفرت عن مقتل جيش الإمام الحسين عليه السلام

كاملاً. وهي المعركة الوحيدة التي لم يستطع المنتصر أخذ أي مقاتل أسير. أو أي

مقاتل هارب. لابل قتلوا عن آخرهم رضوان الله عليهم.

ففي التكتيك: هذه هي الخسارة الكبرى.

أما جيش ابن سعد الذي بلغ تعداداه العام عند بدء المعركة ٣٠ ثلاثين ألف

مقاتل جاهل إنتصر في نهاية النهار. إلا أنه خلف كما في بعض الروايات مقتلة

عظيمة ربما وصلت إلى ١٥٠٠ قتيل. وأسروا النساء والأطفال وحرقوا الخيام ونهبوا

مابها. وقطعوا الرؤوس ورفعوها على الرماح فرحين بقتلهم الإمام الحسين عليه السلام

وهذا في التكتيك نصر كبير.

أما بالإستراتيجية فالقتيل هو المنتصر والقاتل هو المهزوم. لأنه في كربلاء ولأول مرة في تاريخ البشرية ينتصر المقتول على القاتل وينتصر الدم على السيف. الإمام الحسين عليه السلام استشهد واستشهد كل مَنْ كان معه على أرض كربلاء التي زكت بدمائهم الزكية. أما ابن سعد، وشمر، وابن زياد. وبقية الجيش الأموي فقد قتله الإمام الحسين عليه السلام عن آخره بأبشع الأساليب والطرق. وفي مختلف الأماكن والأزمنة.

فالثورات إنطلقت من الأعماق. من القلوب التي أدركت مؤخراً فداحة الجريمة التي إقترفت في كربلاء. وثار التوّابون. وثار الثورات بعده حتى ثورة المختار الثقفي الذي قتل قادة الجيش الأموي وكل من شارك معهم في كربلاء وأرسل برؤوسهم إلى المدينة المنورة إلى عند الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقتل كل من نالته يده من أولئك الجند الطغاة والجبارين. تحت شعار (يا لثارات الحسين) عليه السلام والآن نسأل من الذي قتل؟ الحسين عليه السلام الذي قدّم نفسه بصفقة رابحة إلى ربه، وإلى دينه فخلّده الإله رمزاً للعدالة والبرّ. وقاتل أولئك شرّاً قتلة وأصبحوا لعنة للتاريخ ولعائن اللاعنين عليهم أبداً.

ولم يقتصر الإمام الحسين عليه السلام أن يقتل المشاركين في مذبحة كربلاء بل إمتدت إلى أبعد من ذلك. إلى أصل البلاء وأسس الديّانة والخبائث في دمشق (يزيد) الطاغية وأعوانه من الأمويين الجبابرة. فدكّت حصونهم، واقتلعت جذورهم وإجتثتهم من فوق الأرض. فهم الشجرة الخبيثة التي إجتثت من فوق الأرض فمالها من قرار بعد معركة كربلاء.

وإنقرض السفليانيون ومن بعدهم المروانيون. وهكذا حتى إنقرضت دولتهم

واقترنت باسم الإمام الحسين عليه السلام وشعار (يا ثارات الحسين).

وإستراتيجية الإمام الحسين عليه السلام هي الخالدة وهي إستمرارية الدين الإسلامي الحنيف وظهور الحق المنيف. وإشعاع النور على جميع أركان المعمورة بفضل تلك الدماء الذكية الطاهرة التي أريقت في كربلاء.

فليس الموت دائماً هو الخسارة والانكسار. بل الموت موتان.

موت يأتي إليك. وموت تذهب إليه.

فإذا جاءك الموت - فهذا قدر - وإذا كنت في موقع مقاتل. هذا يعني أنه موت الجبن، والضعف، والاستسلام.

أما الموت التي تذهب إليه، وتفتش عنه، وتعاينه بحب وشوق. فهو موت البطولة والشجاعة.

ومن البطولة أن تموت من الظما

ليس البطولة أن تعب الماء

وبمقدار ما ينعكس موت الجبن على نفسية الفرد والأمة ضعفاً وتكاسلاً، وخوفاً.

فإن موت البطولة ينعكس على الجميع شجاعة، وتحداً، ومقاومة.

وفي كربلاء حيث عانق أصحاب الإمام الحسين عليهم السلام أسنة الرماح. وحاداً السيوف.

ودفعوا أرواحهم ضريبة للتمسك بالحق، والعدل، والحرية من أجل الجماهير التي تُحكم بالجور المستند على الإستغلال بأبشع أنواعه وصوره ذاك الموت: كان موت البطولة. لأن الأبطال هناك: هم الذين فتشوا عنه وراحوا إليه والهيئ. وحينما وقعوا صرعاً على الأرض كانت راية العدالة تخفق على قبورهم لأن هذه الراية لا تشرب إلا من دماء الشهداء.

فكانت كربلاء منعطفأ. وكانت بداية لعهد جديد.

ولا زال الدم الذي تدفق بغزارة من نحور أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ينبع في كل أرض يسقط عليها شهيد من أجل حقه، وأرضه، ووطنه، وقيمه فمع كل موت شجاع: بطولة، وانتصار.

بطولة تسجل للمشهد. والانتصار لمبادئه. وهكذا يظل الإمام الحسين عليه السلام راية تخفق، ومنازة تنير، ومبادئ تطلب أنصارأ.

نعم. لقد قتل الإمام الحسين عليه السلام كما قتل كل أنصاره. بعد أن صمدوا باصراراً أمام الجيش الذي كان يملأ الصحراء رماحاً وضجيجاً وعجيجاً. لقد ماتوا كراما.

ولكن هل هذا كل ما في القضية؟^(١)

لا. ليس هذا كل ما حدث. فكل حدث كان بعده هو شعاع منه وشرارة من شراراته الإلهية التي أحرقت الطغاة والجبارين عبر العصور وإلى اليوم المعلوم. فإستراتيجية الإمام الحسين عليه السلام هي التي حفظت القرآن، وأمدت الدين الإسلامي بوقود البقاء إلى هذا العصر. واليوم وبعد قرون عديدة تكاد ولا ترى بقعة أو حتى قرية على وجه الأرض - وفيها مسلمون أم لم يكن فيها إلا وتسمع وترى وتعرف إسم الإمام الحسين عليه السلام وتحفظ أيامه وذلك لأن الإحصائيات الأخيرة تقول: أن يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام أصبح عطلة رسمية في حوالي ثلث المعمورة إذا ما نصفها.

فالجميع يعطل عطلة رسمية والسبب هو عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام حقأ إن هذا هو الخلود والبقاء.

والألطف من هذا. أن كل هؤلاء يمجدون، ويمدحون، ويعلمون من شأن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه. ويلعنون قاتليهم ويدعون عليهم بسوء العاقبة والخزي والعار يوم القيامة والحساب.

وأولئك بالمعركة كانوا منكسرين. وهؤلاء منتصرين. فمن برأيك المنتصر

(١) بتصرف الشهيد والثورة للسيد هادي المدرسي ص ١٧٣ + ١٧٤

إذن؟

إبن سعد، وابن زياد، وسيدهم يزيد. الذين ما حفظ لهم التاريخ والمؤرخين إلا اللعنات والشتائم. أم الإمام الحسين عليه السلام الذي خلّده الزمان شعاراً ومناراً للأحرار والثوار. حتى محرر الهند المهاتما غاندي قال: تعلمت عن الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر.

فإستراتيجية الإمام الحسين عليه السلام خطط لها الله سبحانه في عليائه، وأنزلها كاملة متكاملة على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. ومنه إلى وليّه العظيم الأمير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ومنه إلى الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام. فنفذها بكل دقة وأمانة.

لأنها خطة حكيمة. بل كل عمل فيها يوحى بحكمة إلهية خالدة. وربما لا تستطيع إدارك الكثير من الخفايا. ولكن لا بأس بأن نتبرك بذكر بعض المواقف الحكيمة، والإشارة إلى بعض اللطائف الرحمانية فيها فكل شيء كان بمشيأة الله تعالى.

لماذا الإمام الحسين عليه السلام؟

١. إن أول ما يخطر في ذهن. والبال. سؤال هو: لماذا الإمام الحسين عليه السلام بالذات. وليس أحد غيره من الشخصيات التي كانت متواجدة ومرموقة في تلك الحقبة.

والجواب: لأن التضحية يجب أن تكون بحجم الهدف الذي يضحي لأجله. وهل كانت هناك شخصية بحجم الإسلام إلا الإمام الحسين عليه السلام؟

قطعاً لم يكن. والإمام الحسين عليه السلام هو الشخصية الأولى، والوحيدة بهذا الحجم، وبهذه العظمة، ولا ينكر عليه أحد ذلك إلا منكر لنور الشمس ساعة الظهيرة الصيفية لعلّة في بصره، أو لعطب في بصيرته.

واختيار الإمام الحسين عليه السلام كان حكيماً لأنه بحجم الإسلام الذي يراد له الحياة من الله، ويراد له الإندثار من شياطين الإنس والجن من بني أمية وأذئابهم. فالإمام الحسين عليه السلام هو القرآن الناطق. وهو صنو سيدي شباب أهل الجنة. وهو ابن فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين. وهو خامس أصحاب الكساء، وخامس خمسة من أهل بيت النبوة والرسالة الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وهو هو ولا أحد بمستواه أبدا فأصبح الإمام الحسين عليه السلام + الشهادة = الإسلام الخالد.

فمشى إلى الشهادة بنفس مطمئنة راضية مرضية لأنه عالما بما سيفعله وبما سيقع وما هي النتائج كذلك (فشاء الله أن يراني قتيلا). (وإن لك منزلة عند الله لا تنالها إلا بالشهادة)..

ولهذا كان الإمام الحسين عليه السلام وليس غيره أبدا.

٢. لماذا النساء؟

السؤال الآخر هو. لماذا أخذ الإمام الحسين عليه السلام معه نساء وأطفاله وعيالات النبوة ما دام يعرف النتائج ويعلم ما ستؤول إليه الأمور بالنسبة لهن من النبي وما رافقه من فظائع أموية. ولهذا كذلك حكمة ربانية. وخطة إستراتيجية إلهية وضعت لغايات نبيلة وأهداف إعلامية كبيرة. يعرفها من دقق بالتأريخ وخاصة في الأحداث التي أعقبت المعركة مباشرة.

تصور يا عزيزي، أنه لم يكن مع الإمام الحسين عليه السلام إلا هؤلاء الكرام من أبنائه وأصحابه. ووقعت المعركة وقتل هؤلاء وذهبوا إلى ربهم شهداء. وانتصر أولئك وراحوا إلى ابن زياد لعناء مخدولين. كيف تكون القضية؟. وكيف تتوضح معالم الثورة الحسينية للأجيال القادمة التي ضحى الإمام الحسين عليه السلام بكل هذه التضحيات لأجلها؟

إذا لم يكن هناك زينب العقيلة. وترفع جسد أخيها المقطع ولا تلتوي على أبناء، ولا أقرباء، ولا إخوة. إلا على أخيها وإمامها الإمام الحسين عليه السلام. وترفعه

قائلة: اللَّهُمَّ تقبل من آل محمد (صلى الله عليه آله) هذا القربان مَنْ الذي كان سيفعل ذلك؟.

إذا لم تكن أم كلثوم. فمن التي ستلعن، وتحرض وتوبّخ المجتمع الكوفي، وتظهر له عظمة الفاجعة بقتل أبناء النبي ﷺ؟

ولو لم تكن سكينه، وفاطمة ابنتا الإمام الحسين ﷺ مَنْ الذي سيوصل صوت الثورة إلى مجلس يزيد وملأه شخصياً؟

ولو لم تكن رقية ﷺ كيف لها أن تكون شهيدة شاهدة على ظلمهم وجبروتهم. ولو لا استشهادها ودفنها في تلك الخربة التي كانت سجنًا لهم فأصبحت ملاذاً للمؤمنين، والمحتاجين ومنارة تهدي التائهين اليوم بذاك المقام الذي كاد يطفئ على المسجد الأموي الكبير الشهير.

ولو لم تكن زينب، وأم كلثوم، والرباب، وبقية حرائر الوحي، ونساء البيت النبوي الشريف. فمن الذي سينقل حوادث المأساة. ويحدث عن عظيم الفاجعة ويقف أمام الطاغية ابن زياد أو سيده يزيد. ويقول له بكل عزّة وشموخ:

كد كيدك وإسع سعيك وناصب جهدك. فإنك
والله لن تميت وحينا ولن تمحو ذكرنا أبداً. ولا
تدرك أمدنا^(١).

من الذي كان سيوبخ يزيد في مجلسه وهو ينكث ثنايا الإمام الحسين ﷺ بمخصرته ويتمثل بأبيات ابن الزبعرى

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

فأهلوا واستهلوا فرحا

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم

وعدلناه ببدر فاعتدل

(١) من خطبة السيد زينب عليه السلام تخاطب بها يزيد بن معاوية في مجلسه.

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خمدف إن لم انتقم

من بني أحمد ما كان فعل^(١)

ويذكر الدمشقيين أن المقتول ابن بنت نبيهم ﷺ وليس خارجيا خرج على يزيد أمكنه الله منه. والسبايا هم عقائل الوحي، وحرائر الرسالة. وليسوا من الترك أو الديلم.

ولو لا السيدة زينب عليها السلام من كان لزين العابدين عليه السلام حافظاً؟

ولو لا الإمام زين العابدين عليه السلام من كان لسلالة النبي الأكرم صلى الله

عليه واله. وذرية أمير المؤمنين عليه السلام الكوثر الذي بشره به رب العالمين؟

ومن كان غير زين العابدين عليه السلام. يستطيع أن يبكي يزيد والشاميين

في مسجدهم الكبير ويعلن على الملأ. أن المقتول بشرط الفرات ابن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وذلك بخطبته الشهيرة الذي فضح بها بني أمية وخلخل أركان دولتهم وأظهر

جذور النفاق فيهم. والحسد والبغي بغير الحق على أصحاب السيادة والقيادة في الأمة.

لا أحد يستطيع أن يقوم بهذه الأعمال إلا تلك الشخصيات المميزة.

إلا أن (شاء الله أن يراهن سبايا)^(٢).

فتورة الإمام الحسين عليه السلام كلها لله وفي سبيل الله أبدا.

٢. لماذا هذا الأسلوب بإظهار المأساة على تراب الطف؟

لأن عنصر المأساة. هو من أهم العناصر التي تخلد في الضمائر القلوب.

والبكاء هو الذي يضفي على القلب الرقة والخشوع. أما الضحك فيورث البطر

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف ص ٢٢٦ بالهامش.

(٢) كلمة الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد عندما سأله عن اصطحاب النساء معه...

والغرور. لذلك فالضحك الكثير منه في الرسائل السماوية. والبكاء مندوب إليه ومحجب عند الرساليين لأنه كان دأبهم وعملهم البكاء من خشية الله. والبكاء رأفة ورحمة بعباد الله.

والإمام الحسين عليه السلام بكى مرات ومرات في كربلاء وقبل كربلاء. ولكن بكاءه كان بكاء الرجال العظماء ولم يكن بكاء الضعفاء أبدا حاشاه.

حشاه. وإنما كان بكاؤه يفسر رسالته ويظهر عظمته وإنسانيته. فقطرات الدمع الغزيرة التي إنحدرت من عينيه الواسعتين، وجرت على وجهه الشريف الممتلئ ثقة بعدالة موقفه. يوم وقف على الجسد الممزق لابنه علي الأكبر عليه السلام أو حين وقف يودّع القاسم أو بقية إخوته. لا بل حين ودّع أبو الفضل العباس عليه السلام أو حمل يديه. وكذلك حين كان يعود ليعود النساء والأطفال. ويرى زين العابدين عليه السلام مريضاً يجود بنفسه وهو بقية الله الباقية على هذه الأرض الفانية. إن تلك القطرات لم تكن سوى رسالة ألم يوجهها إلينا وإلى البشر، كل البشر يقول فيها:

«إنني صاحب قضية ورجل رسالة. وشهيد الحرية والعدالة»..

فحذار! حذار! أن تفرطوا فيها. فإن ذلك ولا شك يؤلم قلبه العظيم الذي دعسته الخيول على تراب كربلاء في سبيل ذلك. وما قيمة الدمع عند هذا؟ ودموعه كانت لنا إشارة على أنه بشر مثلكم يتألم كما تتألمون. ويبكي لوداع أحبته كما تبكون. ومع ذلك قدم الجميع على مذبح الكرامة والشهادة. حتى لا يبقى عذراً لمعتذر منكم، ويقول: ذاك الإمام الحسين عليه السلام وهو سيد شباب أهل الجنة، وابن بنت رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا. ومن نحن أو أنا - حتى أفعل ما فعل؟

إنه الأمثلة الأنصع. والمثال المحتذى. فعل، وقدّم، وتألّم، وبكى. وعليكم الاقتداء به إذا أردتم عيش السعداء وأجر الشهداء.

نعم بكى الإمام الحسين عليه السلام حتى على أعدائه، ففي رواية تقول: أنه بكى

فسألته السيدة زينب عليها السلام عن ذلك. فقال: لها:

أبكي على هذه الأمة. على هؤلاء الذين سيدخلون
جهنم بسببي.

ومن المفترض أن يكون الإمام عليه السلام السبب في دخولهم الجنة لا النار،
ولكن انقلبت الآية عندما نكثوا عهدهم، وآثروا طاعة الشيطان والسلطان على
طاعة الرحمن. وبئس للظالمين بدلا.

فعنصر المأساة في كربلاء سار كما خطط له رب العالمين. وأظهره الإمام
الحسين عليه السلام بكل بسالة وشجاعة. وبأسلوب لم يشهد التاريخ مثلاً له وخاصة
بعد الحملة الأولى.

فإنه عليه السلام راح يقدم أصحابه بطريقة مفجعة،
فيودعه بكلمات، ويواسيه ببشارة اللحاق
به. وعندما يقتل أو يصرع يبادر إليه. ويعطي أوسمة
نورانية ويبكي. فمنهم من يضع خده على خده.
ومنهم من احتضنه وبكى حتى لفظ أنفاسه
الطاهرة.

ومنهم من حمله وجاء به إلى الفسطاط.
ومنهم من هدّه وبان عليه الانكسار حين مقتله.
ومنهم من أحرق فؤاده الشريف وهم الأبناء
وخاصة علي الأكبر حين استشهد.

ومنهم من قصم ظهره القوي. وهم الأخوة وخاصة أبو الفضل العباس عليه السلام
حين استشهد.

فكان عليه السلام يبادر إلى الجميع وعندما لم يستطع حمل العباس حامل
اللواء جاء بيديه إلى الفسطاط وأعطاهما للنساء.

فعنصر المأساة هو عنصر الحركة، والعاطفة، والجذب في الثورة الحسينية
الخالدة.

فالذي تخلده المأساة لا يمكن أن يخلده شيء على الإطلاق بذاك المستوى الذي تصنعه المأساة.

لذلك في الأحاديث المشهورة عن أئمة الهدى عليهم السلام أنهم كانوا يقولون:
(لا يوم كيومك يا أبا عبد الله)..

وأول من قالها أخوه وصنوه الإمام الحسن السبط عليه السلام.

حقيقة لا يوم كيومه، ولا موقف كموقفه للأصدقاء والأعداء على حد سواء. فكل ذلك كان يصنعه من أجل إذكاء عنصر المأساة في القضية وإيضاحه بشكل جلي، وليس لأنه كان يستهدف المأساة لذاتها. فليس هناك إنسان عاقل يريد المأساة لنفسه عوضاً عن كل هذا الذي قدّمه الإمام الحسين عليه السلام وهو سيد العقلاء في هذه الأمة.

ولكن لتكون المأساة (سوراً وجداراً) عاطفياً متيناً يحافظ على سخونة القضية، ويضفي عليها طابعاً دموياً يحرك العواطف الصادقة في الإنسان الحر، ويدفعه لمعرفة أهداف هذه الثورة. ويبحث عن طريقة لصنعها.

كان عليه السلام يريد أن تغلي الدماء في العروق كلما ذكرت القضية. فتعاد الثورة كلما عادت الأوضاع إلى أوضاع مماثلة عند ما ثار عليها. من كفر، وطغيان، وتلاعب في مقدرات الأمة ومصيرها.

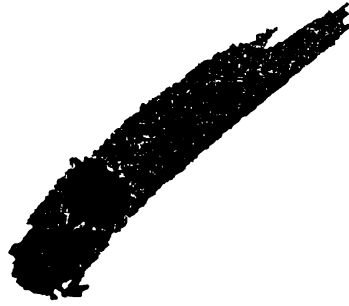
ومثل هذا لم يكن مقدوراً عليه لولا وجود عنصر المأساة في الثورة الحسينية. وبالمأساة إستيقظت الضمائر النائمة أو المخدّرة ببنج الطغاة، وخور العزيمة، وقلة الإيمان وسداجة الفهم، وخساسة الطبع. فجعلهم يثورون على أمرائهم الذين دفعوهم إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام وأعلنوها حرباً شعبية تحت عناوين مختلفة منها (ثورة التوابين) و (ثورة المدينة المنورة) و (ثورة المختار) ذات الأثر الكبير على مجريات الأحداث بعدها و (ثورة مطرّف بن المغيرة) و (ثورة ابن الأشعث) و (ثورة الإمام زيد).

وغيرها من الإنتفاضات والثورات الشعبية الكثيرة التي أعقبت كربلاء العزة والكرامة.

التي علّمت الناس: أن الأمن، والعدل، والحرية،
والإستقرار أشياء لا يمكن الحصول عليها في
مثل ذاك المجتمع إلا بالثورة. والتضحية. والفداء
ودماء الشهداء.

وأن الحق يؤخذ ولا يعطى. وأن الله فضّل
المجاهدين على القاعدين أجراً كبيراً.
فالمأساة عنصر إستراتيجي بالنسبة لحوادث
كربلاء. وهذا الذي خلدها وجدّدها مع تعاقب
الأجيال وإلى أن يقوم القائم عَلَيْهِ السَّلَام سيبقى سور
الرسالة الإسلامية الخالدة باذن الله تعالى.

الباب الثالث: الأعمال المساوية والنتائج الباهرة



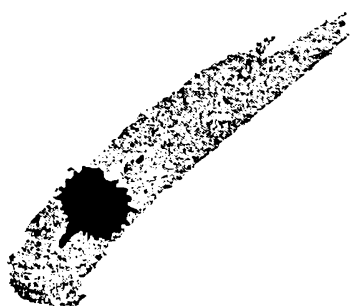
المأساة تفعل بالأمم والشعوب

فعل المعجزات.

المأساة الرسالية الهادفة..

تصنع أمة حية مناضلة.

الفصل الأول: الأبناء الأعزاء



أنا علي بن الحسين بن علي

نحن وبيت الله أولى بالنبي

والله لا يحكم فينا ابن الدعي

علي الأكبر(عليه السلام)

المأساة

لذلك نتحدث عنها بشكل أوسع مع تناول بعض النماذج المأساوية. أو الأكثر مأساوية.

وقبل بسط الحديث في هذا البحر من الدماء والدموع. أحب أن أنقل حديثاً وحكاية شعبية حفظتها عن والدي (حفظه الله) وفيها عبرة وذكرى.

ينقل الرواة - والعهدة على الراوي - أنه كان هناك أعرابي حكيم على ما يبدو يسكن البادية. وفي ذات يوم. جاء إليه أحدهم يقول له.

مات أبوك. فقال له ملكت أمري. (أي صرت حر التصرف).. وبعد فترة قيل له:

مات أمك. فقال: إرتاحت إذني. (أي من القيل والقال).

وبعد فترة قيل له:

مات زوجتك. فقال تجددت فرشتي. وبعد فترة. قيل له:

مات ولدك. فقال: احترق فؤادي. وبعد فترة قيل له:

مات أخوك.

فقال: انكسر ظهري.

وليشهد الله كلما تذكرت هذه الحكاية. أقف حائراً أمام عظمة الإمام الحسين عليه السلام وعظمة مصيبتيه. وعظمة السيدة زينب عليها السلام التي حيرت العقول.

ونسأل كيف كان حال الإمام الحسين عليه السلام وهو يفقد الإخوة، والأنباء.

وبالتالي يقدم نفسه قرباناً وفداء لهذا الدين القويم؟. كيف كان روعي له الفداء؟

والخوارزمي يقول: لما قتل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ولم يبق إلا أهل

بيته وهم ولد علي عليه السلام، وولد جعفر، وولد الحسن، وولده عليه السلام وعددهم على الأشهر ١٧ شخصاً.

اجتمعوا وودّع بعضهم بعضاً وعزموا على الحرب.^(١)

ما أصعب الوداع. وما أقساه!

فالوداع صعب للأحبة وأنت تعلم أنهم يسافرون إلى الحياة، وربما إلى الأفضل والأحسن. إلا أن أشخاصهم ستغيب عن رؤية عينيك فتحزن. وتبكي والأصعب منه هو وداع الموت. لأنه دخول في عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. والأصعب من الجميع هو القتل والتقطيع أمام العين الباصرة ولا تستطيع أن تقدم يد المساعدة والنجدة لمن يستغيث.

فالولد. يستغيث بأمه وأباه وأخاه عند الشدائد.

والأخ. يستصرخ أخاه وأقرباءه عند الهزاهز.

والكل يصرخون. ولا مغيث. ولا مجيب. ولا سامع إلا الله.

هكذا كان حال الإمام الحسين عليه السلام في قلب تلك المأساة الحقيقية. والذي يزيد من حرقة وتفجعه هو أصوات النساء وندبهن كلما قتل عزيز من الأبناء أو الأخوة أو الأحباب فتعلوا الصرخات وتتسامى التنهدات والآهات إلى رب العباد. وكذلك صراخ الأطفال الأبرياء الذين أنهكهم الجوع، وقتلهم العطش فذبلت الشفاه ونحلت الخصور وغارت العيون، ولا يعرفون سبب ما يحدث وكيف يحدث ولماذا يحدث؟

إلا أنهم ينتظرون أبو الفضل العباس، أو علي الأكبر، أو الإمام الحسين عليه السلام شخصياً بأن يأتي لهم بالماء ليشربوا أو الطعام ليأكلوا.. وكل هذا بعين الله.

الأبناء

الولد سرُّ أبيه. وإمتداده عبر المستقبل من الزمن.
والولد ثمرة الفؤاد. وفلذة الكبد. فأولادنا أكبادنا
تمشي على الأرض. وربما أكثر. والولد بالتكوين
جزء من الأبوين. وقطعة منهما معا.
والولد في الحياة بالتالي كل الحياة. وأمل الحياة.
هذا في فذلكتنا نحن. أما فلسفة الإمام الحسين عليه السلام والرساليين على
الإطلاق فتختلف نظرتهم للأمور. ويروا بأن حياتهم وحياة أبنائهم هي بالرسالة
لافي غيرها.

فهم يرون قيمة الحياة بحياة القيمة. وموت الحياة
بموت القيم لا بموت الأشخاص كائناً مَنْ كانوا.
لذلك إقترن اسم الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة بالإسلام. والدين
الإسلامي بالحقيقة

محمدي التنزيل. علوي التأويل. حسيني البقاء
والتجديد مهدوي الظهور.
فحسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب
حسيناً.^(١)

وفي سبيل هذا الدين الحنيف، وهذا المبدأ القويم. قدّم الإمام الحسين عليه السلام

(١) الخصائص الحسينية: ص ٣٠ عن البحار: ج ٤ ص ٢٧١، مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ ص ١٧٢.

إثنين من أبنائه البررة. الأكبر والأصغر علي وعبد الله. الفتى القوي والطفل الرضيع. حتى أصبحا قيمة من قيم الشهادة، وقمة من قمم السعادة الإنسانية. كيف؟

١. علي الأكبر عليه السلام.

فتى. أوحدي. بالخلق والخلق. فقد كان كاملاً ومكتملاً في الإنسانية لذلك ودّعه الصادق المصّدق والقائد الأعلى الإمام الحسين عليه السلام ولده عند ما برز قائلاً:

اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام
أشبه الناس خلقاً، وخلقاً، ومنطقاً برسولك
محمد صلى الله عليه وآله وكُنّا إذا إشتقنا إلى وجه رسولك
نظرنا إلى وجهه^(١).

اللّٰه. اللّٰه.

هَذَا الْفَتَى (الرجل) الَّذِي يَكْنَى: أبا الحسن تبركاً وتيمناً بجده الأمير
علي عليه السلام ويلقب (بالأكبر) لأنه أكبر أولاد الإمام الحسين عليه السلام ولد في أوائل
خلافة عثمان بن عفان - على رواية - وقيل غير هذا. وأمه هي ليلى بنت أبي
مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي.

كان في ريعان الشباب، ومقتبل الفتوة، والرجولة إلا أنه عظيم الشأن ثابت
الجنان، طلق اللسان عالي الهمة. ولذلك يقال:

بأنه جمع شبه أصحاب الكساء خمستهم عليهم السلام
أي. - شابه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بالخلق
والخلق. والكلام، والمقالة البلغية.
- وشابه جدّه الأمير علي عليه السلام بالأسم، والكنية،

(١) مقتل السيد المقرم: ص ٢٥٨، الأسرار الحسينية: ص ٤١٨.

والشجاعة الخارقة، ولزومه للحق.

وهو القائل:

يا أبتِ لا نبالي نموت محقين^(١)..

وبرواية أخرى:

لا نخاف إذا وقعنا على الموت أو وقع الموت
علينا. في اثناء الطريق.

وشابه جدته الزهراء (ع) العظيمة. فانه استشهد
في مقتبل العمر، وفي ريعان الشباب كالْبضعة
الزهراء تماماً عليها السلام. وعلى رواية معتبرة بعمر ١٨
سنة.

أما شبهه بعمّه الإمام الحسن السبط الزكي عليه السلام
فبالهيئة والبهاء فقد كان وجهه يتلأل نوراً ويطفح
ثغره بالبشر والسرور.

أما مشابته لأبيه الإمام الحسين السبط
الشهيد عليه السلام ففي الكثير لأن الولد سرُّ أبيه.

وخاصة بالكرم وإياء الضيم، ويكفيه دلالة على ذلك أنه أول من برز من أهل
البيت عليهم السلام إلى ساحة المعركة يوم كربلاء العاصف. وهو يرتجز شعراً ويفتخر
على الجميع بأنه «هاشمي وعلوي». ولكن كيف ذلك؟
أب عظيم حُفظت به الرسالة المحمدية وإستودع سرُّ الإمامة الإلهية بالإمامة
والوصاية على هذه الأمة المنكوسة حظها العاثر جدّها.

يرى الدنيا بعيني أولاده بحيث إنه إنسان يحمل منتهى الخصال الإنسانية
الحميدة ولا سيما الولد الكبير - البكر - فإن له موقعاً خاصاً عند أبويه - وهذه
سنة من سنن الكون كما أرى - وذلك لأن الولد البكر هو الثمرة الأولى التي طال
إنتظارها منذ أن بلغ الرجل والمرأة فانهما يتطلعان إلى المولود الأول بشوق ولهفة

(١) مقتل أبي مخنف: ص ٩٢.

وحب كبير، وتستمر معه هذه العواطف إلى نهاية عمر والديه.

وهو يكون الأطول رفقة. وتعباً. وعناءً مع الأبوين، ومشاركة لهما بالأفراح والأفراح لأنه الأكبر دائماً. وهذا أمر يشمل كل الأباء والأمهات. ولكن له خصوصية في البوادي، والأرياف حيث قساوة الحياة، ومرارة الجهاد المتواصل لتأمين المعيشة للأسرة ففي الريف الولد البكر يعاني كالأب تماماً فيعاملونه كالأب. ويعتبرونه ركيزة من ركائز البيت العائلي.

وعلى العكس تماماً يكون الابن الأصغر في العائلة فانه يكون له الدلال والغنج كله، ومن العائلة كلها وخاصة إذا ما كان طفلاً والطفل مصدر بهجة، وسرور، وبراءة دائماً، وفي كل المجتمعات. أما الإمام الحسين عليه السلام فكان له موقف خاص ورأي رسالي مُميز بحيث إنه لا يوفر أحداً في سبيل تقديم ورفع راية الإسلام الحنيف. فحين جاء إليه ولده الأكبر علي عليه السلام وإستأذنه بالبراز والقتال أمامه. وما أصعبها من موقف حقاً.

نظر إليه الإمام الحسين عليه السلام نظرة مشفق عليه. وآيس منه. فاحتضنه مودعاً وداع عزيز غالي، وأرخى عينيه الشريفتين فبكى. ثم رفع سبابته نحو السماء، وقال روعي له الفداء:

اللهم كن أنت الشهيد عليهم. فقد برز إليهم غلام
أشبه الناس خلقاً وخلقا ومنطلقاً برسولك محمد
صلى لله عليه وآله) وكنا إذا إشتقنا إلى وجه
رسولك نظرنا إلى وجهه.

اللهم فامنهم بركات الأرض. وإن منعتهم
ففرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، وأجعلهم طرائق
قددا، ولا ترض الولاية عنهم أبداً.

فإنهم دعونا لينصرونا. ثم عدوا علينا يقاتلوننا
ويقتلوننا.

ثم صاح الإمام الحسين عليه السلام بعمر بن سعد:

مالك قطع الله رحك، ولا بارك لك في أمرك،
وسلّط عليك مَنْ يذبحك على فراشك. كما قطعت
رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ﷺ ثم
رفع صوته تاليا من القرآن الكريم: ^(١)

﴿إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَىٰ أَدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

ودفع بابنه الشاب إلى المعركة الحاسمة.

ثم هروا «علي الأكبر» إلى الميدان كالأسد الباسل لا يأبه إلى تلك الجموع
الغفيرة التي فاقت على الثلاثين ألف يتلقاها بصدرة الرّحب ويذكر بهجمات جدّه
الأمير عَلِيٍّ وَهُوَ يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي
والله لا يحكم فينا ابن الدّعي
أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف حتى يلتوي
ضرب غلام هاشمي علوي

أنعم وأكرم بك ومن ذكرت سيدي. ويحق لك الفخر. كل الفخر.

ولما راته أمه ليلى؛ وهي حفيذة أبو سفيان من أبنته ميمونة أي أن يزيد
أبن أخيها». جزعت عليه - وحق لها فهو ولدها البكر علي - فقال لها الإمام
الحسين عَلِيٍّ وَهُوَ:

يا ليلى ادخلي وصلي لله تعالى ركعتين وإدعي
لأبنك. فاني سمعت جدي رسول الله ﷺ
يقول: إن دعاء الأم مستجاب.

فدخلت خيمتها، وصلّت ركعتين. ونشرت شعرها

(١) مقتل السيد المكرم: ص ٢٥٨، الأسرار الحسينية: ص ٤١٨.

وشقت جيبها. ورفعت يديها إلى ربها وصاحت
بأعلى صوتها: إلهي بحرمة الحسين. إلهي بغربة
الحسين. يا راد يوسف إلى يعقوب ردّ عليّ ولدي
علي.

وراح يقاتل السيد علي الأكبر عليه السلام قتال الأبطال حتى ضجّ أهل الكوفة لكثرة
من قتل منهم، يقال: أنه قتل ١٢٠ رجلاً ثم قفل راجعاً إلى أبيه الإمام الحسين عليه السلام
وقد أصيب بجراحات كثيرة.

فقال: يا أبت. العطش قد قتلني. وثقل الحديد قد
أجهدني. فهل إلى شربة ماء من سبيل أنقوي بها
علي أعداء الله.

فبكى الإمام الحسين عليه السلام وقال:

يا بني عزّ عليّ محمد، وعليّ علي، وعليّ أبيك
أن تدعوهم فلا يجيوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك
يا بني هات لسانك. فأخذ لسانه فمصّه، ودفع إليه
خاتمة وقال له: خذ هذا الخاتم في فيك وأرجع
إلى قتال عدوك. فإني أرجو أن لا تمسي حتى
يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا نظماً بعدها
أبداً^(١).

وعاد إلى ساحة المعركة مرتجلاً معاهداً على الشهادة في سبيل الله.
وقاتل حتى أبلى بلاءً حسناً وأتم عدد قتلاه إلى المائتين. وبينما يراقب الإمام
الحسين عليه السلام ولده علي الأكبر يصول ويجول فتغيّر لون وجهه الشريف..
وصاحت ليلي:

ماذا يا أبا عبد الله هل حدث إلى ولدي مكروه.
فقال عليه السلام: لا ولكن برز إليه من يُخشى عليه منه.

(١) الأسرار الحسينية: ص ٤١٩، البحار: ج ٤٥ ص ٤٢، مقتل الخوارزمي: ج ٢ ص ٣٠.

وقال مرة بن منقذ العبدى: عليّ آثام العرب إن لم أئكل أباه به.
 قطعنه بالرمح في ظهره. ثم ضربه على مفرق رأسه ضربه صرعه بها وراح
 الناس يضربونه حتى قطعوه بأسيا ففهم أربا بعد أن نفر به الفرس وأخذه باتجاه
 جيش الأعداء.
 فصاح بأعلى صوته:

يا أبتاه هذا جدي رسول الله ﷺ قد سقاني
 بكاسه الأفي.
 شربة لا أظما بعدها أبدا، وهو يقول لك: العجل.
 العجل. فأن لك كاساً مذخورة^(١).

فصاح الإمام الحسين عليه السلام:

قتل الله قوما قتلوك يا بني. ما أجرأهم على الله،
 وعلى إنتهاك حرمة رسول الله ﷺ. على الدنيا
 بعدك العفا.

وصاحت النساء، والعيال صيحة واحدة هزت الأرض، ولم تهزّ ضمائر أولئك
 الجفأة الغلاظ. أبكت التلال حولها، ولم تؤثر في تلك القلوب المتحجرة. وحنّ
 الفرات لعطش ذلك الشهيد، وما لانت عواطفهم الفاسدة.
 وأعادهن الإمام الحسين عليه السلام: وأمر فتيان به حمل ولده الغالي الشهيد
 علي الأكبر عليه السلام، بقوله: إحملوا أخاكم. فحملوه من مصرعه حتى وضعوه عند
 الفسطاط الذين يقاتلون أمامه.

الله أكبر. ما أعظم مصيبتك سيدي يا أبا عبد الله. ولهفتي لفؤادك الحنون.
 ولحسك المرهف ما شأنه وكيف يمكن أن يكون وأنت ترى فعل أولئك بفلذة
 كبدي علي عليه السلام؟

فالسلاام على الحسين. وعلي علي بن الحسين عليه السلام.

(١) مقتل السيد المكرم: ص ٢٥٨، الأسرار الحسينية: ص ٤٢٠.

٢. عبد الله الرضيع

ولم يكتف الإمام الحسين عليه السلام بتقديم كبير
أبنائه البررة إلى مذبح الرسالة التي تتطلب
تلك الدماء الذكية لترتفع رايثها ويتألق نجمها
في السماء علواً بل أخذ أصغر أبنائه من أمه،
وهو يجود بنفسه من شدة العطش، ويسمى (عبد
الله) ورفع يديه المباركتين، قائلاً: هل من شربة
ماء لهذا الرضيع.

فاختلف القوم بين من يقول: أسقوه. ومن يقول: لا تسقوه. فقال عمر بن سعد
لحرملة بن كاهل الأسدي: إقطع هذه الفتنة التي كادت أن تقع، فقال حرملة: هل أسقيه
الماء؟ فقال اللعين: لا ترى بياض عنقه. فعرف أنه أمر بذبح الطفل. فوضع سهما
ثلاثي الشعب في كبد قوسه ورماه به فأتى في نحره الغض فذبحه وهو في حضن
والده الإمام الحسين عليه السلام.

فراح يتلقى الإمام عليه السلام من دم ولده الرضيع في يده ويرمي به إلى السماء
فلم تسقط منه قطرة إلى الأرض. وقال عليه السلام:
أنه بعين الله تعالى. اللهم لا يكن أهون عليك من
فصيل ناقة صالح^(١).

وعاد به إلى الخيمة مذبحاً ولم يسق إلا كأس المنون من ذاك الغليظ الفاجر.

(١) الأسرار الحسينية: ٤٣٥، البحار: ج ٤٥ ص ٤٩.

الإنسان العادي يحترق فؤاده إذا ما مات له ولد. أما إذا قتل فالحرقه تكون أصعب، وأضرَم في الفؤاد. أما الإمام الحسين عليه السلام فَقَدَم ولديه للذبح. واحداً أمام عينه يقطع في السيوف والرماح. والآخر يذبح على حضنه وبين يديه. وإن هذه لهو البلاء العظيم حقاً.

فإبراهيم الخليل عليه السلام عندما رأى في المنام الحق أنه أمر بذبح ولده البار أسماعيل عليه السلام يصف هذا الموقف بـ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصفافات: ١٠٦]. وأي بلاء أعظم من بلاء الإمام الحسين عليه السلام فلذلك أدمن الأئمة الأطهار عليهم السلام على القول: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله.

وهي الكلمة التي قالها الإمام الحسن السبط عليه السلام في أواخر لحظات حياته الشريفة.

فهذا التقديم البطولي الرائع. والرسالي الفريد. كان محرّقا للقلب أكثر، ومؤلماً أشد ما يمكن من الألم. لأن الحرقه كانت مضاعفة فهي على الأولاد، وما يمثلونه بالنسبة للأباء. وعلى الرسالة وما تمثله من مسؤولية. وعلى الأمة الإسلامية التي وصلت إلى هذا المستوى المتدني من الخساسة، والجهل بمقام أولاد الأنبياء فاقتربت من درجة بني إسرائيل الذين كانوا يقتلون سبعين نبياً في اليوم الواحد ويخرجون إلى أعمالهم وتجارتهم وكأنهم لم يفعلوا شيء والعياذ بالله فأنزل الله بهم شتى أنواع العذاب.

فتراه عليه السلام حين تسأله العقيلة زينب عليها السلام عن سبب بكائه يقول لها:

أبكي على كل هؤلاء الذين سيدخلون جهنم من أجلي^(١)

أي بسبب قتلي إلا أنه وكلما قتل أحد أبنائه، وإخوته الكرام يقول:

«هُوَ مَنْ نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ»^(٢).

وفي سبيل الله، ومن أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول

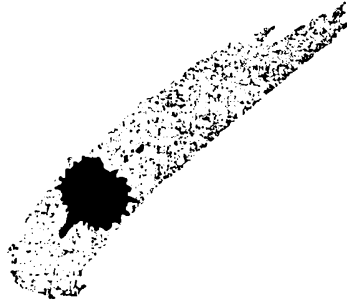
(١) الحسين عليه السلام والوهابية: ص ١١٧.

(٢) الأسرار الحسينية: ص ٤٣٥، اللهوف: ص ١١٩.

اللَّهُ ﷻ.

فالأمر الجلل يهون ويسهل إذا كان في الطريق إلى الله. والموت ما أعذبه
إذا كان طريقاً إلى الجنة الخالدة، والقرب الدائم من الأولياء والأنبياء في ساحة
القدس الإلهية.

الفصل الثاني: الإخوة العظماء



أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا

أبي الفضل إلا أن تكون له أبا

كان عمنا العباس نافذ

البصيرة، صلب الإيمان...

الإمام الصادق (عليه السلام)

الإخوة العظماء

الأخ هو العضد، بل هو الذراع والساعد، بل هو العمود الفقري الذي يرتكز عليه الإنسان في وقوفه وحركاته. ولفقد الأخ ميزة في حياة الأخوة الباقين: هي أنه يشكل فراغاً دائماً في العائلة. والأقدمين قالوا: الأخ لا يعوّض.

فكيف للإمام الحسين عليه السلام أن يعوّض عن إخوته الكرام. ومن كأبي الفضل، وإخوته. فأصحاب التواريخ وأرباب المقاتل يروون أنه وبعد مقتل المفجع لعلّي الأكبر عليه السلام إستأذن الفتى الحسنّي القاسم وديعة الإمام الحسن السبط الزكي عليه السلام وبعده حمل آل أبي طالب عليهم السلام.

جميعاً حتى قتلوا. فلما رأى العباس عليه السلام كثرة القتلى من أهل بيته قال لأخوته من أمه وأبيه وهم عبد الله وعثمان وجعفر وأمه أم البنين الكلابية التي أنجبها الفحول من العرب.

يا بني أُمّي تقدموا حتى أركم قد نصحتم لله ولرسوله.

وتقدم الفتية وإستشهدوا واحداً أثر واحد ولم يبق في أرض الطفوف إلا الإمام الحسين عليه السلام وأخوه الغالي، وحامل رايته البطل الصنديد أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام. أبو الفضل باب الحوائج إلى الله لأنه قاضي حوائج أهل البيت عليهم السلام. وقاضي الحوائج للمحتاجين في مدينة رسول الله ﷺ لأنه كان رجلاً ضخماً مكتنزاً حيوية ونشاط، وعزة وإباء وأيماناً وتقوى، وقوة ورجولة

وشجاعة وبطولة. فقد كان مكتملاً من كل الجهات. بالحقيقة والواقع إلا العصمة لأنها كانت منحصرة بأخيه وإمامه الحسين عليه السلام وإن فاتته تلك فلم يفته شيء آخر من الفضائل والكماليات الإنسانية أبداً.

كيف لا وهو ابن الأمير علي عليه السلام الكامل في الإنسانية، والمتكامل في جميع نواحي الخلق والخلق. وأمير المؤمنين عليه السلام كان ينظر إلى المستقبل بعين الغيب الباصرة، ويرقب أرض الطفوف وتجنبدل الأبطال، وعويل النساء، وبكاء الأطفال. ويدرك مدى الضرورة الملحة لوجود شخص معاضد، ومآزر، ومساند لولده وإحدى عينيه أبا عبد الله الحسين عليه السلام في تلك المعمة التي ستيبدها أهل البيت عليهم السلام وتخلد رسالة الإسلام.

وبعد انتقال سيدتنا الزهراء عليها السلام إلى أبيها وربها شهيده مع ولدها وجنينها (المحسن) تشكو إليهما ظلمها وإغتصابها حقها وإرثها وإرث أبنائها البررة عليهم السلام وكل مالحقها من هذه الأمة ونكرانها ونكران حقها خوفاً من السوط والدرّة المشؤومة التي كانت ستطال كل من يشهد مع سيدتنا الزهراء عليها السلام وخوفاً من التكذيب الذي سيلحق بكل شاهد حق لأن من يكذب فاطمة عليها السلام والعياذ بالله ويرفض ولا يقبل شهادة أمير المؤمنين عليه السلام.

والحسن والحسين عليهما السلام والعباس وفضة وأم أيمن، فلن يصدق أحداً أبداً وصدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا - آل محمد - أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]

وبعد أن جرى ما جرى وإستشهدت الزهراء (ع) حيث لا بد للرجال من النساء. كما قالت روعي لها الفداء راح أمير المؤمنين يبحث عن إمراة ولكن ليست

كبقية النساء بل كان يبحث عن إمراة مميزة. ولها أخوة، وأصل مميز من العرب، وإستشار لذلك أخاه الأكبر عقيل بن أبي طالب عليه السلام حيث كان خبيراً وعالماً بالأنساب «نسابة» قائلاً: يا أخي اختر لي إمراة أنجبها الفحول من العرب... وابغني امراة قد ولدتها الفحولة من العرب.^(١)

فقال له عقيل أين أنت من (فاطمة بنت حزام) الكلابية. حيث إن قومها وأخوتها قد إشتهروا بالشجاعة «إذ ليس في العرب أشجع من آبائها»^(٢)، وشدة البأس وضخامة الجسد، وقد كانوا فرسان العرب في الجاهلية. فخطبها أمير المؤمنين عليه السلام وتزوجها. فأنجبت منه أربعة ذكور أبطال العباس، وجعفر، وعثمان، وعبد الله ولذلك سميت «أم البنين». وقد إستشهد الجميع في كربلاء تحت راية الإمام الحسين عليه السلام وفعلاً فقد كانت إمراة مؤمنة، ومن فضليات النساء، وكانت عارفة بحق أهل البيت عليهم السلام ومحبة لهم، ومخلصة في ولائها رضي الله عنها وأرضاها.

وكان أكبر أبناء أمير المؤمنين عليه السلام منها هو (العباس) حيث ولد في الرابع من شعبان سنة ٢٦هـ فقد كان عمره حين إستشهاده ٣٤ سنة^(٣) وهو أكبر أبناء الأمير عليه السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام في أرض كربلاء من الرجال ويقال: أنه حضر مع أمير المؤمنين عليه السلام كل حروبه التي خاضها ضد الناكثين، والقاسطين، والمارقين إلا أنه لم يأذن له بالقتال لصغر سنه عدا صفين على قول بأنه قاتل ملثماً.

كان بالحقيقة والواقع فتى الفتيان شيخ الشباب، متميزاً بروحه الوثابة إلى الحق، وجسمه المكتنز عزّة وإباء ووجه الذي يطفح نوراً وضياء وهذا ليس إطرأ منّا لأبي الفضل عليه السلام بل تحدث التاريخ عنه بالكثير الكثير من الصفات التي تفرّد بها في كربلاء، وقبل كربلاء حتى وبكل هذه الصفات التي ذكرناها وأكثرها.

(١) مقتل أبي مخنف: ص ١٧٥ بالهامش.

(٢) العباس للسيد عبد الرزاق المقرم: ص ١٢١، عن عمدة الطالب: ص ٣٥٧.

(٣) ن. م. ص ١٢٨.

فقد ذكر المؤرخون أنه كان ذا جمال، وبهجة، ووضاءة، وطلاقة، وبشر في وجهه لذلك سمي «قمر بني هاشم»^(١) وذلك لجمال هيأته ووسامته وأناقته وهذه الصفة لا تطلق إلا لمن إكتمل من جميع جوانبه في الخلق والخلق.

كما أنه يذكر أرباب المقاتل: أنه كان عَلَيْهِ السَّلَام عظيم الجسم، وطويل القامة عريض ما بين المنكبين، ويركب الفرس المظهم (العالي القوي) ورجلاه تخطان على الأرض^(٢). وعظيم الروح بحيث إنه كان يقترب من درجة العصمة والإمامة. قوي الايمان راسخه وموقنا بحق أخيه في الإمامة والقيادة.. صاعقة على أعداء الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم. شديدا على الأعداء رحيماً بالمؤمنين عطوفاً على الأطفال والنساء. لذلك سمي (السَّقاء) لأن مهمته في كربلاء الإيتاء بالماء للمعسكر، وسقي الأطفال والنساء وهي من أصعب المهام يومذاك لأن المشرعة محاطة بلا أقل من أربعة آلاف مقاتل.

فالعباس كان بالنسبة للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام صديقاً ملازماً له ومخلص قمة الإخلاص فيعتد به، وأخ عزيز يفتخر به حقيقة إذا ذكر الإخوان. لذلك كان يعده الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام ركيزته، وقوته، والورقة الرابحة بيده فيتركه إلى المهمات الصعبة وكل مهات كربلاء صعبة فعلاً فكان العباس:

حامل اللواء وفي العرف يوم ذاك أن حامل اللواء هو من أشد الأشداء وأقوى الأقوياء. والذي يؤيد ذلك أن راية الرسول الأعظم ﷺ كانت في معظم غزواته تخفق فوق هامة الإمام أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَام والد العباس.

فشهادة العباس كان لها وقع خاص على الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام وكان يدرك ذلك جيداً عَلَيْهِ السَّلَام فحين جاء إليه أبو الفضل ووقف أمامه مستأذناً بالقتال، قائلاً: فذاك روح أخيك، لقد ضاق صدري وسئمت

(١) ن. م. ص ١٣١، وجده عبد مناف، قمر البطحاء.. ووالد النبي (ص) قمر الحرم...

(٢) ن. م. ص ١٣٢: عن مقاتل الطالبين ص ٥٥.

الحياة من هؤلاء المنافقين وأريد أن آخذ بثأري
منهم»^(١)

فرمقه الإمام الحسين عليه السلام بطرفه وسالت عيناهما دمعاً حاراً وغزيراً
وإحتضن أخاه وهو يقول له:

أخي أنت حامي الحمى، وساقى عطاش كربلاء،
وحامل اللواء. ولكن لا بد من القضاء فخذ هذه
القربة وإطلب إلى هؤلاء النساء والأطفال شربة
ماء.

فقال له العباس عليه السلام

سمعاً وطاعة يا أخي ويا سيدي أبا عبد الله

وقفز على جواده المطهم، وأخذ القربة على كتفيه وسيفه في يمينه ورمحه
في شماله.

وهو يقول:

أقسم بالله العظيم الأعظم
وبالحجون صادقاً وزمزم
وبالحطيم والمنى والمحرم
ليخضبنَّ اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذو الفخار الأقدم
إمام أهل الفضل والتكرم

وإتجه إلى المشرعة وهي فرع من الفرات يسمى العلقمي ولذا نجد أن أحد
ألقاب العباس هو (بطل العلقمي) وكان يحرسها ويحيط بها حوالي أربعة آلاف
مقاتل فاحاطوا به «وراحوا يرمونه بالنبال» فلم ترعه كثرتهم وأخذ يطرد أولئك
الجماهير وحده ولواء الحمد يرفرف على رأسه فلم تثبت له الرجال، ونزل إلى
الفرات العلقمي مطمئناً غير مبال بذلك الجمع الخبيث.

(١) الأسرار الحسينية: ص ٤٢٩.

وخاض في لماء بجواده ولما غرف من الماء ليشرب تذكر عطش أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأهله وعياله وأطفاله فرمى الماء على الماء وهو يقول.

يا نفس من بعد الحسين هوني
وبعد لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون
وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني^(١)

ثم ملأ القربة وعاد بجواده متوجها إلى المخيم فقطعوا عليه الطريق، وجعل يضرب حتى أكثر القتل فيهم، وكشفهم عن طريقه وهو يرتجز ويقول.

لا أهرب الموت إذا الموت رقي
حتى أوارى في المصاليت لقي
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقى
إني أنا العباس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

فاحتالوا عليه ليقتلوه غدراً لأنه إستعصى عليهم نزالوا وجهاً لوجه.
وكن له (زيد بن الرقاد الجهني) من وراء نخلة وعاونه (حكيم بن الطفيل
السنبي)

فضربه على يمينه فبراها (أي قطعها) فقال العباس.
والله إن قطعتم يميني
إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين
سبط النبي الطاهر الأمين

ولم يعبأ بيمينه فأخذ السيف في شماله، وصار همّه في أن يوصل الماء إلى المخيم حيث الأطفال والعيال شبه أيقنوا بالماء بعد أن عرفوا أن العباس هو

(١) العباس السيد عبد الرزاق المقرم ص ٢٥٤، البحار: ج ٤٥ ص ٤٢.

طالبها فبادر (الحكيم بن الطفيل الطائي) وكمن له من وراء نخلة أخرى ولما مرَّ به العباس ضربه على شماله فقطعها.^(١)
فقال العباس عليه السلام عندها.

يا نفس لا تخشي من الكفار
وأبشري برحمة الجبار
مع النبي السيد المختار
مع جملة السادات الأطهار
قد قطعوا ببغيهم يساري
صلهم يارب حر النار^(٢)

فثاروا عليه يطاردونه وأتته السهام كالمطر فأصاب سهم القربة وأريق ماؤها، وسهم آخر أصاب صدره الشريف وسهم ثالث أصاب عينه الباصر، وضربه رجل بالعمود على رأسه ففلق هامته.

وهوى على الأرض كالطرد الشامخ وهو ينادي ويقول:

عليك مني السلام أخي أبا عبد الله.^(٣)

ومن جانبه كان الإمام الحسين عليه السلام ممتطياً فرسه عند بابا المخيم، وفي حالة تأهب يترقب أخبار أخيه العباس، يتلفت يمينا وشمالاً لعله يرى أية إشارة لأقتراب العباس من المخيم ووصوله إليه كان يتوقع في كل لحظة أن يرى طلعتة الرشيدة وقد حمل إلى أولئك الصبية قربة مملوء بالماء.^(٤)

وهذا كان حال الهاشميات زينب عليها السلام ومن معها والأطفال ينتظرون قدوم العباس، ومعه القربة والماء فالأجسام أبلاها الظما، والأكباد أحرقتها اللظى، ولهيب الشمس الحارقة، والرّمال الشاوية، والعطش القاتل، والظلم الشنيع، والحزن الشديد، والبكاء الغزير ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ

(١) المناقب ج ٢ ص ٢٢١

(٢) لواعج الأشجان للسيد الأمين ج ٢ ص ٢٢١ طابيران

(٣) مناقب بن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٢٢ ورياض المصائب والعباس السيد المكرم ص ٢٥٥

(٤) العباس للسيد هادي ص ٤٦

يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [هود: ١٨]

ولكن الإمام الحسين عليه السلام وهو في تلك المحلة يسمع صوتاً خفياً ينادي عليك مني السلام أخي أبا عبد الله، فعرف أنها رسالة العباس الأخيرة إليه فهبَّ إلى مصرعه هبوب الريح العاصفة، ونزل عليهم كالبرق الصاعق يستجلي خبر أخيه العباس وعندما وصل إليه رآه مقطّعاً وجسمه كائنقذ من السهام، وهامته مفلوكة من ضربة العمود وسهم مثبت في عينه الشريفة فوثب إليه وإذا به رمق والدماء تغسله.

وعندما إقترب منه ناداه بصوت ضعيف وهو لا يعرفه

(بالله عليك دعني أودع أخي الحسين عليه السلام،

فقال الإمام عليه السلام وهو يحتضنه ويبكي. أنا أخوك

الحسين يا عباس.

فقال العباس: السلام عليك أخي أبا عبد الله.

وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها.

فبكى الإمام الحسين عليه السلام على جسد أخيه المقطع حتى إنتحب، وعلا

صوته بالبكاء، وقال:

وعليك السلام أخي أبو الفضل بنفسي أنت يا

مهجة قلبي.

جزاك الله من أخ خيراً لقد جاهدت في الله حق

جهاده. يعزُّ والله عليّ فراقك يا أخي الآن انكسر

ظهري، وقلت حيلتي وشميت بي عدوي.^(١)

وثار الإمام الحسين عليه السلام وغضب غضبة حق هاشمية وراح يضرب ممن

حوله من الكفار والمنافقين وهم فرحين مسرورين بخلاصهم ممن كان يرعبهم

في جيش الإمام الحسين عليه السلام يضرب بهم يمينا وشمالاً كالصقر الجارح وهو

يصرخ بهم:

إلى أين تفرون وقد قتلتم أخي؟

إلى أين تفرون وقد قتلتم عضدي؟

إلى أين تفرون يا قتلة أولاد النبيين.^(١)

حتى كشفهم وعاد إلى الميخم ليوأجه النسوة وهنّ في ذهول وانتظار لمعرفة ماذا حدث؟ وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام يعود منكسراً حزيناً يكفكف دموعه بكمّته، وهو يقول:

أما من مجير يجيرنا؟

أما من مغيث يغيثنا؟

أما من طالب حق ينصرنا؟

فتقدمت إليه ابنته العزيزة سكينه وأخذت بعنان الجواد قائلة: أين عمي العباس. فقال الإمام عليه السلام:

إن عمّك قد قتل وبكى عليه السلام. وذهب إلى خيمته وأسقطها.

فصاحت سكينه: وأعمّاه، وعباساه. فسمعتها زينب والهاشميات فصحن صيحة واحدة. وصاحت زينب عليها السلام وامحمداه، واعلياه، وافاطمتاه، وعباساه، واضيعتنا بعدك يا أبا الفضل.^(٢) وبكى الجميع وأحسسن باليتم، وأيقنّ بالذل والأسر بعد مقتل بطل الأبطال أبو الفضائل العباس: لأنه كما قلنا حامي الحمية، وساقى العطاش، وعمود الخيمة الحسينية.

فتحول سيدنا العباس بعمله البطولي ذاك إلى شهيد وشاهد على أعمال الأمة.

وتحول العباس بالشهادة من شخص إلى شاخص.

(١) العباس السيد هادي ص ٢٧

(٢) العباس السيد هادي ص ٢٧

ومن مؤمن، إلى رمز للإيمان.

ومن بطل، إلى نموذج للبطولات.

فقد إشتهل العباس عليه السلام بالوفاء، وإشتهل

به الوفاء. وتسربل بالإيثار، وتسربل به الإيثار.

وتخندق بالشجاعة، وتخندق به الشجاعة،

فأصبح نموذجاً لبطولة الإيثار حتى الموت.

وبطولة الوفاء حتى الموت.

وبطولة المقاومة عن الحق حتى الموت.

وأخذ ينتقل من جيل إلى جيل، ليس كتراث للإنسانية، وكرمز للبطولة،

والشجاعة والفداء فحسب: بل صار منبهاً دائماً للغير من بني البشر كلما عصفت

بهم أزمة المثل العليا.

لقد كانت شهادة العباس قيمة إستثنائية قلماً يحظى بها أحد، ولذلك فقد

أصبح فضيلة قائمة بذاتها. كما أصبح عدوه رذيلة قائمة بذاتها.

لقد مثل كل الفضائل فتمثلت فيه كل الفضائل. وزادت قيمة جديدة في قائمة

القيم إسمها (العباس).

فلقد مزق (العباس) بشهادته تحت قيادة الإمام الحسين عليه السلام كل خيوط

انعكبات التي نسجتها أيادي بني أمية حول عقول الناس البسطاء وضمائرهم

(المخدرة بسموم أمية اللعينة).

وأثبت بشهادته أن الجباه الساجدات لله. لن

تخضع مهما إشتد بها المقام لطغيان الطغاة. وظن

أعداؤهم أنهم قتلوه. ولكن.

لا السيف الذي قطع يده.

ولا السهم الذي مزق عينه.

ولا العمود الذي فلق هامته.

ولا كل محاولات التشويه التي طالت قضية.

إستطاعت أن تمحي إسمه، وأن تؤثر على روحه
الهائجة بالمثل فحولته العارمة ضد الطغيان،
وثورته المليئة بالبطولة.

فالعباس عليه السلام منذ إستشهاده على تراب كربلاء وإلى اليوم وغد البعيد يعود
حياً في كل مواجهة بين الحق والباطل ليملاً قلوب أهل الحق بقوة العزيمة،
ومضاء الإيمان، وصدق النية، وإخلاص العمل لوجه الله.

وهو في الليالي الحالكات يطرق أبواب العقول،
والقلوب، والضمائر ليقول للناس:

إن من يخسر يديه في سبيل الحق فسوف يعوّض
عنهما بجناحين يطير بهما في الجنة.

وإن من يخسر بصره في المجابهة مع الباطل
فسوف يعوّض عنه ببصيرة نافذة تخترق حجب
الأوهام عبر الأيام.

وإن من يخسر قمة رأسه فسوف بترّبع لا محالة
على رأس القمة الانسانية.

وإن من يخسر حياته في الدنيا في سبيل الله
فسوف يربح حياة أبدية في جنة الخلد عند مليك
مقتدر ويخلد عدوه في العذاب الأليم.

إن العباس عليه السلام يعود دائماً حلماً بالبطولة في كل مجتمع خامل، ووعداً
بالإنتصار في كل معركة بين الإيمان والنفاق.

لقد ذهب الجلادون، والقتله إلى مزبلة التاريخ، ونار الجحيم الحامية.

أما العباس عليه السلام فقد إزدهرت سيرته، ونمت بطولته لتصبح شجرة من
نور أصلها في كربلاء، وجذورها تمتد إلى كل بقاع الأرض، وثمارها تنمو
في الضمائر كقيم للنبل، والإيثار، والشجاعة، والوفاء، والكرم. وأصبح لكل

الفضائل مقاسات جديدة أكثر علواً وسمواً وإرتفاعاً^(١) بالعباس أبو الفضائل.

والحديث عن العباس طويل، وجميل لأنك تنثني وتفتخر وتشمخ بأنفك عند ما تقرأ أو تكتب عن رمز الرجولة والبطولة أبو الفضل وتكثر: لأنه قمة الفاجعة في كربلاء وكان إستشهاد أبو الفضل، للإمام الحسين عليه السلام، والهاشميات، والأطفال جميعاً وكتبت مرة عن العباس فقلت:
أبو الفضل العباس كان بالحقيقة والواقع معجزة.

والمعجزة: هي مالم وجود به الزمان. بل يتفضل به الرحمن من أجل أمر عظيم الشأن إلهي يريد الإثبات والتأييد.
وقيل والقول صحيح لا شك

أن القرآن الصّامت معجزة إلهية إلى رسول
الله ﷺ. وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام
القرآن الناطق معجزة رسول الله ﷺ للأمم
والبشرية. والعباس (أبو الفضل) هو معجزة
الإمام علي عليه السلام لنصرة وإثبات حق الإمام
الحسين عليه السلام بالحق.

فالعباس كان من الرجال المميزين في التاريخ الإسلامي والإنساني على حد سواء. والإنسان كما هو معلوم - مكوّن من روح وجسد. وفي الحاليين كان لأبي الفضل خصائص مميزة.

لأن جسد العباس كأصل كان من فحل الرجال أبو الحسن علي عليه السلام الذي ما أنجب التاريخ كله ولن ينجب ولا النساء كلهن مثله إلا ابن عمه رسول الله ﷺ ومن أم أنجبها الفحول من العرب (أم البنين الكلابية) أنعم بها وأكرم من أم فاجتمع في ذلك الفتى (العباس) فحولة ورجولة الإمام علي عليه السلام وفحولة أخواله فحول العرب لأن (العرق دساس) كما يقول الأمير عليه السلام.

أما الروح الزكية فهي نفخة إلهية انبثقت من روح الأمير عليه السلام وترعرعت

(١) كلمات رائعة ومن اماكن متفرقة نقلت بتصرف عن كتاب لسماحة السيد هادي المدرسي (العباس)

ونمت في حمى الإمام الحسين عليه السلام السبط وتزكت بعمل العباس نفسه فكانت روح إيمانية قدسية قلّ نظيرها في بني البشر.

فكان العباس مجمعا للفضائل وملاذاً للخصال حسنة الشمائل. وكان ذا قوة روحية هائلة، وطيبة بنائه الجسدي تخدم قوته المعنوية والروحية. فقد كان طويل القامة، عريض ما بين المنكبين، ضخّم الجسم، أنيق بحيث يركب الفرس المطّهم (القوي العالي) ورجلاه تخطان على الأرض. فامتزجت فيه قوة الروح وقوة الجسد، وأضيف إليها النخوة الهاشمية، والشجاعة العلوية، والصبر الحسيني والقوة الإلهية.

فقد كان جسم العباس جسم عملاق طويل القامة طول الزمن.

عريض ما بين المنكبين عرض الأيام والليالي.

ضخم الجسم ضخامة الرسالة.

وأنيق أناقة الحقيقة. وقائد سفينة من سفن النجاة

تخط على وجه الزمن صراطاً مستقيماً تسير بقيادة

الإمام الحسين عليه السلام إلى الجنة (فروحه وثابة إلى

الحق والحقيقة، ورغم ضخامة جسمه الشريف

لم يستطع حمل غلوائها وتوثبها فإستاذن أخاه،

وإمامه، ومولاه أبا عبد الله الحسين عليه السلام

قائلاً: أخي قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين

دعني آخذ بثأري» فالصدر الذي وسع الإسلام،

والقلب الذي إختزن القرآن وزهر فيه الإيمان

ضاق وليس عنده إلا هذا الجسد والضغط يولد

الإنفجار كما يقال والانفجار ينتج عنه التمزُّق
والتشتت للمنفجر بلا شك.

وهكذا فعل أبو الفضل العباس. فقد طارت يداه الشريفتان. وعينه البصيرة.
وهامته العالية. وتمزَّق جسده الشريف كله بسيف الحقد، وربما رماح الغدر،
والكفر، والنفاق. فأنطلقت روح العباس عليه السلام من أسر الجسد الشهيد وصارت
ترفرف فوق الرؤوس تشهد على أعمال الطغاة وتقضي حوائج المؤمنين
والمحتاجين من المستضعفين.
ألم يكن بابا للحوائج إلى الله، وكاشف الكربات أبو الفضل العباس. بلى
والله.

فلا السيف الغادر الذي قطع يديه والسهم الجائر
الذي مزق عينه. ولا العمود الحقود الذي فلق
هامته. ولا كل مجاولات التشويه التي طالت
رسالته استطاعت أن تؤثر على روحه الهائجة
بالمثل والقيم. وأن تؤثر على فحولته ورجولته
العارمة ضد الظلم والطغيان.
بل تلك أضاف إلى قائمة القيم قيمة جديدة إسمها
«أبو الفضل»

والثانية أضافت إلى الشعارات شعارا للحرية
والعدل إسمه (العباس)

وكما كان سيف الإمام الحسين عليه السلام أطول
سيوف الحق في التاريخ فلقد كان العباس حده
القاطع.

وكما أن راية الإمام الحسين عليه السلام أرفع راية
للعادلة الإنسانية، فقد كان أبو الفضائل حاملها،
وحاميتها وممثلها.

وبالفعل فان العباس بن علي عليه السلام إستثناء في
كل شيء حواها الرجال.
فإن قلت: قَمَّة. قلت بل قيمة.

وإن قلت: قَمَّة القيمة. قلت: بل قيمة القَمَّة.

السلام علي أبي الفضل العباس الذي ترك أخاه الإمام الحسين عليه السلام وحيداً
يواجه جيشاً يعد نحو ثلاثين ألف. فماذا عساه أن يفعل روحي وأرواح العالمين له
الفداء؟

الفصل الثالث: النفس الطاهرة الزكية



إن يوم الحسين (عليه السلام)
أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل
عزيزنا أرض كرب وبلاء، أورثتنا
الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء ..
فعلى مثل الحسين فليبك الباكون
الإمام الرضا (عليه السلام)

النفس الطاهرة الزكية.

وعاد الإمام الحسين عليه السلام إلى المخيم من
مصرع أخيه العباس حزيناً باكياً فما عساه أن
يفعل بعد أن احترق فؤاده الشريف الذي وعى
القرآن على مقتل أبنائه وأبناء أخيه الإمام الحسن
السبط عليه السلام.

وانكسر ظهره الذي حمل الرسالة عندما قتل ستة أو سبعة من إخوته اخرهم
أعظمهم.

وإنهدّ حيله بعد أن قتل أولئك الكرام من أصحابه الميامين الذين ما عرف
التاريخ مثلاً لهم أبداً في الصدق، والإخلاص، والوفاء. والذي زاد في غمّه هؤلاء
الأطفال، وأولئك النساء العزيزات الطاهرات. والذي أنهك قواه وقُلّل من عزيمته
الجوع الماحل، والعطش القاتل السلاح الفعّال الذي إستخدمه ابن سعد ضد
الإمام الحسين عليه السلام في تلك المعركة الرهيبة.

ولا بد له من القتال لأنه قال:

إن الدّعي ابن الدّعي ركز بين إثنين السّلة والذّلة
وهيهات منا الذّلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله
والمؤمنين».

ولا بدّ من الشهادة الشاهدة.

ونادى مودّعاً:

يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينه، يا رقية، يا
عاتكة، يا صفية. عليك مني السلام فهذا آخر
الاجتماع وقد قرب منكن الافتجاع.

فصاحت أم كلثوم:

يا أخي كأنك إستسلمت للموت.

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام:

يا أخته كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له
ولا معين؟

ف قالت يا أخي:

ردنا إلى حرم جدنا رسول الله ﷺ.

فقاله لها عليه السلام:

يا أخته هيهات، هيهات لو ترك القطا ليلاً لنام.

فرفعت سكينه صوتها بالبكاء والنحيب. فضمها الإمام الحسين عليه السلام إلى
صدره الشريف وهي إبنته الغالية وقبلها ومسح دموعها بكمه. وركب جواده
وتوجه إلى القوم اللئام وقال:

يا ويلكم علام تقاتلونني. على حق تركته أم على
سنة غيرتها؟ أم على شريعة بدلتها؟

فقالوا:

لا بل نقاتلك بغضاً منا لأبيك وما فعل بأشياخنا
يوم بدر وحنين.

فلما سمع كلامهم بكى وجعل ينظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً من أنصاره إلا
من صافح التراب جببته ومن قطع الحمام أنينه. فنادى عليه السلام:

يا مسلم بن عقيل، ويا هانيء بن عروة، ويا
حبیب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا يزيد بن
مظاهر. يا فلان ويا فلان. يا أبطال الصفاه، وفرسان

الهيجا مالي أناديكم فلا تجيبون، وأدعوكم فلا
تسمعون أنتم نيام أرجوكم أن تنتبهون أم حالت
مودتكم عن إمامكم فلا تنصروه؟. هذه نساء
الرسول لفقدكم قد علاهن النحول. فقوموا عن
نومتك أيها الكرام. وإدفعوا عن حرم الرسول
الطغاة اللثام. ولكن صرعكم واللّه ريب المنون.
وغدرك بكم الدهر الخوؤون وإلا لما كنتم عن
نصرتي تقصرون ولا عن دعوتي تحتجبون. فها
نحن عليكم متفجعون ولكم لاحقون فإننا لله
وإننا إليه راجعون.

وإنتضى سيفه البتار وآيساً من نفسه، موقناً باستشهاده عازماً على الموت
فداءً لدينه، وعيالات أبيه معرّفاً ومذكراً بنفسه الشريفة قائلاً.

أنا بن علي الخير من آل هاشم
كفاني بهذا فخرا حين أفخرُ
وجدي رسول الله أكرم من مضي
ونحن سراج الله في الأرض نزهرُ
وفاطمة أمي إبنة الطهر أحمد
وعمي يدعى ذا الجناحين جعفرُ
وفينا كتاب الله أنزل صادعا
وفينا الهدى والوحي بالخير يذكرُ
ونحن أمان الله في الخلق كلهم
نسُر بهذا في الأنعام ونجهرُ
ونحن ولاة الحوض نسقي محبنا
بكأس وذاك الحوض للسقي كوثرُ

فيسعد فينا في القيام محبنا

ومبغضنا يوم القيامة يخسر^(١)

وحمل على ميمنة ابن سعد وهو يرتجز ويقول.

الموت أولى من ركوب العار

والعار أولى من دخول النار

والله من هذا وهذا جاري^(٢).

وحمل عليه السلام على المسيرة الخبيثة وهو يرتجز ويقول.

أنا الحسين بن علي

ألات ألا أنثي

أحمي عيالات أبي

أمضي على دين النبي^(٣)

فأكثر القتل فيهم وهم يهربون من أمامه، وهو يطاردهم فقال عبد الله بن

عمار بن بغوث:

ما رأيت مكثورا قط قد قتل، ولده، وأهل بيته،

وصحبه أربط جأشا منه، ولا أمضي جنانا، ولا

أجراً مقدما ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه

إذا شدَّ فيها ولم يثبت له أحد. وبراوية أخرى كانت

الرجال تشد عليه فيشدَّ عليها بسيفه فتكشف عنه

إنكشاف المعزى إذا شدَّ فيها الذئب ولقد كان

يحمل عليهم. فينهزمون بين يديه كأنهم الجراد

المنتشر ويرجع إلى مركزه وهو يقول:

«لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٤).

(١) الأسرار الحسينية: ص ٤٥٨، عن المناقب وكشف الغمة.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٧١

(٣) مقتل المقرم ص عن مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٥٩

(٤) الأسرار الحسينية: ص ٤٥٦، العوالم: ص ٢٩٣.

فصاح عمر بن سعد بجيشه:

ويلكم هذا ابن الأنزع البطين. هذا ابن قتال العرب.
إحملوا عليه من كل جانب.

فأمطروه بالنبل فجرح عليه السلام جراحات عديدة، وعقر جواده فنزل عنه وراح يقاتلهم راجلاً. وهو يقول حسب راية (الصعصعة بن زهير) قال: سمعت الحسين عليه السلام يقول قبل أن يقتل، وهو يقاتل على رجله قتال الفارس الشجاع:

أعلى قتلي تحاثون.

أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله الله
أسخط عليكم لقتله مني. وأيم الله إنني لأرجو أن
يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث
لا تشعرون. أما والله أن لو قتلتموني لقد ألقى
الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى
لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.^(١)

وترك القوم وعاد إلى الورا ونادى بالبراز، وراح يقتل كل ما يبرز إليه. وفي
تلك الأثناء حالوا بينه وبين المخيم وحاولوا الاعتداء على الحريم والنساء بالسلب
والنهب. فصاح بهم الإمام عليه السلام:

ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان. إن لم يكن لكم
دين وكنتم لا تخافون الميعاد فكونوا أحراراً في
دنياكم هذه، وإرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً
كما تزعمون.

فناداه الشمر اللعين: ما تقول يا حسين؟ أو يا ابن فاطمة؟

فقال الإمام الحسين عليه السلام أقول:

أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن

جناح فإمنعوا عتاتكم وطفاتكم وجهالكم عن
التعرض لحرمي ما دمت حياً.

فقال اللعين لك ذلك يا ابن فاطمة.^(١) ثم صاح شمر اللعين بأصحابه العتاة إليكم
عن حرم الرجل وإقصوده بنفسه. فلعمري لهوكفو كريم. (وأعتقد أن هذا الخبيث
اللعين لم يتكلم بكلمة صادقة في عمره إلا هذه الجملة فعلاً.)

فعاد الإمام الحسين عليه السلام إلى عياله وأمرهم بالصبر والتصبر وبشرهم بأن
الله حاميتهم وحافظهم وأنه سينجيهم من شر الأعداء وأمرهم بعدم الشكوى،
ولا القول الذي ينقص من أقدارهم لأنه بلاء لا بد منه وفجاعة تستحق الصبر،
وأوصى العقيلة زينب عليها السلام بالعيال، والأطفال وخاصة بالعليل علي زين
العابدين عليهم السلام لأنه البقية الباقية والأثر الخالد للإمامة.

وفي الأثناء اتفق عمر بن سعد وشمر على أن يحملوا على الإمام
الحسين عليه السلام من كل جانب، ويضربوه بالسيوف، ويطعنونه بالرماح، ويرمونه
من بعيد بالسهم، والنار، والحجارة حتى يتقوا شجاعته لأنه سيفنيهم بالمبارزة
عن آخرهم كما اعترف شمر اللعين -

وبالفعل أمطروا الإمام عليه السلام بالسهم فأصابه سهم في حنكه الشريف
فنزعه. وأصابه آخر في جبهته الساجدة إلى الله. وأصابوا جميع أنحاء جسمه
الشريف ورضخوه بالحجارة من كل جانب فُرُضَ جسده الشريف. وكان ويتلقى كل
ذلك وهو يقول:

يا أمة سوء. بئسما خلفتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عثرته.
اللهم انتقم لي منهم من حيث لا يشعرون.

فقال لحصين بن مالك السكرني الخبيث:

يا ابن فاطمة. بماذا ينتقم لك منّا.

فقال الإمام عليه السلام:

يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثم يصبّ

(١) مقتل المقرم عن اللّهُوف ص ٦٧، الأسرار: ص ٤٦٤، البحار: ج ٤٥ ص ٦١.

عليكم العذاب الأليم^(١).

وبينما كان الإمام عليه السلام وفي تلك الحالة من الجراح إشتد! عطش الإمام الحسين عليه السلام والمجروح وبطبيعته يطلب الماء. إلا أن الشمر اللعين رفض سقيه الماء قائلاً: آثماً:

لا تذوقه حتى ترد النار.

وقال خبيث آخر يا حسين:

ألا ترى الفرات كأنه بطون الحيات فلا تشرب منه
حتى تموت عطشاً.

فأصيب عليه السلام بأكثر من سبعين جرح في جسده الشريف وما زال واقعاً ويقول:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صامد
يكثر من الحقولة.

وبينما هو كذلك إذ أتاه حجر على رأسه الشريف، وراحت الدماء الزكية تسيل على عينيه المباركتين، وإشتغل يمسح الدماء عنهما لكي يرى الأعداء من أين يأتون. وإذ بسهم مسموم وكل سهامهم كانت مسمومة ثلاثي الشعب أتاه في صدر الشريف فانغرز إلى قلبه العظيم فقال عندها الإمام عليه السلام:

بسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله ﷺ.

وضعف الإمام الحسين عليه السلام عن القتال فأتاه (مالك بن أنس) الخبيث وضربه بالسيف على برنسه قطعه، وضربه (زرعة بن شريك التميمي) الخبيث ضربة نكراء. ورماه سنان بن أنس) الخبيث بسهم في نحره. وطعنه (صالح بن وهب المرّي) الخبيث برمحه على خاصرته طعنة منكرة. فسقط الإمام الحسين عليه السلام على الأرض. وعالج نفسه حتى إستوى جالساً فضربوه حتى إستلقى. فصنع مخدة من الرمال. وهم ينوشونه من كل إتجاه، ويضربونه بكل أسلحتهم، حتى نزل إليه الشمر اللعين. فضربه برجله الشلاء وأمسك بلحيته الشريفة.

(١) مقتل المقرم عن العوالم ص ٩٨ عن اللّهُوف ص ١٨٩

فنظر الإمام الحسين عليه السلام إلى وجهه الخبيث فرآه أبرصاً أبقع، فقال له عليه السلام:

أنت إذن الكلب الأبقع الذي رايته في منامي.

فثار الثور بلب الكلب العقور وقال:

أتشبهني بالكلب يا ابن فاطمة. واللّه لأذبحنك

من قفاك، فضربه اللعين حتى أخذ الأرض بمقدام

جسده الشريف فاحتز رأسه الشريف من القفا.

وعاد إلى سيده وقائده عمر بن سعد مذهوياً منتصراً حاملاً رأس الإمام

الحسين عليه السلام.

هكذا كانت نهاية القائد التاريخي لجبهة الحق الإمام الحسين بن

علي عليه السلام على أيدي آثمة غادرة من شذاذ الآفاق، وقتلة أولاد الأنبياء. وذلك

ليرضوا قادتهم، وقائد جبهة الباطل ابن زياد وقائده الأقدم يزيد بن معاوية بن أبي

سفيان.

فالحق والباطل سيفان متقاتلان أبداً. وغداً يخسر

هنالك المبطلون.

وسيعلم الذين أظلموا آل محمد أي منقلب

سينقلبون والعاقبة للمتقين.

ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الخاتمة



أميري حسين ونعم الأمير

سرور فؤاد البشير النذير

علي وفاطمة والداه

فهل تعلمون له من نظير..

الشهيد الشاب عمرو بن جنادة

نقد وتحليل المعركة

ابتدأت المعركة في صباح يوم العاشر من المحرم
سنة ٦١ للهجرة الشريفة.

انتهت المعركة في عصر ذلك اليوم تمام العاشر من المحرم. وتجددت منذ أن
انتهت.

مدتها لا تتجاوز عدة ساعات من عمر الأيام والأزمان. إلا أنها مستمرة إلى آخر
الأيام. (فكل يوم عاشوراء).

ساحتها: هي تراب ورمال أرض يقال لها: كربلاء في العراق الأوسط الحزين.
إلا أنها اتسعت حتى شملت جميع بقاع العالم، بحاره وسمائه، وأينما يوجد حق
وباطل. (فكل أرض كربلاء).

أعداد جيش ابن سعد يزيد عن الثلاثين ألف أما أصحاب الإمام الحسين عليه السلام
فلا يتجاوز المئة وخمسين بطلاً فقط لا غير.

أما النتائج: فعلى أرض المعركة أبيدت قوات (رجال) الإمام الحسين عليه السلام
تماماً

وقتل عدد ليس بالقليل من جيش ابن سعد ربما قدره بخمسة إلى عشرة آلاف
قتيل وحسب أقل الروايات: (١٥٠٠ قتيل)..

أما على ساحة الحياة والصراع الدائرة بين الحق
والباطل فعاش الإمام الحسين عليه السلام وصحبه
الكرام في القلوب والضمائر الحرة.

وأبيد الأمويون وأنصارهم وكُتبت دولتهم في
مزابل التاريخ، وأصبح رجالها لعنة الأجيال ومثار
اشمئزاز من مجرد ذكر أسمائهم الخبيثة والى اليوم
هم راية الخيانة، والديانة، والنجاسة.

فما هو حال الجيشين والموقفين التكتيكيين على تراب كربلاء المقدس؟

جيش الإمام الحسين عليه السلام

جيش تمثل به الحق فصار رمزاً للحرية، وراية إنسانية.
دافع عن منظومة القيم والمثل العليا فصار ملاذاً للشجاعة، والإباء، والإيثار،
والفداء.

ليتحول بعد معركة كربلاء الى قيمة حقيقة تضاف إلى تلك القيم السامية في
الحياة الإنسانية.

فمن ناحية الالتزام: فقد كانوا قمة في الالتزام الديني، والخلقي وكلهم وعى
الإسلام، ورعى حق رسول الله ﷺ ودافع عن دينه، وقرآنه وإمامه حتى استشهد.
أما من ناحية الانضباط العسكري الذي يُعرّف: بأنه الالتزام في تنفيذ الأوامر
العسكرية وعدم مخالفتها قيد شعره، وعدم المماطلة، أو التسويف، أو المناقشة
في التنفيذ. ويعتبر الانضباط من المعايير والمحكات التي تقاس بها قوة أي جيش
من جيوش العالم وهو يشكل عامل من العوامل التي تساعد على صيانة المعنويات،
وتحقيق الصمود النفسي، والفعلي للمقاتلين، والجماعات العسكرية ويمكن أن
نميز نوعين من الانضباط في الخبرات العسكرية.

الأول - الانضباط القسري: أي تنفيذ الأوامر والتعليمات بالإكراه والإجبار دون
قناعة ذاتية - وعدم التفكير بها أصلاً - من المقاتلين كحال جيش ابن سعد وابن
سعد نفسه حتى.

الثاني - الانضباط الطوعي (التلقائي): أي تنفيذ الأوامر بدقة وعن قناعة تامة ووعي
كامل كأصحاب الإمام الحسين عليه السلام جميعاً.

إن الانضباط العسكري، والروح المعنوية، شبه
 فعلا متكاملا وذلك لأن الانضباط يعزز ويقوي
 الروح المعنوية، والروح المعنوية العالية تؤدي
 إلى الالتزام بالأمر ومحاولة تنفيذها بدقة وبروح
 متفتحة، ونفس مطمئنة. وهذا كان واضحا في جيش
 الإمام الحسين عليه السلام.

وفوائد الانضباط في رفع الروح المعنوية: هي من عدة اتجاهات، وفي عدد من
 النقاط أهمها:

١. الانضباط يرسّي ويرسخ دعائم المعنويات والروح المعنوية.
 ٢. الانضباط يساعد المقاتل على التكيف مع زملائه وقادته والحياة العسكرية بشكل عام.
 ٣. الانضباط يعلم الأفراد والمقاتلين التضحية والإيثار ونكران الذات في سبيل تنفيذ الواجبات.
 ٤. الانضباط يصون أمن الجيش ويعزز روح الوحدة والتماسك فيه.
- وكل هذه العوامل هي بمثابة أعمال معنوية تزيد من الروح المعنوية وفعالية
 الجيش، وخاصة في الأعمال القتالية وهناك دور بارز للقائد في كل ذلك لأن القائد
 يجب أن يكون مميّزا عن البقية مبدعا، واستراتيجيا في تفكيره، وحكيما في
 قراراته.

وحديثا وضعوا شروطا ومواصفات وقالوا: يجب أن يتصف بها القائد الناجح
 وأهمها.

١. العقيدة: أي يجب أن يتمتع بعقيدة راسخة.
٢. الذكاء والمبادرة والاعتماد على النفس في الأوقات الضرورية الحرجة.
٣. الإرادة القيادية والقدرة التنظيمية للجيش والعمليات الحربية.
٤. الإعداد العسكري العالي والثقافة العامة المرموقة.
٥. إمكانية تربية وتدريب المقاتلين.

وقديما ذهب أمير المؤمنين إلى أكثر من (١٥) نقطة يجب أن تتوفر في القائد
 وقد ألمعنا إليها فيما سبق. ولكن لننظر إلى ساحة كربلاء بمنظار حديث وبالشروط

السابقة فماذا نجد؟؟

إن انضباط أصحاب الإمام الحسين كان طوعياً نابعاً من قناعة تامة بعدالة الموقف، وأحقية الإمام الحسين عليه السلام بقيادة الأمة، وأحقية الإسلام الحنيف على الجاهلية الأموية الطالمة فلذا لم نجد أي واحد منهم يتخلف، أو يناقش، أو يتقاعس عن تنفيذ الأوامر لابل كانوا يتسابقون إلى الشهادة، ويوصي القتل الحي بالموت في سبيل الإمام الحسين عليه السلام ودفاعاً عنه.

وكانوا يتمتعون بروح معنوية عالية جداً لم يسجل التاريخ مثلاً لها. إلا أنها كانت هي المثال والمثل معاً. لأنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم الله هدى. فتسابقوا إلى الموت وأيقنوا بالجنان ورأوا أماكنهم في الجنة فراحوا إليها بلهفة وشوق عجيبين.

وذلك لأنه كتب المقاتل تروي: أن الإمام القائد الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء وبعد خطبة الامتحان وسماعه أجوبة الأهل والأصحاب جزاهم خيراً وكشف لهم عن بصائرهم فكان بصرهم حديد نافذ فرؤوا كل واحد منهم مكانه ومكانته في الجنة ودونما أية موارد أو مقاربة رأوها رؤيا العين واستقينتها أنفسهم الشريفة، وتاقت إليها أرواحهم الطاهرة. فتسابقوا على الموت كتسابق أصحاب ابن سعد إلى الحياة وأكثر.

وبهذه الروح المعنوية العالية تعامل الأصحاب مع القائد العام عليه السلام وأبنائه، وأخوته، وخواصه. فتعاهدوا فيما بينهم أن لا يبرز واحد من الهاشميين وفينا واحد حي أبداً بل نقيهم بأنفسنا وأرواحنا وندافع عنهم ما دمنا على قيد الحياة وإذا قتلنا عن آخرنا كان لهم ما يريدون. ومن هذا الموقف ربما تلاحظ مدى إثارة وإخلاصهم وفداؤهم للإمام الحسين عليه السلام وخواصه وكذلك رغبتهم في عدم رؤية الإمام الحسين عليه السلام منكسراً متفجعاً إذا قتل أحد خواصه الكرام وهذا لا يأتي إلا من روح عانقت العلياء، ونفس سمت فوق السماء.

وربما تسأل - وهذا حقك - ما مدى تأثير القائد العام على مجريات الأحداث

في كربلاء؟

إن للقائد دوراً هاماً وبارزاً جداً وهو بمثابة المحور لجميع الأحداث والتطورات المرافقة أثناء التحضير وخوض العمليات القتالية وهو الذي يشار إليه بالبنان وعلى حياته ربما تقف نتائج المعركة نصراً أو هزيمة.

والإمام الحسين عليه السلام هو محور دائرة الإمكان كلها يومذاك وليس محور معركة كربلاء وباستشهاده المفجع أعلن يزيد النصر في المعركة باعتباره القائد الأعلى والأقدم في الطرف المعادي لشخصه ونهجه الشيطاني لأن استشهاد القائد لجهة الحق بعد جنده كلهم - هذا يعني انتصار الباطل على الحق وهذا ما لا يكون أبداً في (الإستراتيجية) لان الحق يعلو ولا يعلى عليه. وإذا كان للباطل جولة فللحق جولات.

أو كان له صوله فللحق صولات. لان الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾

[الإسراء: ٨١]

واستشهاد القائد العام لجند الحق جعل راية الحق، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ خفاقة فوق الراوي والقلوب، ورسخ قاعدتها في الضمائر والنفوس الشريفة، والقلوب السليمة النظيفة أبد الآباد، ودهر الدهور والعصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بتلك الراية الإلهية العظيمة.

وأما عن جند الإمام الحسين عليه السلام جند الحق فقد كانوا قمة في الإيمان حتى وصلوا إلى (حق اليقين) وقمة في العطاء (حتى ضحوا بأنفسهم) الكريمة لإمامهم وقائدهم. وقمة الفداء والإيثار (حتى قدموا

أجسادهم الطاهرة فداء لرسالتهم، ودينهم،
وعقيدتهم. لتبقى خالدة ويكونوا فيها شهداء بررة
عند ربهم يرزقون.

واستمدوا من قائدهم الأقدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كل تلك القيم والمبادئ لأنه ما فتىء يذكر
لهم: أنه المقتول ظنماً على تراب العراق. وهم على يقين أنه يعلم تمام العلم
الأسلوب والطريقة الشنيعة لاستشهاده المشرف. إلا أنه لم تتزعزع منه شعرة، ولم
يرتجف له عضو، ولم يهتز لشيء أبداً. لأنه كالأجبال الرواسي لا تززعها العواصف
مهما اشتدت وقويت ولا تؤثر بها القواصف مهما عظمت.

فاستمدوا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا التصميم على الشهادة. وهذا الثبات على الموقف
الحق. وهذا العناد من أجل مناجزة ومحاربة الباطل لدحضه مهما غلا الثمن وعظمت
التضحيات فالدين أئمن، والرسالة أعظم فقدّم كل واحد منهم كل ما عنده حتى
جسده، وروحه، إلا أنه كان يتمنى: لو كان عنده أكثر أو أن يحيا ليعيد الكرة فيقتل
ويدفع بذلك عن قائده العظيم.

وأقوال الأصحاب تشهد في ليلة عاشوراء، وأفعالهم تؤكد في يوم عاشوراء على
ذلك من صدق النية وسلامة الطوية وإخلاص العمل لوجه الباري عز وجل.

أوسمة كربلاء

الأهل والأصحاب وبعملهم هذا استحقوا الأوسمة التي منحهم إياها الإمام الحسين عليه السلام والتاريخ، والحقيقة.

والوسام: هو عبارة عن شارة أو رمز لشيء عظيم يعطى لامتيزين، ولأصحاب السبق، والفضل، والشجاعة، والكفاءة من الجند ضباطاً وأفراد. أو من أصحاب السيادة والسياسة تقديرًا من المانح إلى الممنوح له ذلك الوسام.

وعادة يعلّق على الصدر فوق القلب مباشرة وتصحبه شهادة تقديرية وهو ذو مراتب ودرجات مختلفة بين السمو، والرفعة ولها في وقتنا الحاضر أهمية كبرى وأصحابها لهم امتيازات وتقديرات يمكن أن تفك أحدهم من حبل المشنقة كما يقال في الأمثال.

بالإضافة إلى أنه «الوسام» يكون مصدر فخر لصاحبه ولعقبه من بعده إذا ما كان من الدرجات العالية يضاف إليها وشاحاً أكبر أو أصغر أو غير ذلك من الأمور الرمزية والمتعارف عليها عالمياً إلا أن لكل دولة شاراتها الخاصة بأوسمتها وذلك لأن لها أعياداً ومناسبات وأمجاد تفخر بها وتحب أن تخلّد لها لاسيما العظماء منها والانتصارات لها.

وأوسمة كربلاء كانت أوسمة خاصة ومميزة جداً وتقسّم إلى عدة أقسام وأنواع.

فهناك أوسمة جماعية، وأوسمة فردية، وأوسمة خاصة بأفراد من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام. إلا أن صدورهم لم تحملها للأسف الشديد - لأنها داستها الخيل الباغية فحملها صدر الزمن. وهم لم يفخروا بها لأنهم قتلوا ففخرت بهم الأجيال والأيام. وهما ماتهم لم تعتر بها إلا أن الإسلام اعتر بفعلهم. ورؤوسهم لم تشخ لأنها قطعت، فشمخ بهم رأس الحق وظهر على المدى.

ولم يتوارث الأبناء الشارات والشهادات، بل توارثوا الثورات، والشعارات ولم يعطوا الوشاح فكانوا هم الوشاح الكربلائي للأيام والليالي عبر العصور.

وغدت أوسمة كربلاء معلقة على صدر - بل جبين - السماء مصنوعة ومنسوجة من الدماء. مطرزة من خيوط الشمس الذهبية. مرصعة بحبات اللؤلؤ من الماء والبكاء تهدي الأجيال وتذكر أهل الأرض بموت العظماء، ووقفه الإباء، وموت بل حياة كربلاء.

فأوسمة كربلاء أوسمة عز، وفخر، وكرامة. كسبها واستحقها رجال عظماء قتلوا في سبيل الله فكانوا شهداء ففخرت بهم الليالي والأيام الإسلامية وكانوا للحناجر الملهوفة أشبه بالنداء وأصبحوا رمزا للصبر والشكر عند نزول البلاء.

والحديث يطول، والشرح يأخذنا إلى كل فرد من أفراد كربلاء لنقف إلى جانبه ونحيي به: بطولته وشجاعته ونرفع له أوسمته ونعلقها على وجدان، وضمير الإنسان - أي إنسان - فإنني لم أقصد شخص معين في مكان أو زمان بل الذي قصده أن الإمام الحسين عليه السلام كان إمام الثقلين الإنس والجن وما زال وثورته كانت لكل إنسان إلى أن ينتهي عمر الزمان والمكان فصدي ثورته عم الخافقين وأقام الحجة على أهل الثقلين ولا قرّت

أعين الجبناء. فهكذا صرخت كربلاء.

وستجد جدولاً خاصاً بالأوسمة، والشهادات الكربلائية في قسم الملاحق أن شاء الله فراجع.

فأصحاب الإمام الحسين عليه السلام وجنده ضربوا أروع الأمثلة في الانضباط العسكري الطوعي النابع من أعماق الضمير ووعي كامل للحق والحقيقة مما حدا بهم إلى أن يقف كل واحد منهم أمام إمامه وقائده يستأذنه بالموت فيسلم عليه ولا ويكون آخر صوت منه إذا صدر منه صوت «السلام عليك يا أبا عبد الله» وكانوا كتلة واحدة رغم قتلهم فقد فتكوا بجيش المرتزقة، وشذاذ الآفاق الذي يقوده عمر بن سعد أشد الفتك وذلك لشدة لحمته واستماتتهم في الدفاع عن حقهم وقائدهم. وهذا الانضباط العسكري العجيب، وهذه الروح المعنوية العالية، وهذا الإيثار الإيماني الخالص: هو من نتائج النفوس الطاهرة، والأرواح الذكية، وللقائد العظيم الإمام الحسين عليه السلام القائد الأقدم لسفينة الحق التي قادها ربانها إلى ربها راضية مرضية.

جيش ابن سعد

جيش خائن. خائن القوى، يقاتل دفاعاً عن
الظالمين، وعن الطغاة الجبارين، والكل منهم يعلم
أن ليس لهم من الحق قيد أنملة أو ثقل شعرة، أو ذرة
من غبرة.

والكل منهم يعلم أنه يقاتل إمامه وسيده ومن لزمته
بيعتة بالأمس.

وكل واحد منهم يعلم تمام العلم أنه يقاتل ابن بنت نبيه ﷺ إذا كانوا
مسلمين، وهم إدعوا الإسلام والإسلام منهم بريء.

والكثير منهم يعلم حقيقة العلم أنه يقاتل سيد شباب أهل الجنة.
والكل يعلم أنه مذب وأثم وربما كافر إذا قاتل الأمام الحسين عليه السلام وهذا يعني
أن أعظمهم موقن بالنار وبئس المصير من هذا الفعل الشنيع.

والكل يعلم أن يزيد وابن زياد، لا يصلحون إلا للفسق، والفجور، وضرب
العود، واللعب بالقروود والفهود. وهم أبعد ما يكونا عن الإنسانية لا الإسلامية.
فأمراؤهم أمراء شياطين زناة ملاعين بكتاب الله وعلى لسان الصادق الأمين رسول
الله محمد ﷺ.

فالكل إذن موقن وعنده قناعة تامة أنه خاسر لا شك لأنه بائع دينه ودينه بدنيا
غيره، والمستفيد في أرض المعركة هم ابن سعد الذي يطمع بملك الرّي وبعض
القواد الآخرين الذين يطمعون بفتات ابن زياد من جند وشرطة وغير ذلك والمستفيد

الأكبر في دنياه هو يزيد بن معاوية بحيث يأخذ بثأر أجداده اللعناء الذين قتلهم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ببدر، وأحد، والأحزاب وغيرها. ويطمئن باله على ملكه بحيث إنه أزاح أكبر عقبة تعترض طريق دنياه الدنية.

فالجيش الكوفي كان يقاتل ويرى في جند الإمام الحسن عليه السلام سادة الدنيا، والعلماء، والقراء، وأهل الفضل والإحسان ومن كل عشيرة كان لا أقل من واحد وأكثر مع جيش الإمام عليه السلام فكانوا يقاتلون وهم يبيكون وأكبر شاهد على ذلك أن الكثيرين منهم كان يحجم عن القتال أو يفر من لقاء بعض الأبطال المعروفين من النّسّاك والقراء فضلاً عن لقاء الإمام الحسين عليه السلام وكذلك قصّة ذاك الكوفي الجلف الذي جاء إلى إحدى حرائر الوحي والرسالة ويقال: أنها فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام وأخذ أقراطها ومصاغها وهو يبكي.

فقلت له: ويلك يا هذا لماذا تبكي؟

فقال: لما يحدث لكنّ. أو لما حدث بكم يا أهل البيت عليهم السلام.

فقلت له: إذن لماذا تفعل بي أنت ذلك وتأخذ أقراطي وتفزعني؟

فقال لها الغبي: لأنني إذا لم أخذه أنا أخذه غيري، وأنا أحق.

انظر إلى هذه الروح الانهزامية، وإلى مثل هؤلاء الأغبياء، وإلى هذا المنطق الغريب والعجيب في المقاييس الإنسانية. يبكي عليهم ولما يجري لهم وهو مشارك في الدماء ويشارك بالسلب والنهب والإفزاز لثقل الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله.

فالروح المعنوية لجيش ابن سعد كانت في أسفل الحضيض إلا أن كثرة العدد جعلهم يتغلبون على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ولكن ليس بالسهولة المتوقعة فقد قُتل منهم عدد كبير وخلق كثير.

والانضباط في جيش ابن سعد كان قسرياً ناتجاً عن الخوف والرعب وليس عن القناعة الراسخة والتامة بعدالة موقفهم وأحقّية واستحقاق قائدهم وأميرهم الخبيث ابن سمية المعروفة عندهم أكثر من غيرهم فلا انضباط في ذلك الجيش أبداً وذلك لأن أصحاب التواريخ وأرباب المقاتل يروون أن الفارس الواحد كابي الفضل العباس عليه السلام كان يهزم أربعة آلاف حتى يصل إلى مشرعة الفرات. وأحداهم قواعد

الانضباط الثبات حتى الموت. وهنا نرى الفرار لا الثبات والفرار نتيجة الضعف أو الجبن أو الخوف أو الجميع معاً.

أما القائد العام لجيش الباطل فهو (عمر بن سعد) الشاب الذي لم تعركه الحياة ولم يترسخ فيه الإسلام وهو طامح إلى الولاية والأمانة واستغل (ابن زياد) هذا الطموح: بثس استغلالاً فمناه بملك الرّي وأمره على ثلاثين ألف مقاتل وربما أكثر لو طال الزمن إلا أنه يعلم تمام العلم أنه كافر بفعلته تلك وهذا واضح من أبياته المشهورة التي يقول فيها:

واللّه ما أدري وإنّي لحائر

أفكر في أمري على خطرين

أتترك ملك الرّي والرّي منيتي

أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

فقتاله للدنيا ولا تتحقق أمنيته إلا بقتل الدّين في نفسه ورموزه في الحياة وبذلك

يرضي سيده ابن سمية ويغضب خالقه وبئس ما كانوا يفعلون.

حسين ابن عمي، والحوادث جمة

ولكن لي في الري قرة عين

يقولون: إن اللّه خالق جنة

ونار وتعذيب وغل يدين

فان صدقوا فيما يقولون، إنني

أتوب الى الرحمن من سنتين

وإن اله الكون يغفر زلتي

وإن كنت فيها ارذل الثقلين

وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة

وملك عظيم دائم الحجلين

ألا.. إنما الدنيا لخير معجل

وما عاقل باع الوجود بدين^(١)

وبرواية ابن الأثير في الكامل في التاريخ الذي يروي بيتين فقط هي

أترك ملك الري والري رغبة

أم أرجع مذموماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها

حجاب وملك الري قرة عين^(٢)

الله وحده كان هو هدف الإمام الحسين عليه السلام وليس الدنيا ولذلك نجد أن

الإمام الحسين عليه السلام كلما قُتل أحد أصحابه أو أبنائه أو جرح جرحاً كان يقول:

بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله ﷺ هوّن

عليّ ما نزل بي أنه بعين الله.

وابن سعد كان يقول:

اشهدوا لي عند الأمير أنني أول من رمى.

فالفارق واضح والاتجاه بَيّن:

فالأول إلى الحق ولوجه الحق تعالى. والثاني للباطل

ولأمر ابن زياد ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

فالأول رحمة ونهايته عند الله الجنة. والثاني لعنة ونهايته خزي وقتل في الدنيا

وفي الآخرة النار وغضب الجبار وبئس القرار.

إلا أن جيش ابن سعد كان قاعاً في النذالة،

وحضياً في الإنسانية لان الإمام الحسين عليه السلام

وبخطبه خلال تواجده على أرض الطفوف

قد أثار بهم النخوة. فلم يستجيبوا.

واستثار بهم الإسلام كعقيدة. فلم يقنعوا.

(١) الشهيد والثورة ص ١١٤ السيد هادي المدرسي .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٤ ص ٥٣ ابن الأثير .

واستثار بهم الإيمان، والتقوى. فلم يتقوا.
 فاستثار بهم العروبة وشهامتها. فلم يذكروا.
 واستثار بهم الأخلاق الفاضلة فكانوا منها قد ابعدوا.
 واستثار بهم العواطف بالإستغاثات. فتجلدوا.
 واستثار بهم الرحمة الإنسانية حين أعطاهم ولده
 الرضيع فتبلدوا.

فكانوا. وكانوا. ويابئس ما كانوا حقاً. لأن الله سبحانه ضرب على قلوبهم،
 وسمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة عند ما أرادوا الخيانة والنكث بالبيعة وسلموا
 قيادهم اللقطاء وأبناء البغايا فلم يفهموا حتى الكلام وهو عربي مبين من سيد البلغاء
 يومها الإمام الحسين عليه السلام.

إذ كيف يفهم الجند كلام الإمام الحسين عليه السلام وأحد أبرز قادتهم يقول له: إنه
 يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول. فما حال جيش مثل هذا من قاداته. فهم صم
 وعمي، وبكم لا يعقلون. أو هم كالخشب المسندة التي لا فائدة ترجى منها إلا وقوداً
 للنار. وهكذا مصير الكفار.

فجيش ابن سعد هو الذين نقل مظلومية أهل البيت عليهم السلام إلى الناس وإلى
 التاريخ ولأول مرة في التاريخ يشارك الظالم والجزار بنقل مظلومية وأحقية الضحية
 لأنه لأول مرة يذبح الحق وأصحابه بهذه الطريقة التي ما عرف التاريخ أبشع منها
 فعلاً وفاعلين. وأعظم شهداء مقتولين.

فجيش الباطل والمتمثل بابن سعد ومن كانوا
 معه قتلوا الرجال، والشباب، والأطفال، وقطعوا
 رؤوسهم ورفعوها على الرماح بعد أن اقتسموها
 كالذهب الذي يستولي عليه الجند. وهم لم يقتسموا
 الذهب بل اقتسموا الرؤوس لأنها كانت أغلى
 وأعلى من الذهب فعلاً.

ولم يكتفوا بذلك فدا سوا الأجساد الطاهرة بأرجلهم وحوافر خيلهم، وعفروها

بالتراب بعد أن غسّلتها الدماء وبفعلهم ذاك اثبتوا حقدهم، ودناءتهم، ولم يفعلوا شيئاً بتلك الأجساد المقطعة لأن الذبيحة لا يهمها شيء بعد أن تفري أو داجها. وتركوهم على التراب وهم أبناء وأحفاد أبو التراب أمير المؤمنين الإمام علي عليهم صلوات الله جميعاً.

ويلهم كيف استطاعوا أن يفعلوا ذلك - وبالفعل الإنسان من أبشع الوحوش إذا تخلّى عن إنسانية - قطعوا الرؤوس، ونهبوا، وسلبوا العتاد والسلاح، ورَضُّوا الأجساد وتركوها تسفي عليها الرياح الرمال والتراب دونما دفن فتحوم فوقها الصقور والعقبان. وتدور حولها الوحوش الكاسرة وغيرها من الحيوان.

ولم يكتفوا بذلك بل راحوا إلى الخيام وحرقوها، وراح النساء والأطفال يتراكمون في كل الإتجاهات خائفات مذعورات وليس لهن ولي ولا لهن حمي فلاذوا بالسيدة زينب العقيلة عَلَيْهَا السَّلَامُ حين احتوشتهم تلك الوحوش من كل جانب وأخذوا كل ما حملن من متاع وربطوهن بالحديد ببعضهن وساقوهن أسرى يدورون بهن في البلاد والناس الهمج يستقبلوهن بالفرح والزغاريد وكأنهن أسارى الترك والديلم.

حقيقة فعلوا أفعالاً لا تسود صفحات التاريخ إن ذكرت ولم يخلدوا إلا باللعنات تلاحقهم أينما ذكروا سبحانه يقول ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

فبالتكتيك: لقد خسر الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ المعركة حيث أبيدت جنوده كلها وأخذ ثقله ونسائه أسارى إلى الوالي الظالم ابن سمية، ومنه إلى ابن ميسون. وربح المعركة ابن سعد على أرض كربلاء إلا أن خسائره كانت فادحة والنصر ونشوته هو الذي أنساه وواساه عن تلك الخسائر الكبيرة.

ولو دققنا النظر وأمعنا الفكر في الثورة الحسينية المباركة نجده هو المنتصر

في التكتيك حتى. وصحيح انه استشهد عصر العاشر من المحرم في مطلع عام ٦١ للهجرة الشريفة ألا انه لم يضر. ألا بضع سنوات حين أبيد جميع أعدائه أما بسيف بعضهم البعض أو بسيف المؤمنين وهذا انتصار في التكتيك يومذاك لأن الحروب كانت تدوم سنوات طوال وربما وصلت إلى ٥٠ سنة أو أكثر كحرب داحس والغبراء أو البسوس والحرب كما هو معروف كر وفر ويوم لك وآخر عليك والمنتصر هو الذي ينتصر أخيراً والذي يضحك أخيراً يضحك كثيراً

وانتقام وثأر الإمام الحسين عليه السلام من الظالمين لم يطل إلا القليل من السنوات وبهذا المنظور المنصف نجد أن انتصار الإمام عليه السلام تكتيكي واستراتيجي لأن الصراع صراع عقائد ومناهج قبل أن يكون صراع شخصيات وقوات والبقاء لنهج الحق أبداً.

أما بالاستراتيجية فلقد ربح الإمام الحسين عليه السلام المعركة بشكل مذهل حيث رفعت رايته المباركة منذ أن رفع رأسه الشريف على الرمح ولم تنزل حتى أطاحت بجميع الجند الذين شاركوا بالمذبحة الرهيبة قادة وجنود قتلة بقتلة ومثلة بمثلة وذلك في الثورات المتتالية والمتعاقبة وخاصة ثورة المختار الثقفي الذي صفّاهم وبعث برؤوسهم إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

وأما الدولة الأموية فقد أطاحت بها تلك الراية المباركة فالذي أثبتته التاريخ أن شعار (يا ثارات الحسين عليه السلام) هو الشعار الذي أسقط الدولة الأموية في الماضي القديم وهو مازال يسقط الباطل أينما وكيف اتجه.

فالحق هو الرابع وأصبح الإمام الحسين عليه السلام رمزه ورايته وشعاره المقدس. والباطل هو الخاسر وأصبح يزيد ابن زياد لعنة من لعناته المخزية.

فان استشهد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء
فقد عاش الإسلام في الحياة واخضر عوده ونمت
فروعه بعد أن سقيت نبتته بدماء طاهرة زكية وان
ذبح أبنائه بين يديه المباركتين فقد عاش بهم أبناء
الرسالة على المدى.. وان قدّم أخوته إلى الجلادين
فقد أنعش أخوة الإيمان في المؤمنين.. وان قدم
أصحابه إلى السيوف تقطعهم فقد قطع بهم الكفر
والنفاق وفي التاريخ خلدهم.

وإن قدّم نفسه الزكية وذاته القدسية إلى سيوف
الحقد الأموية فقد أحيا ذات الإسلام ودين الديان
وأنقذ الكثير من الأنفس البشرية.

وإن سُبت عياله وبناته فاثبت أن الحقيقة وبنت
الحقيقة بين الجهال مسيبة.. فعلوا أفعالهم الشنيعة
وما دروا أن ذاك الجسد المقطع سيقطعهم بسيفه
المنشوق الذي أصبح أطول سيوف الحق
التاريخية.. وان ذاك الجسم المروض بحوافر
خيولهم أنه سيرض ضمائرهم ويقض مضاجعهم
ولا يجعلهم ينامون أو يهجعون أو بين أنفسهم
وعيالهم يرتاحون.

وان تلك الجثة الشريفة المرملة بالتراب والرمال ستجعلهم يقولون يا ليتنا
كنا ترابا ووالينا أبو التراب وقتلنا مع الإمام الحسين عليه السلام فيمن قتل من
الأصحاب.

ورفعوا رأسه على القنا وفوق رؤوس الرماح، وما
دروا أنهم يرفعون راية الحق الإلهية. وراية المظلومية

الرسولية. وراية الفداء الحيدرية، والحسينية وهي
رايات ثلاثة جمعت في واحدة مكتوب عليها:
لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ علي ولي
الله.

وهي أرفع رايات الحرية والعدالة الإنسانية على مدى الأيام والليالي إلى قيام
الساعة بأذن الله.

ورفعوا رؤوس الأبناء، والأخوة، والأصحاب، وداروا بهم في طول البلاد
وعرضها وما عرفوا أنهم رفعوا راية خزيهم، وظلمهم، وعتوهم. وأعلنوا كفرهم
على رؤوس الأشهاد وانتشر بلاؤهم وافتضح أمرهم في طول البلاد والعباد فكانوا
لعنة اللعنات.

يا ويلهم ما أغباهم واقل إدراكهم للأمور. وذلك
حين نظروا إلى تلك الأجساد الشريفة المقطعة
والمرملة على الأرض تسفيها الرياح: أنها مرفوعة
الرأس على الرماح لأنها أعلى هامة وأصلب عوداً
وتقدست تلك الرماح بهم. فدمدم العمود، وهمهم
السنان، وخرجت يد من حديد وكتب على الجدار
بدماء قانية.

أترجوا أمة قتلت حسناً

شفاعة جده يوم الحساب

ألم يلحظوا - هؤلاء الأغبياء - أن الرياح حين راحت تسفي الرمال والتراب
على تلك الأجساد الطاهرة أنها كانت تعمل من أجل دفنهم وإخفاء معالم أجسادهم
لأنها ضجت ملائكة السماء ولم تستطع النظر إلى أهل الأرض من فداحة المأساة،
وعظمة الجريمة النكراء.

جسد الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه، وأخوته،
وأصحابه مقطعة مرملة مرمية في البداء بلا غطاء،

ولا وطاء تلفحها شمس الصحراء، وتحرقها رمال
الرمضاء إن هذا لم يستطع احتماله أهل السماء
فعلاً.

ألم يفرحوا - البلهاء - حين رأوا الصقور والعقبان تدور فوق تراب كربلاء
منتظرة خروجهم لتنقض إلى تلك اللحوم الشريفة لتتغذى بها. وغاب عنهم أنها تدور
والهة حائرة ولا تعرف كيف تدو كتلك المرأة التي فقدت وليدها لتوها ولا تدري ما
تقول، وماذا تفعل. فراحت تدور في أرضها حتى داخت وسقطت على جسد ابنها
تضمه وتبكي مولهة ثكلى.

وهكذا كانت تلك الصقور والعقبان دارت في
السماء وسقطت على الرمضاء وليس لتتغذى،
لا. ولكن لتشارك في المصيبة وتمسح بتلك
الأجساد المضرجة بالدماء وربما نشرت أجنحتها
لتقيها من أشعة الشمس اللاهبة وهي باكية حزينة.

وكذلك كانت الوحوش المسكينة التي تجمعت حول كربلاء، وراحت تدور
متعجبة من أعمال تلك الوحوش التي تمشي على قدمين، ويقال لها: أنها آدمية
كيف فعلت تلك الأفعال بإمام البرية؟

فتجمعت تبكي وتدور وتشاركت مع الملائكة،
والجن، والطيور بإقامة العزاء ووضع الأساس
للكثيرة من الشعائر الحسينية - فحاشا لله - أن
تأكل الوحوش والطيور من تلك الأجساد شيء. لأن
أجساد الصالحين وخاصة آل طه ويس. محرمة على
كل طاعم بأحاديث مروية وثابتة عن سيد الإنسانية
رسول الله محمد ﷺ.

نعم وهذا بعض لا كل القضية لأن الكل بحجم الخلق كله وأننى لنا بلوغ ذلك.
نحن محدودون محجوبون وبالمعاصي والذنوب مغمورون. لكن ولكن ولعنة الله

على لكن التي لا يستغنى عنها كلام. وذلك السيد الجليل يقول: ثكلتك أمك يا أول من وضعت في لغتنا العربية ولكن.

فالجريمة مروعة. وأعمالها فظيعة، وأفعالها شنيعة، ولولا السيوف مشرعة، والنيران موقدة، والنفوس المتعصبة والحاقدة موجودة لكان للحديث منحى آخر ولنا أقلام أحد. والسنة أبلغ. والكلام كان أوضح وأجمل. ورحم الله الشاعر ابن قريعة، حيث قال:

لا تكشفن مغطاً فلربما كشفت جيفة
ولولا سيوف أمية على هاماتنا أبداً مخيفة
لنشرت من أسرار آل محمد جُملاً ظريفة
يغنيكم عما رواه مالك وأبو حنيفة
وأريتكم أن الحسين أصيب في يوم السقيفة
أوه لبنت محمد ماتت بغصتها أسيفة
ولأي شيء أحدث في الليل فاطمة الشريفة

والى هنا نمسك الكلام ونعيد الامر الى صاحب الأمر
ربنا بك آمنا..

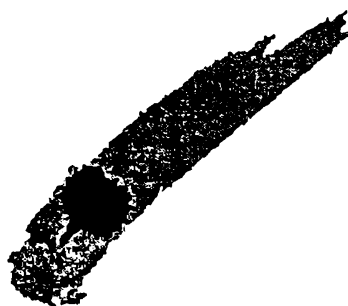
وبرسولك وحبلك اعتصمنا..

وبوليك وكتابك تمسكنا.. وفرجك انتظرنا..

فخذ بأيدينا الى رضوانك، وفي الآخرة الى جنانك.. ربنا عافنا، وإعف عنا،
واغفر لنا، وارحمنا.. وتقبل منا عملنا، وتجاوز عن سقطاتنا وأخطائنا.. بجاه الإمام
الحسين عليه السلام الوجيه عندك..

ربنا بالإمام الحسين عليه السلام الوجيه، وأمه، وأبيه، وولده، وأخيه، والتسعة
المعصومين من بنيه الاطهار الميامين عليهم السلام.. خذ بأيدينا لنرتفع الى بعض درجات
اصحاب الامام الحسين عليه السلام وثبت لنا قدم صدق معهم عندك.. برحمتك يا أرحم
الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

ملحق جداول وخرائط



أسماء أنصار الإمام الحسين عليه السلام.

١. الأصحاب المؤكد حضورهم في كربلاء

حسب تحقيق وتدقيق المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رحمه

الله).

الرقم	الاسم	الانتماء
١	أنس بن الحارث الكاهلي	أسدي من عرب الشمال - صحابي جليل
٢	أنيس بن معقل الأصبحي	همداني من عرب الجنوب
٣	بريد بن خضير الهمداني	همداني من عرب الجنوب (اليمن) تابعي
٤	بشير بن عمرو الحضرمي	قحطاني من عرب الجنوب (حضر موت)
٥	جابر بن الحارث السلماني	مذحجي من عرب الجنوب
٦	جبله بن علي الشيباني	عدناني من عرب الشمال
٧	جناده بن الحارث الأنصاري	أنصاري من عرب الجنوب (اليمن)
٨	جندب بن حجير الخولاني	قحطاني من عرب الجنوب
٩	جوين بن مالك الضبعي	قحطاني من عرب الجنوب
١٠	حبيب بن مظاهر	أسدي عدناني من عرب الشمال

١١	الحجاج بن زيد السعدي	بصري عدناني من عرب الشمال
١٢	الحجاج بن مسروق الجعفي	مذحجي قحطاني من عرب الجنوب
١٣	الحر بن يزيد الرياحي	تميمي عدناني من عرب الشمال
١٤	الحلاس بن عمرو الراسبي	أزدي قحطاني من عرب الجنوب
١٥	حنظلة بن أسعد الشبامي	همداني قحطاني من عرب الجنوب
١٦	خالد بن عمرو بن خالد الأزدي	أزدي قحطاني من عرب الجنوب
١٧	زهير بن بشير الخثعمي	خثعمي قحطاني من عرب الجنوب
١٨	زهير بن القين البجلي	بجلي قحطاني من عرب الجنوب
١٩	زيد بن معقل الجعفي	مذحجي قحطاني من عرب الجنوب
٢٠	سعد بن حنظلة التيمي	تميمي عدناني من عرب الشمال
٢١	سعيد بن عبد الله الحنفي	بكري عدناني من عرب الشمال
٢٢	سوار بن منعم بن حابس الهمداني	همداني قحطاني من عرب الجنوب
٢٣	سويد بن عمرو بن أبي المطاع	خثعمي قحطاني من عرب الجنوب
٢٤	سيف بن الحارث بن سريع	همداني قحطاني من عرب الجنوب
٢٥	سيف بن مالك العبدي	عبدي عدناني من عرب الشمال
٢٦	حبيب بن عبد الله النهشلي	تميمي عدناني من عرب الشمال
٢٧	ضرغام بن مالك	مجهول الحال
٢٨	عابس بن شبيب الشاكري	شاكري قحطاني من عرب الجنوب
٢٩	عامر بن حسان بن شريح الطائي	طائي من عرب الجنوب

عامر بن مسلم	بصري عدناني من عرب الشمال	٣٠
عبد الرحمن بن عبد الله الأرجبي	همداني قحطاني من عرب الجنوب	٣١
عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري	خزرجي من عرب الجنوب	٣٢
عبد الرحمن بن عبد الله اليزني	حميري من عرب الجنوب	٣٣
عبد الرحمن بن عزرة الغفاري	كناني عدناني من عرب الشمال	٣٤
عبد الرحمن بن عزرة الغفاري	كناني عدناني من عرب الشمال	٣٥
عبد الله بن عروة الغفاري	كناني عدناني من عرب الشمال	٣٦
عبد الله بن عمير الكلبي	كناني قحطاني من عرب الجنوب	٣٧
عبد الله بن يزيد بن نبيط (ثبيت)	عبدني عدناني من عرب الشمال	٣٨
عبيد الله بن يزيد بن نبيط (ثبيت)	عبدني عدناني من عرب الشمال	٣٩
عمران بن كعب بن حارث الأشجعي	قيسي عدناني من عرب الشمال	٤٠
عمار بن أبي سلامة الدالاني	همداني قحطاني من عرب الجنوب	٤١
عمار بن حسان بن شريح	مجهول الحال	٤٢
عمرو بن جنادة بن الحارث	أنصاري من عرب الجنوب	٤٣
عمر بن جندب الحضرمي	حضرمي قحطاني من عرب الجنوب	٤٤
عمرو بن خالد الأزدي	أزدي من عرب الجنوب	٤٥
عمرو بن خالد الصيدائي	أسدي عدناني من عرب الشمال	٤٦
عمرو بن عبد الله الجندعي	جندعي همداني من عرب الجنوب	٤٧

٤٨	عمرو بن ضبيعة الضبيعي	قضاعي قحطاني من عرب الجنوب
٤٩	عمرو بن قرصة بن كعب	أنصاري من عرب الجنوب
٥٠	عمر بن عبد الله (أبو ثمامة)	صائدي همداني من عرب الجنوب
٥١	عمرو بن مطاع الجعفي	من عرب الجنوب
٥٢	عمير بن عبد الله الجعفي	مذحجي قحطاني من عرب الجنوب
٥٣	قاسط بن زهير (ظهير)	تغليبي عدناني من عرب الشمال
٥٤	قاسم بن حبيب الأزدي	كاهلي قحطاني من عرب الجنوب
٥٥	قرة بن أبي قرة الغفاري	غفاري عدناني من عرب الشمال
٥٦	قعب بن عمرو النمري	نمري عدناني من عرب الشمال
٥٧	كردوس بن زهير (ظهير)	تغليبي عدناني من عرب الشمال
٥٨	كنانة بن عتيق التغليبي	تغليبي عدناني من عرب الشمال
٥٩	مالك بن عبد الله بن سريع الجابري	همداني قحطاني من عرب الجنوب
٦٠	مجمع بن عبد الله العائذي	مذحجي قحطاني من عرب الجنوب
٦١	مسعود بن الحجاج	مجهول
٦٢	مسلم بن عوسجة الأسدي	أسدي عدناني من عرب الشمال
٦٣	مسلم بن كثير الأزدي الأعرج	أزدي قحطاني من عرب الجنوب
٦٤	نافع بن هلال الجملي	مذحجي قحطاني من عرب الجنوب
٦٥	نعمان بن عمرو الراسبي	أزدي قحطاني من عرب الجنوب

٦٦	نعيم بن عجلان الأنصاري	أنصاري من عرب الجنوب
٦٧	وهب بن عبد الله خباب الكلبي	كوفي من عرب الجنوب
٦٨	يحيى بن سليم المازني	
٦٩	يزيد بن الحصين المشرقي القاري	همداني قحطاني من عرب الجنوب
٧٠	يزيد بن زياد بن مهاجر الكندي	كوفي من عرب الجنوب
٧١	يزيد بن نبيط (ثبيت)	عبدى عدناني من عرب الشمال

٢. جدول بأسماء الموالي من شهداء كربلاء

الرقم	الاسم	السيد
١	أسلم التركي	مولى الإمام الحسين عليه السلام
٢	جون بن حوي	مولى أبو ذر الغفاري
٣	زاهر	مولى عمرو بن الحمق الخزاعي
٤	سالم	مولى بني المدينة الكلبي
٥	سالم	مولى عامر بن مسلم العبدى
٦	سعد بن عبد الله	مولى عمرو بن خالد
٧	شوذب	مولى شاكر الشاكري
٨	قارب	مولى الإمام الحسين عليه السلام
٩	منجح	مولى الإمام الحسين عليه السلام

٣. جدول بأسماء ورد ذكرهم في كتب المقاتل أنهم من الشهداء

الرقم	الاسم	الجهة التي ذكرته
١	إبراهيم بن الحصين الأزدي	ابن شهر آشوب، السيد الأمين في الأعيان
٢	أبو عمرو النهشلي (أو الخثعمي)	ابن نما الحلي، السيد الأمين
٣	حمدان بن حماد الخزاعي المرادي	الرجبية، السيد الخوئي في المعجم
٤	حنظلة بن عمرو الشيباني	ابن شهر آشوب، السيد الأمين، السيد الخوئي
٥	رميث بن عمرو	الرجبية، السيد الخوئي في المعجم
٦	زائدة بن مهاجر (مظاهر)	الرجبية، (ربما يزيد بن زياد بن المهاجر)
٧	زهير بن سائب	الرجبية، السيد الخوئي في المعجم
٨	زهير بن سليمان	الرجبية، السيد الخوئي في المعجم
٩	زهير بن سليم الأزدي	الزيارة، ابن شهر آشوب (ربما زهير بن بشير الخثعمي)
١٠	سليمان بن مضارب البجلي	الخوارزمي، السيد الخوئي في المعجم
١١	سليمان بن سليمان الأزدي	الرجبية
١٢	سليمان بن عون الحضرمي	الرجبية
١٣	سليمان بن كثير	الرجبية (ربما مسلم بن كثير الأعرج)
١٤	عامر بن جليدة (خليدة)	الرجبية
١٥	عامر بن مالك	الرجبية
١٦	عبد الرحمن بن يزيد	الرجبية

عثمان بن عروة (فروة)	الرجبية (ربما قرّة بن أبي قرّة)	١٧
الغفاري		
عمر (عمير) بن كناد	الرجبية	١٨
عبد الله بن أبي بكر	السيد الأمين عن الجاحظ في حياة الحيوان	١٩
عبد الله بن عروة الغفاري	ابن شهر آشوب	٢٠
غيلان بن عبد الرحمن	الرجبية	٢١
القاسم بن الحارث الكاهلي	الرجبية (ربما قاسم بن حبيب الأزدي)	٢٢
قيس بن عبد الله الهمداني	الرجبية	٢٣
مالك بن دودان	ابن شهر آشوب	٢٤
مسلم بن كناد	الرجبية	٢٥
منيع بن زياد	الرجبية	٢٦
نعمان بن عمرو	الرجبية	٢٧
يزيد بن مهاجر الجعفي	الخوارزمي (ربما هو أبو الشعثاء الكندي)	٢٨
مسلم مولى عامر بن مسلم	الرجبية	٢٩

٤. جدول بأسماء الشهداء في الحملة الأولى

(الصدمة) وهم خمسون بطلاً، كما في أشهر الروايات وأوثقها أربعون بطلاً
حرّاً.. وعشرة من الموالي والعبيد. وهم.

- ١ نعيم بن عجلان الأنصاري
- ٢ عمران بن الحارث بن كعب الأشجعي
- ٣ حنظلة بن عمرو الشيباني

٤	قاسط بن زهير
٥	مقسط بن زهير
٦	كنانة بن عتيق التغلبي
٧	عمر بن ضبيعة بن قيس التميمي
٨	الضرغامه بن مالك التغلبي
٩	عامر بن مسلم العبدي
١٠	سيف بن مالك العبدي
١١	عبد الرحمن بن عبد الله الأرجي الهمداني
١٢	باب بن عامر التميمي
١٣	عمرو بن عبد الله الجندعي
١٤	الخلاص بن عمرو الراسبي
١٥	النعمان بن عمرو الراسبي
١٦	سوار بن أبي عمير النهمي
١٧	عمار بن سلامة الدالاني
١٨	زاهر بن عمرو الكندي
١٩	مسعود بن الحجاج التميمي
٢٠	عبد الرحمن بن مسعود بن حجاج التميمي
٢١	عبد الله بن بشر الخثعمي

٢٢	مسلم بن كثير الكوفي
٢٣	زهير بن سليم الأزدي
٢٤	عبيد الله بن يزيد بن ثبيط (ثبيت) العبدي
٢٥	عبد الله بن يزيد بن ثبيط (ثبيت) العبدي
٢٦	جندب بن حجير الكندي
٢٧	جنادة بن كعب الأنصاري
٢٨	سالم بن عمرو
٢٩	قاسم بن سعد الطائي
٣٠	قاسم بن حبيب الأزدي
٣١	بكر بن حي التميمي
٣٢	جوين بن مالك التميمي
٣٣	أمية بن سعد الطائي
٣٤	عبد الله بن بشير
٣٥	بشير بن عمرو
٣٦	حجاج بن بدر البصري
٣٧	مسعود بن الحجاج
٣٨	عمار بن حسان
٣٩	عبد الله بن عروة الغفاري

٤٠ جبلة بن علي

٥. الموالى والعبيد من الأبطال الشهداء

١ سالم مولى عامر بن مسلم

٢ قارب بن عبد الله الدؤلي

٣ منجح بن سهم مولى الإمام الحسين عليه السلام

٤ أسلم بن عمرو التركي

٥ واضح بن أسلم التركي

٦ سعد بن الحرث مولى الإمام علي عليه السلام

٧ نصر بن أبي نيزر مولى الإمام علي عليه السلام

٨ الحرث بن نهان غلام حمزة سيد الشهداء

٩ جون بن حوي مولى أبي ذر الغفاري

١٠ عائذ بن مجمع بن عبد الله

٦. جدول بأسماء الهاشميين الكرام من شهداء الطف

١ الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

٢ العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام

٣ عبد الله بن علي بن أبي طالب عليه السلام

٤ جعفر بن علي بن أبي طالب عليه السلام

٥ عثمان بن علي بن أبي طالب عليه السلام

- ٦ محمد (الأصغر) بن علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٧ علي الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام
- ٨ عبد الله (الرضيع) بن الإمام الحسين عليه السلام
- ٩ القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام
- ١٠ أبو بكر بن الإمام الحسن عليه السلام
- ١١ عبد الله بن الإمام الحسن عليه السلام
- ١٢ عون بن عبد الله بن جعفر
- ١٣ محمد بن عبد الله بن جعفر
- ١٤ مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام (سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة)
- ١٥ جعفر بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام
- ١٦ عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام
- ١٧ عبد الله بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام
- ١٨ عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام
- ١٩ محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام

٧. جدول الأوسمة الكربلائية

أولاً: الأوسمة الجماعية

١. الهاشميين

(١) الشهداء

(٢) البر (الوفاء) لا أعلم أهل بيت أبر أو أوفى ولا أوصل أو أفضل

(٣) الفضل (الوصل)

٢. الأصحاب:

(١) الشهداء

(٢) الولاية - لا أعلم أصحاباً أولى ولا خير.

(٣) الصبر - أو أصحاباً أصبر منكم.

ثانياً: الأوسمة الفردية

١. كل واحد منهم نال وسام

أ. الشهادة

ب. الإنتماء وصدق الولاء

٢. هناك أوسمة سجلت بأسماء خاصة وعلقت على جبين الشمس، وصدر

التاريخ وهي

(١) مسلم بن عقيل

أ. الثقة: أخي وثقتي من أهل بيتي

ب. السبق: أول شهيد في الثورة

(٢) العباس أبو فاضل

أ. صاحب اللواء (عماد الخيمة)

ب. قمر بني هاشم (العشيرة)

ج. ساقى العطاش

د. قطيع اليمين (ذو الجناحين)

(٣) علي الأكبر عليه السلام

أ. أول هاشمي (الأولية)

ب. الشبه الرسولي (أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله ﷺ)

ج. الكأس الأوفى

(٤) مسلم بن عوسجة

أ. الرحمة (رحمك الله يا مسلم)

ب. الوصية الخالدة (الموت دون الإمام الحسين عليه السلام)

(٥) حبيب بن مظاهر

أ. الحامي (عند الله أحتسب نفسي حماة أصحابي)

ب. الهد (هدّ مقتله الإمام الحسين عليه السلام)

ج. قائد الميسرة.

(٦) الحر الرياحي

أ. الحرية، أنت حر كما سمتك أمك

ب. التوبة النصوحة

ج. أول شهداء المبارزة

(٧) زهير بن القين

أ. القرب، لا يبعدنك الله يا زهير

ب. قائد الميمنة

(٨) برير بن خضير

أ. النصيحة. كلم القوم يا برير وأنصحهم

ب. المباهلة

ج. سيد القراء

(٩) عابس بن شبيب

أ. الحب حتى الجنون (حب الحسين أجنني)

ب. أسد الأسود

(١٠) جون بن حوي

أ. بياض الوجه

ب. طيب الريح

ج. المعرفة من آل محمد عليهم السلام

٨. جدول بأسماء الذين مشى إليهم الإمام

الحسين عليه السلام حين الشهادة

مشى الإمام الحسين عليه السلام القائد الأعلى إلى مصرع سبعة من الشهداء..

١. علي الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام

٢. العباس أبو الفضل عليه السلام

٣. القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام

٤. مسلم بن عوسجة الأسدي

٥. الحر بن يزيد الرياحي

٦. أسلم (أو واضح) التركي

٧. جون مولى أبي ذر الغفاري

٩. جدول بأسماء صحابة الرسول ﷺ في كربلاء

كان مع الإمام الحسين عليه السلام خمسة من صحابة الرسول الأعظم ﷺ وهو
الرقم الاسم الجهة الذاكرة له

١ أنس بن الحرث الكاهلي جميع المؤرخين

٢ حبيب بن مظاهر الأسدي ذكره ابن حجر في التبصرة

٣ مسلم بن عوسجة الأسدي ابن سعد في الطبقات

٤ هاني بن عروة المرادي جميع المؤرخين

٥ عبد الله بن بقطر رضيع الإمام الحسين ابن حجر الإصابة

١٠. جدول بأعداد الرؤوس وتوزيعهم بين القبائل

- ١ ٧٢ رأس - أبو مخنف ص ٦٥
- الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٥٩
- الإرشاد للشيخ المفيد ص ٢٤٣
- ٢ ٧٨ رأس - البحار ٤٥ / ٦٢
- اللهوف ص ٦٠

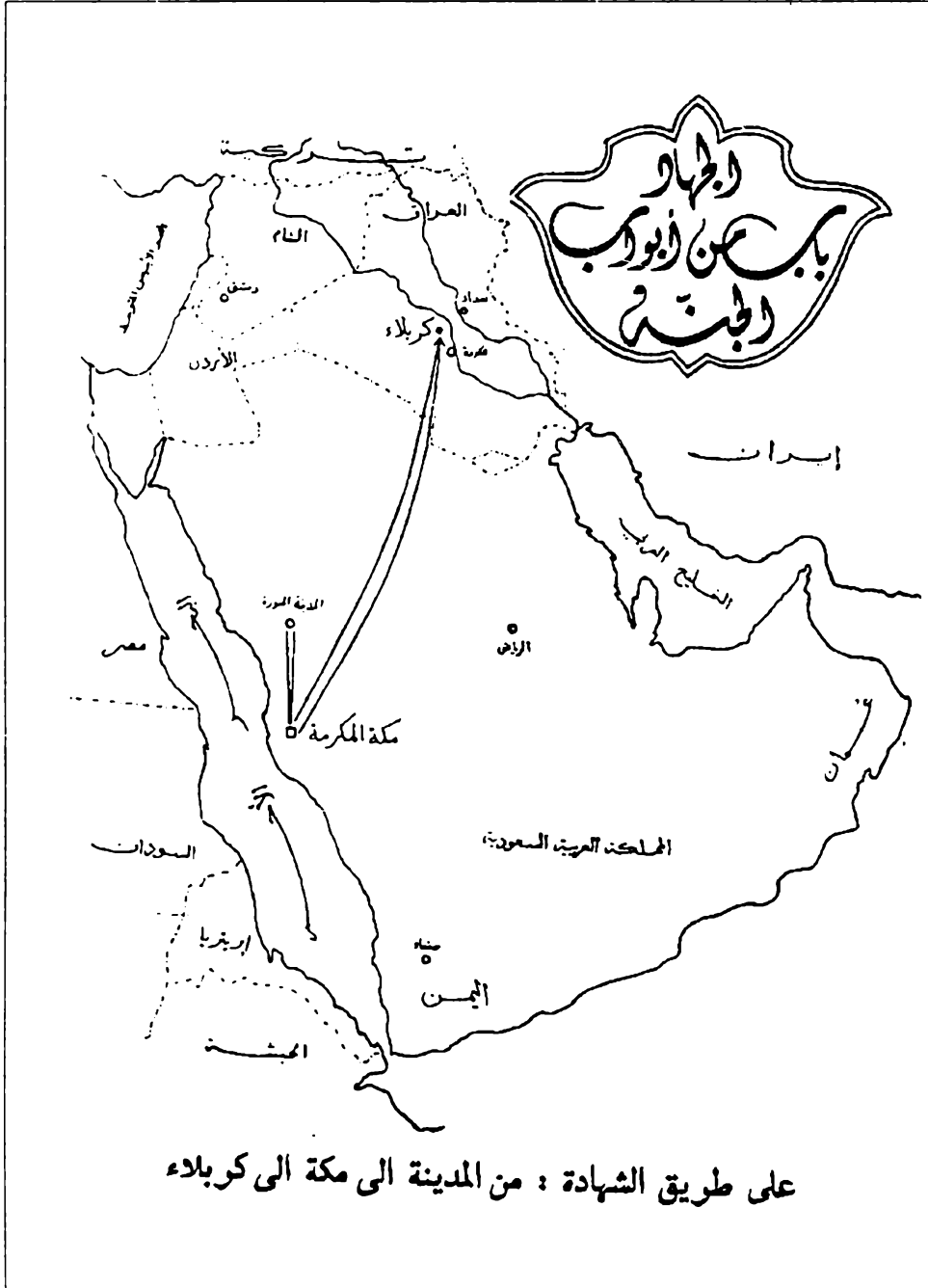
١١. توزيع الرؤوس على القبائل

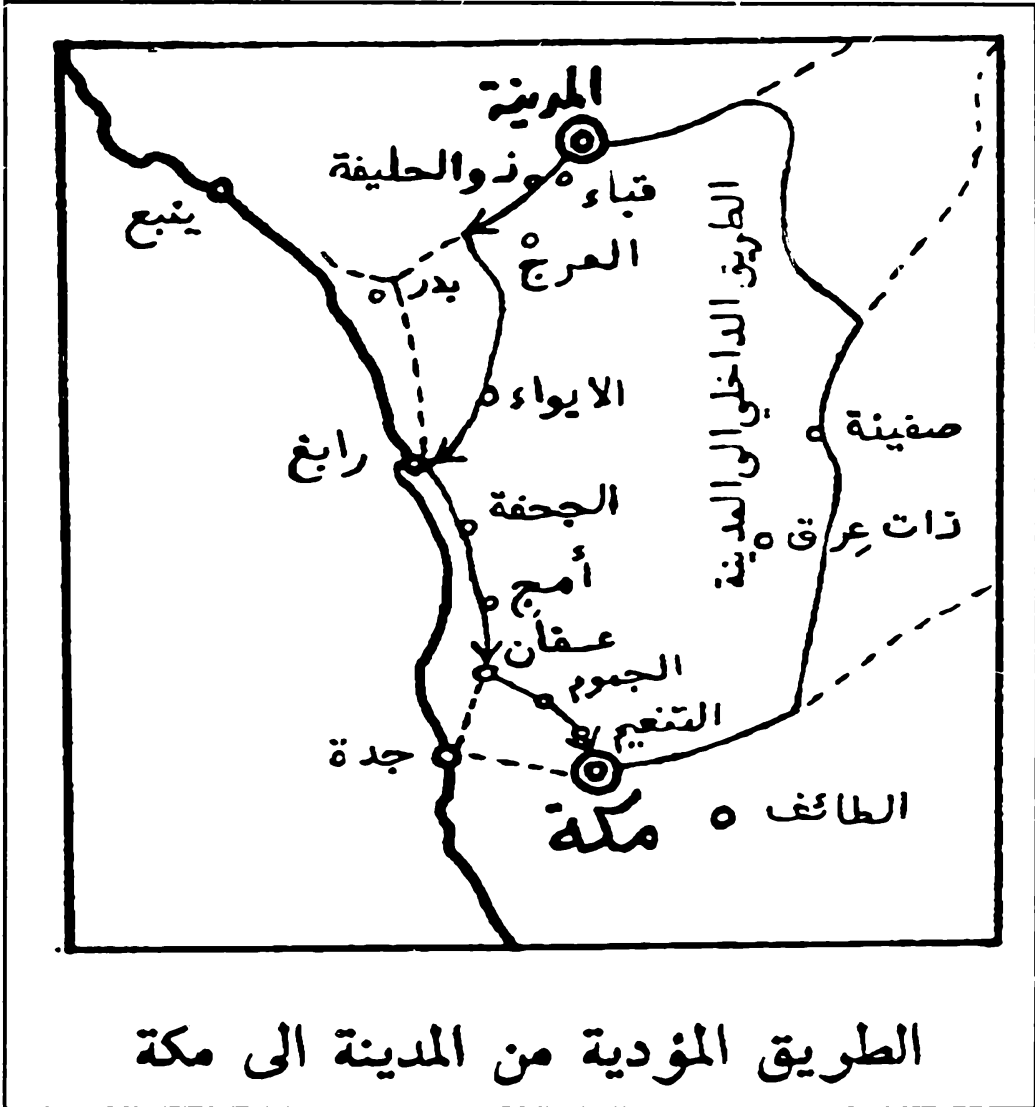
١. الطبري وأبي مخنف وابن شهر آشوب ٧٢ وعدد ٧٠ كندة ١٣ رأس بقيادة قيس بن الأشعث
- هوازن ٢٠ رأس بقيادة شمر بن ذي الجوشن
- تميم ١٧ رأس بقيادة الحصين بن نمير
- أسد ٦ رؤوس بقيادة هلال بن الأعور
- مذحج ٧ رؤوس
- متفرقات ٧ رؤوس من بقية القبائل
٢. عن الدينوري، الأخبار الطوال ٧٢ وعدد ٧٥
- هوازن ٢٢ رأس
- تميم ٤٧ رأس
- كندة ١٣ رأس
- أسد ٦ رؤوس
- الأزد ٥ رؤوس مع عيمهة بن زهير
- ثقيف ١٢ رأس مع الوليد بن عمرو

١٢. جدول بأسماء الذين أبْنهم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء

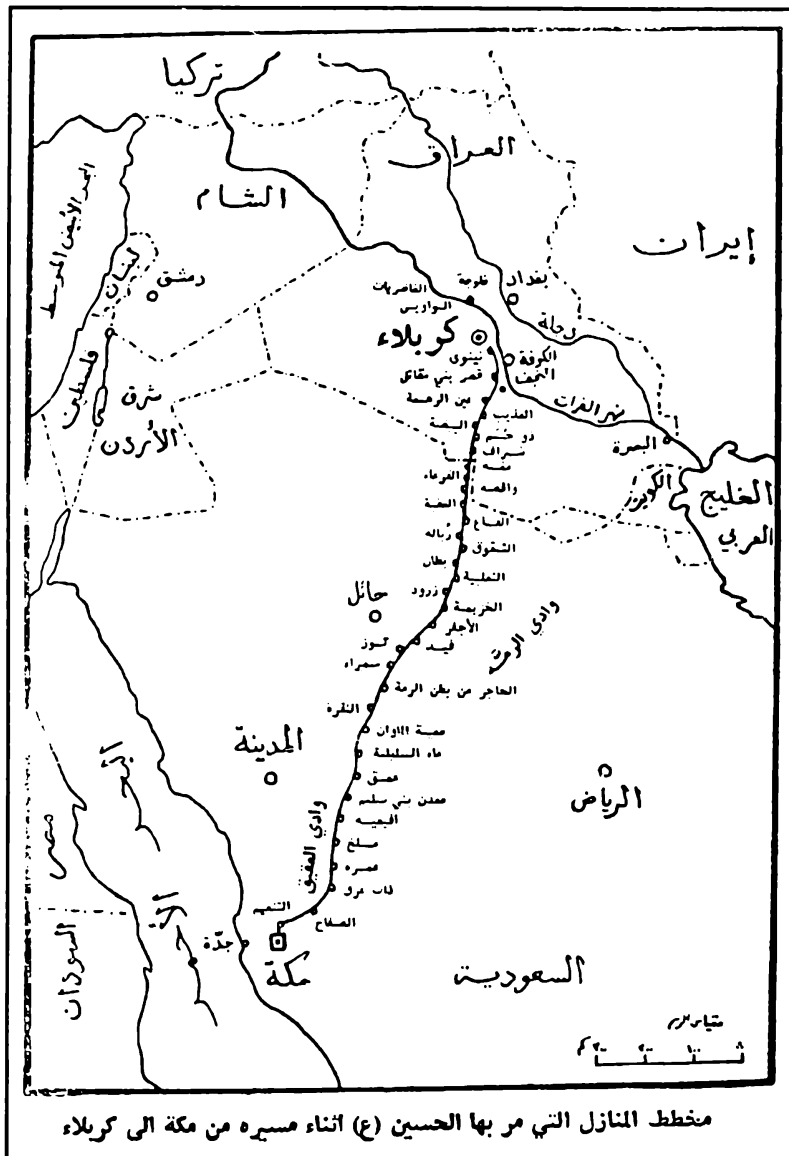
أَبْن الإمام الحسين عليه السلام ١٠ عشرة من أهله وأصحابه وهم:

١. علي الأكبر عليه السلام: قتل الله قوماً قتلوك،
ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة
الرسول ﷺ، على الدنيا بعدك العفا.
٢. العباس أبو الفضل عليه السلام: الآن انكسر
ظهري، وقلت حيلتي، وشميت بي عدوي
٣. القاسم بن الحسن عليه السلام: بعداً لقوم قتلوك،
وخصمهم فيك رسول الله ﷺ عزَّ على عمك
أن تدعوه فلا يجيبك، وإن يجيبك فلا يغني عنك.
٤. عبد الله بن الحسن عليه السلام: يا ابن أخي إصبر
على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن
الله يلحقك بآبائك الصالحين.
٥. عبد الله بن الحسين عليه السلام: اللهم، لا يكن
أهون عليك من دم فصيل.
٦. مسلم بن عوسجة: رحمك الله يا مسلم، وتلا
(منهم من قضى نحبه).
٧. حبيب بن مظاهر: عند الله أحتسب نفسي
وحماة أصحابي..
٨. الحر الرياحي: أنت كما سمتك أمك حر في
الدنيا سعيد في الآخرة.
٩. زهير بن القين: لا يبعدنك الله يا زهير من
رحمته، ولعن الله قاتليك لعن الذين مسخوا
قردة وخنازير.
١٠. جون مولى أبو ذر: اللهم بيض وجهه،
وطيب ريحه، وعرف بينه وبين محمد وآله..

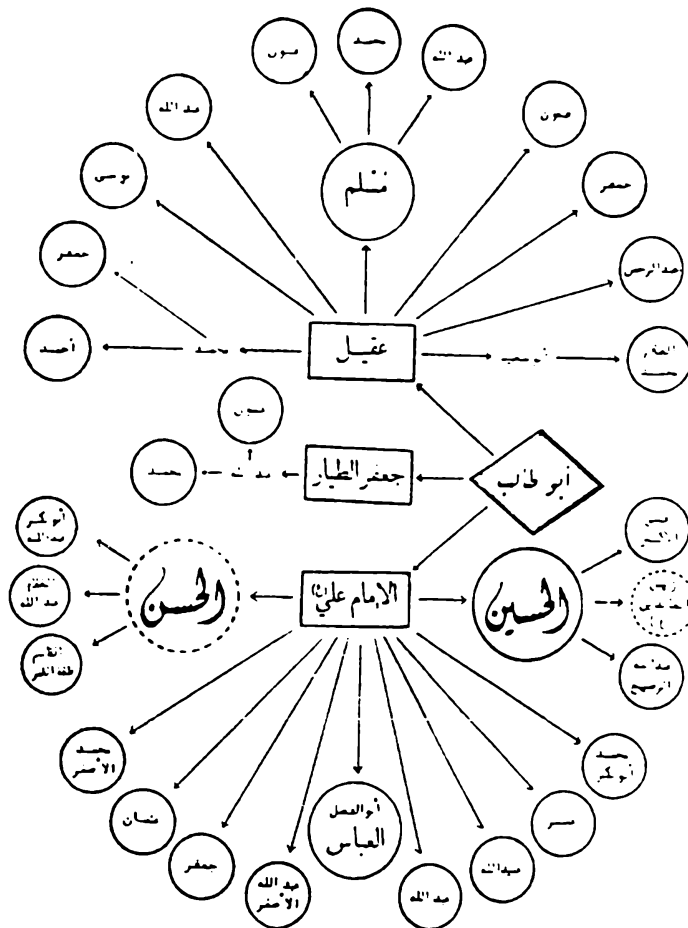


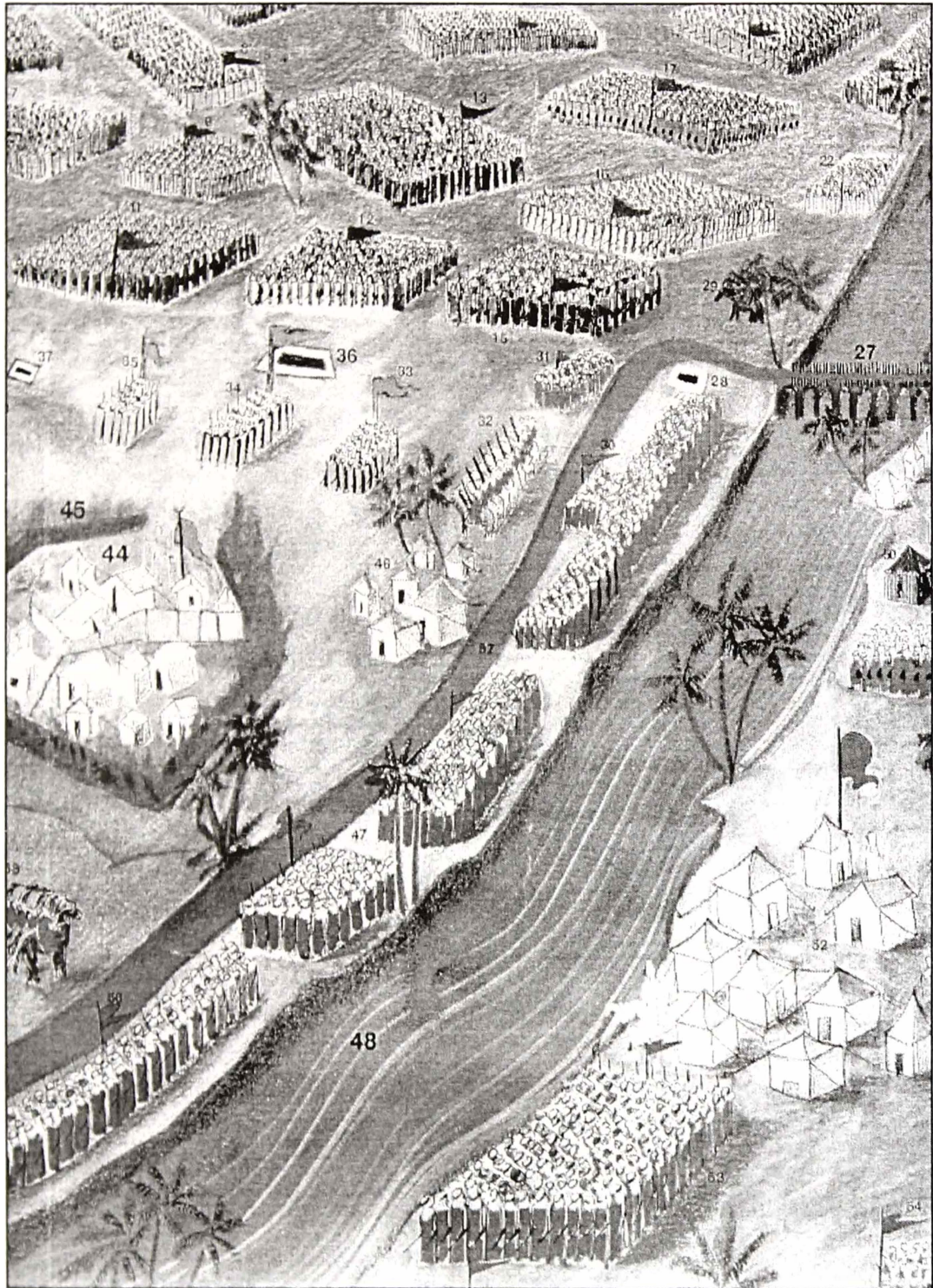


[illegible]



المستهدفون مع الحسين من آل أبي طالب (ع)





المحتوى

الإهداء.....	٥
تعريف وتشريف.....	٧
مقدمة.....	١١

بين يدي البحث ١٥

التكتيك العسكري في الثورة الحسينية.....	١٧
ماذا يعني هذا العنوان؟.....	١٧
الإستراتيجيا.....	١٩
التكتيك.....	٢٠
الحرب.....	٢٠
المعركة.....	٢٠
المسير.....	٢١
محاوّر التحرك.....	٢١
الموضع.....	٢١
الصدمة.....	٢٢

الباب الأول: ما قبل المعركة ٢٣

الفصل الأول: المقدمات والإرهاصات ٢٥

٢٧	الثورة في الإسلام
٣٤	الناظر المسلم
٣٩	النظرية الثورية الإسلامية
٤٠	١. الجانب العقائدي والثقافي
٤٢	٢. الجانب الاقتصادي
٤٤	٣. الجانب الاجتماعي
٤٥	٤. الجانب السياسي
٤٨	ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٦١	١. الوضع العقائدي والثقافي
٦٤	٢. الأوضاع السياسية
٧١	٣. الأوضاع الاجتماعية
٧٦	٤. الأوضاع الاقتصادية

الفصل الثاني: الثورة ٨٥

٨٧	إعلان الثورة
٨٧	أولاً: الحرب في الإسلام
٩٥	شروط الحرب
٩٩	الجهاد
١٠٢	الجهاد في الدولة الإسلامية. (درع الله الحصينة)
١٠٧	ثانياً: الحرب النفسية السيكلوجية
١١٢	أهداف الحرب النفسية

مبادئ الحرب النفسية.....	١١٤
أنواع الحرب النفسية.....	١١٥
١. الحرب النفسية الإستراتيجية (السوقية).....	١١٥
٢. الحرب النفسية المعنوية (تكتيكية).....	١١٦
٣. الحرب النفسية المحلية.....	١١٧
الحرب النفسية في الثورة الحسينية.....	١١٩
الإمام الحسين عليه السلام	١١٩
عبيد الله بن زياد.....	١٢١
ثالثاً: الحرب الباردة.....	١٢٥
الحرب الباردة في الثورة الحسينية.....	١٢٧

الفصل الثالث: البيان الأول للثورة وإعلان التعبئة ١٢٩

البيان الأول للثورة وإعلان التعبئة.....	١٣١
الإعداد للتحرك في المدينة.....	١٤٣
محاوَر التحرك الحسينية.....	١٦٠
لماذا مكة؟.....	١٦٤
لماذا العراق. والكوفة تحديداً؟.....	١٦٨
تسليح الجيش الحسيني.....	١٧١

الفصل الرابع: كربلاء ١٧٥

كربلاء.....	١٧٧
لمحة تاريخية.....	١٧٧
الموقع الجغرافي.....	١٨٠
أرض المعركة.....	١٨١
الموقف التكتيكي في كربلاء.....	١٩٢

الإمام الحسين عليه السلام	١٩٤
التحضيرات الدفاعية	١٩٤
صفات القائد	٢٠١
تحضير القوات للمعركة	٢٠٣
وفي صباح عاشوراء (تحضيرات)	٢٠٧
عمر بن سعد لعنه الله	٢٠٩
تنظيم المعركة الهجومية	٢١١
التحضير للمعركة (الهجومية)	٢١٤
وفي صباح عاشوراء (تحضيرات ابن سعد)	٢١٧
خاتمة الباب الأول	٢١٩

الباب الثاني: خوض المعركة ٢٢١

الفصل الأول: يوم عاشوراء الدامي ٢٢٣

خوض المعركة على تراب كربلاء	٢٢٥
١. الصدمة	٢٣٧
٢. البراز والمبارزة	٢٣٩

الفصل الثاني: استثناءات تفرضها المعركة ٢٤٣

استثناءات تفرضها المعركة	٢٤٥
١. الحر الرياحي. والتوبة النصوحة	٢٤٦
٢. مسلم بن عوسجة. والوصية الخالدة	٢٥٥
٣. عبد الله بن عمير وزوجته	٢٥٧
٤. أبو ثمامة والصلاة الأخيرة تحت وقع الأسنة	٢٦٠
٥. صلاة أهل البيت عليهم السلام	٢٦٣

الفصل الثالث: بطولات خيالية ٢٦٧

- بطولات خيالية..... ٢٦٩
١. بُرير بن خضير (قارئ الكوفة)..... ٢٧٠
 ٢. وهب بن حباب الكلبي (الشهيد المسيحي)..... ٢٧٢
 ٣. حبيب بن مظاهر الأسدي (فاضل يختم القرآن ليلة)..... ٢٧٥
 ٤. زهير بن القين البجلي (السني الحسيني)..... ٢٧٦
 ٥. عابس بن شبيب المجنون بحب الحسين عليه السلام..... ٢٨٠
 ٦. جون مولى أبو ذر الغفاري (أبيض الوجه، طيب الريح)..... ٢٨٢

خاتمة الباب الثاني ٢٨٥

- الاستراتيجية والتكتيك في كربلاء..... ٢٨٧
- لماذا الإمام الحسين عليه السلام؟..... ٢٩٣
٢. لماذا النساء؟..... ٢٩٤
 ٣. لماذا هذا الأسلوب بإظهار المأساة على تراب الطف؟..... ٢٩٦

الباب الثالث: الأعمال المساوية والنتائج الباهرة ٣٠١

الفصل الأول: الأبناء الأعزاء ٣٠٣

- المأساة..... ٣٠٥
- الأبناء..... ٣٠٧
١. علي الأكبر عليه السلام..... ٣٠٩
 ٢. عبد الله الرضيع..... ٣١٥

الفصل الثاني: الإخوة العظماء ٣١٩

- الإخوة العظماء..... ٣٢١

الفصل الثالث: النفس الطاهرة الزكية ٣٣٧

النفس الطاهرة الزكية..... ٣٣٩

الخاتمة ٣٤٧

نقد وتحليل المعركة..... ٣٤٩

جيش الإمام الحسين عليه السلام..... ٣٥٠

أوسمة كربلاء..... ٣٥٥

جيش ابن سعد..... ٣٥٨

ملحق جداول وخرائط ٣٦٩

أسماء أنصار الإمام الحسين عليه السلام..... ٣٧١

١. الأصحاب المؤكد حضورهم في كربلاء..... ٣٧١

٢. جدول بأسماء الموالى من شهداء كربلاء..... ٣٧٥

٣. جدول بأسماء ورد ذكرهم في كتب المقاتل أنهم من الشهداء..... ٣٧٦

٤. جدول بأسماء الشهداء في الحملة الأولى..... ٣٧٧

٥. الموالى والعبيد من الأبطال الشهداء..... ٣٨٠

٦. جدول بأسماء الهاشميين الكرام من شهداء الطف..... ٣٨٠

٧. جدول الأوسمة الكربلائية..... ٣٨١

٨. جدول بأسماء الذين مشى إليهم الإمام الحسين عليه السلام حين الشهادة ٣٨٤

٩. جدول بأسماء صحابة الرسول ﷺ في كربلاء..... ٣٨٤

١٠. جدول بأعداد الرؤوس وتوزيعهم بين القبائل..... ٣٨٤

١١. توزيع الرؤوس على القبائل..... ٣٨٥

١٢. جدول بأسماء الذين أبّتهم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء..... ٣٨٥

